



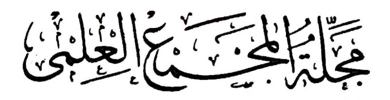
مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - الجزء الرابع - المجلد السادس والاربعون.

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م









مجلة المجمع العلمي

الجزء الرابع ـ المجلد السادس والاربعون
بغـــــداد
١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م

شروط النشر وضوابطه

١ ـ تنشر المجلة البحوث العلميــة ذات السمة الفكرية والشمولية وبمـا يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢ ـ لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعى الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣ ـ يشترط في البحث ان لايكون قد نشر او قدم للنشر في مجلة اخرى.

٤ ـ تعرض البحــوث المقدمــــة للنشر في المجلــة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيــان مــدى اصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥ ـ هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى اصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .

٦ ـ يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات التالية : ـ

أ ـ ان يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة او مكتوباً باليــد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقة .

ب ـ ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اســم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

جـ ـ يجب ان لا تزيد عدد الصفحات عن (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لايتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الاف وخمسمائة كلمة .

د ـ ان يكون مستوفياً للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقاً تاماً حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

هـ ـ يرفق بالبحث ما يلزمه من اشكال او صور او رسوم او خرائط او بيانــات توضيحية اخرى ، على ان يوضــح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر اذا كانت مقتبسة .

و ـ ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربياً .

ز ـ يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

ح ـ تكتب الكلمات الدالة باللغة الانكليزية .

٧ ـ يعطى صاحب البحث ـ عند نشــره ـ ثـلاث نسخ من المجلــة مع عشرة مستلات من بحثــه .

البحوث لاتعبر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

هيئة التحرير

ـ توجه البحوث والمراسلات الى : رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي
المجمع العلمي ـ ص . ب . (٤٠٢٣) بغداد ـ جمهورية العراق
هاتف : « ٤٢٢١٧٢٣ ـ ٤٢٢٢٠٦٦ » فاكس : ٤٢٥٤٥٢٣ / ١ ـ ٩٦٤
ـ الاشتراكات : داخل العراق (٤٠٠٠) دينار سنوياً .
خارج العراق (٥٠) دولار امريكي سنوياً وتضاف اجرة البريد .

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الافتتاح

بصدور الجزء الرابع من المجلد السادس والاربعين من مجلة المجمع العلمي يكون العالم قد ودع القرن العشرين للميلاد وهو يتطلع الى استقبال قرن جديد يأمل أن يكون حافلا بكل ما ينفع الانسانية ويسدد خطاها في سبيل الخير .

ومجلة المجمع العلمي إذ تطوي نصف قرن من الزمن تحتفي بعيدها الذهبي الذي كان عطاءً فكريا رائعا وأدبيا رفيعا ، ، وقد أسهم فيها نخبة من العلماء والمفكرين ، ورفدت العلوم والآداب والفنون بما هو جديد غذّى الثقافة وأضاف الى حضارة الانسان ما جادت به عقول أعضاء المجمع ومفكرو الأمة من عطاء ثر ونتاج غزير .

لقد كان القرن العشرون قرن تطور علمي وتقني ، قرن الالكترونيات والحاسوب وغزو الفضاء والتقنيات الاحيائية والذرة ، قرن المعلومات والاتصالات والانجازات العلمية المذهلة بايجابياتها وسلبياتها ، وبقدر ماشهد هذا القرن من تطور خدم الانسانية ، كان قرن حروب عالمية مدمرة سيطر فيه من امتلك العلم والتقانة ، وانفرد بمصير الأمم والشعوب التي لم ترضخ فعادت تكافح من أجل حريتها واستقلالها وتبذل كل شيء من أجل كرامتها وعزتها وحياتها الحرة الكريمة .

لقد شهد القرن الذي نودعه محاولة لانطلاقة عربية نحو التحرر والوحدة ولكن أعداء الأمة العربية لم يرق لهم ذلك فاندفعوا نحو إجهاض حركتها التحررية واقتطعوا جزءاً عزيزاً منها هو فلسطين ، واوجدوا عليها كيانا شاذا

وغربيا ليكون مركـز تآمر على حركات التحـرر وقاعدة للصهيونية العالمية والاستعمار الجديد مما أوجب على أبناء الأمة أن يقفوا بوجه الغزاة الطامعين .

إن مسؤولية المثقفين والثوريين العرب تتطلب منهم ان يكونوا أهلا لها لازالة الاحباطات التي انتابت الانسان العربي ، وعليهم اعادة تنظيم الاحزاب والحركات السياسية والمنظمات الشعبية والمهنية والاهتمام بمراكز الابحاث والدراسات المستقبلية لاستقراء الاحداث ومواكبة العصر . ان ذلك يتطلب وضع استراتيجية بعيدة الامد واضحة المعالم والاهداف تضع حداً للتداعيات التي تشهدها امتنا العربيـة ولكي تكون قادرة على مواكبـة مسيرة الامم والشعوب المتقدمة والسير في الطريق الصحيح لتحقيق مشروعها الحضاري الجديـد .

إن النهضة المطلوبة توجب تجددا ثقافيا وفكريا يستوعب الثورة العالمية في التقانة والعلم وما يتطلب التطور في مختلف مجالات الحياة .

إن التجدد الذي ندعوا اليه يحتاج الى الانفتاح على التقدم العالمي في العلم والتقانة والأداب والفنون ، والتفاعل مع الحضارات الانسانية من دون أن نفقد خصوصيتنا وتراثنا المبدع العريق . وعلينا ـ ونحن نستقبل القرن الحادي والعشرين ـ أن لا نتبهر بحضارة الغرب وغزوه الثقافي ، وأن لانغلق على أنفسنا الابواب ونتعزل عن العالم بتطوراته الحضارية ، لأن أمتنا العربية بحاجة ماسة الى أن نعمل لتجسير الفجوة التقنية التي تفصلنا عن العالم المتقدم ، وذلك بايلاء العلم والتقانة وانظمتها المطلوبة ما يستحق من الاهتمام ، والعناية بحقوق الانسان لكي يشعر بالانتماء الأصيل الى الأمـة ، ويكون قادرا على العطاء المثمر ، ولتتمكن أمتنا من استعادة ما فقدته في عهود الركود وتكون في طليعة الشعوب التي تنعم بالخير والاستقلال والسلام .

الدكتور ناجح الراوي

رئيـس المجمـع العلمـي

نحو بناء صناعة برمجية عربية

ا.د. داخل حسن جريو
رئيس الجامعة التكنولوجية
عضو المجمع العلمي ـ بغداد

الملخـص

تعد الصناعة البرمجية احد اهم مرتكزات تقانة المعلومات التي باتـت تؤدي دوراً مهماً في تنشيط الحياة الاقتصادية في العديد من بلدان العالـم المتقدمة صناعياً والنامية على حد سواء ، وذلك لما توفره من عملات نـادرة . وحيث ان هذه الصناعة لا تتطلب مواد اولية او مصادر طاقة باهضة ، كما انها لا تتطلب استثمارات مالية ضخمة ، بل تكاد تنحصر متطلباتها بتهيئة عقـول مبدعة متدربة تدريباً جيداً في مجالات علوم المعلومات وتقاناتها وبرمجيـات الحاسوب وتطبيقاته المختلفة . لذا فأن الولوج الى هذه الصناعة امر يسير اذا ما تضافرت الجهود الخيرة لبناء تجربة عربية في الصناعة البرمجية لاسيما ان السوق العربية سوق نامية جداً في هـذا المجـال ، حيث يقدر حجم هـذه السوق باكثر من ثلاثة مليارات من الدولارات اذا ماتم تطبيق قوانين حماية الملكية الفكرية . تسلط هذه الدراسة الضوء على واقع حال الصناعة البرمجية العالمية عامة والصناعة البرمجية العربية خاصة ، واقتراح بعض سبل النهوض بهذه الصناعة عربياً خدمة للمصلحة القومية .

مقدمـــة :

تشهد صناعة الحاسوب تطوراً مطرداً في ارجاء العالم المختلفة عامـة وفي أقطار أمريكا الشمالية والاتحاد الاوربي وبلدان شرق آسيا واليابان خاصة . يعود انتاج أول حاسوب آلي في العالم الى عام ١٩٤٦ حيث صنع الحاسوب المعروف بأسم إينياك في الولايات المتحدة الامريكية ، وصنع أول حاسـوب تجاري عام ١٩٥١ ، وبظهور الترانسستور صنع اول حاسـوب باستخدام الترانسستور عام ١٩٥٤ ، وأعتمدت صناعة الحاسوب أعتباراً من عام ١٩٦٠ على الترانسستور والدوائر المتكاملة Integrated Circuits حيث تم صـنع أول حاسـوب صـغير Minicomputer عام ١٩٦٣ . وفي العام ١٩٧١ تـم صنع أول معالج مايكروي Microprocessor من قبل شركة أنتل الامريكية . وبتطور مكونات الحاسوب في السنوات اللاحقة من الدوائر المتكاملة الـى الدوائر المتكاملة متوسطة النطاق والدوائر المتكاملة واسعة النطاق اصـبح بالامكان صنع أول حاسوب شخصي عام ١٩٨١ . وفي العام ١٩٩٠ تم تطويـر الدوائر المتكاملة واسعة النطاق الى دوائر متكاملة فائقة النطاق ممهدة الطريق بذلك الى صنع حاسوب الجيل الخامس ، كما صنع أول حاسوب ضوئـي في العام نفسه ، ويتوقع أن تؤدي صناعة الدوائر المتكاملة دوراً حاسماً في صناعة الحاسوب . ومازالت الجهود مبذولة لصنع حاسوب الجيل الخامس حيـث يتوقع ان يستخدم الحاسوب في بعض الاعمال التي قد تتطلب الخلق والابداع. تصنف الحواسيب طبقاً لمكوناتها المادية [١] كما هو مبين في الجدول رقم (١) .

جدول (١) اجيال الحاسوب

الجيل	الفترة	المزايا	البرمجيات	سعة الخزن	السرعة
الاول	١٩٤٦ـ١٩٥٨	صمامات	شفرة الآلة	٢ كيلو بايت	٢ كيلو ايعاز في الثانية
الثاني	١٩٥٩ـ١٩٦٤	ترانسستور ذاكرات مغناطيسية	لغات المستوى العالي مثل كوبول وبيسك والكول وفورتران	٣٢ كيلو بايت	٢٠٠ كيلو ايعاز في الثانية
الثالث	١٩٦٥ـ١٩٨١	دوائر متكاملة ذاكرات دوائر اشباه الموصلات	كوبرال ، باسكال	٢ ميكا بايت	٥ ميكا ايعاز في الثانية
الرابع	١٩٨٨ـ١٩٨٩	الدوائر المتكاملة واسعة النطاق جدا الاقراص البصرية	المنظومات الخبيرة	٨ ميكا بايت	٣٠ ميكا ايعاز في الثانية
الخامس	١٩٩٠	معمارية متوازية	لغات متزامنة معالجة رمزية لغات تسببية		١ كيكا ايعاز في الثانية

وفي مجـال البرمجيـات فقـد تطـورت لغاتهـا من لغات شفرة الآلـة Machine Code الى لغات التجميع في حواسيب الجيل الاول • والى اللغـات المعروفة بأسم لغات المستوى العالي مثل فورتران وكوبول والكول وبيسك في حواسيب الجيل الثاني ، وكورال وباسكال في حواسيب الجيل الثالث،والنظم الخبيرة في حواسيب الجيل الرابع ، وتعد اللغة المعروفة باسم Windows التي عرضت في الاسواق عام ١٩٩٠ أحد أهـم اللغات المستخدمة لتشغيـل الحاسبات الشخصية في الوقت الحاضر ، ومازالت صناعة الحاسوب وبرمجياته تشهد تطورات كبيرة جداً تتطلب منا مواكبتها والعمل بكل الوسائل الممكنـة لامتلاك تقاناتها تمهيداً لانشاء صناعة عربية ان لم يكن في مجـال صناعـة الحاسوب ، ففي الاقل في مجال صناعة برمجياته حيث تتوفر جميع مستلزماتهـا من ملاكات فنية ذات قـدرات علمية جيدة في مجـالات الحاسـوب وبرمجياته وتوافر رأس المال المطلوب وتزايد الحاجة الى البرمجيات في الاسواق العربيـة ولاسيما البرمجيات باللغة العربية .•

الصناعـة البرمجيـة العالميـة :

تحتل الولايات المتحدة الامريكية مركز الصـدارة في العالم بالنسـبة لتقانات المعلومات المختلفة أذ تشير التقارير الى انهـا تمتلك اكثر مـن (١٠٠) مليون حاسوب من إجمالي حواسيب العالم التي يقدر عددهـا حوالي (٢٢٨) مليون حاسوب أي ما نسبته ٤٥٪ من أجمالي حواسيب العالم • كما ان سوق الحواسيب الصغيرة في الولايات المتحدة يعادل ٣٦٪ من حجم السـوق العالمي الذي يبلغ (٧٠) مليون جهاز • وتحتل الدول الاسيوية بما فيها اليابان المرتبة الثانية بالنسبة لعدد الاجهزة وحجم السوق الذي يبلغ نحو ٣٥٪ من حجـم السوق العالمي منها ١٣٪ في اليابان • وتحتل الدول الاوربية الغربية المرتبـة الثالثة بالنسبةلعدد الاجهزةوحجمالسوقالذي يبلغ نحو ٢٣٪ منحجمالسوق العالمي • وتتوزع النسبة الباقية ٦٪ بين جميع دول العالم منها ٣٪ لكندا •

وفي مجال البرمجيات وتطويرها فأن الولايات المتحدة الامريكية تتفـوق على جميع دول العالم حيث تعد الولايات المتحدة أكبر منتج للبرمجيات في العالم أذ يتجاوز أنتاجها نسبة ٤٥٪ من حجم الانتاج العالمي وتحتل الدول الاوربيـة الغربية المرتبة الثانية حيث يصل انتاجها الى ٢٣٪ وتحتل دول آسيا بما فيها اليابان والهند المرتبة الثالثة حيث يصل انتاجها الى ١٨٪ ، ويتوزع الباقـي وقيمته ٤٪ على بقية دول العالم ، وفي مجال الانترنت تحتل الولايات المتحدة المرتبة الاولى ايضا حيث تتركز فيها نسبة ٦٥٪ من مجموع الحواسيب المتصلة بالشبكة والبالغ عددها قرابة (٣٠) مليون حاسوب في العالم عام ١٩٩٧ ، منهـا قرابة (٢١) مليون حاسوب في الولايات المتحدة الامريكية ، وتصل الانترنت الى نحو ٢٥٪ من عدد الاسر الامريكية وتأتي دول اوربا الغربية في المرتبـة الثانية بالنسبة لاستخدامات الانترنـت حيث يصل استخدامهـا نحو ١٨٪ ، وتأتي الدول الاسيوية في المرتبة الثالثـة حيث يصل استخدامها نحو ١٢ ٪ وتتوزع نسـبة الخمسة بالمائـة المتبقية بين جميع دول العالـم ، وفي مجـال الاتصالات فأن الولايات المتحدة تتفوق على دول العالم كافة بالنسبة لكثافة الخطوط الهاتفية إذ تبلغ نحو (٨٦) خطاً لكل (١٠٠) مواطن [٢] ،

ويعتقد بعض الباحثين الامريكان ان تطور الاقتصاد الامريكي يعتمـد بدرجة ليست بالقليلة على النهوض بالصناعات البرمجية التي مرتكزها الاساس النهوض بدراسات هندسة برمجيات الحاسوب [٣] ، ولعل من المفيد هنـا الاشارة الى تطور الصناعة البرمجية في الكيان الصهيوني أذ بلغت صادراتـه عام ١٩٩٠ اكثر من مليار دولار امريكي ، ويسعى هـذا الكيان في الوقـت الحاضر الى استغلال الظروف السياسية السائدة في المنطقة العربية في اعقـاب اتفاقات التسوية وانفتاح بعض الاقطار العربية على هذا الكيان لهذا الغـرض او ذاك ، لذا فقد وظف الكيان الصهيوني قدراته الصناعية البرمجية باستخدام اللغة العربية في منظومات الحاسوب مما قد يؤدي الى سيطرته مستقبلا علـى

الثقافة العربية وتشويه لغتنا الجميلة وتوجيهها لخدمة مصالحه والاساءة الى قيمنا الاخلاقية وتراثنا الحضاري العظيم ، وتزداد هذه الخطورة مع انتشار الانترنت وغيرها من نظم المعلومات والاتصالات ، اذ ان الموجود من اجهزة وبرامج حاسوبية في المنطقة العربية كلها اقل من تلك الموجودة في اسرائيل بمفردها حيث انها تمتلك وادياً للتكنولوجيا كما هو موجود في الولايات المتحدة الامريكية والعديد من دول العالم التي تمتلك صناعات برمجية متقدمة ، ومع التطورات السريعة والمتلاحقة في الصناعات الالكترونية والاتصالات والحواسيب الالكترونية بدأت ظاهرة بروز شركات صغيرة الحجم تتخصص في مجالات تكنولوجية محددة بالتعاون مع شركاء تتوفر لديهم قدرات مالية وتسويقية كبيرة . وقد استغلت بعض الشركات الاسرائيلية هذا المسار الجديد بنجاح وكفاءة عالية بالتركيز على تكنولوجيا الاثرنت Ethernet وهي امتداد طبيعي لتكنولوجيا الانترنت ، وتتضمن التوفيق بين شبكات المعلومات التي تتعامل بلغات معلومات مختلفة . وتشير الدراسات الى وجود ١٨٠٠ شركة اسرائيلية تعمل بهذه الطريقة ابرزها شركة ألترون Eltron التي يعمل فيها ٧٠٠٠ خبير من علماء الرياضيات والطبيعة والمهندسين ، ويصدر نحو ٩٠٪ من انتاجها الى الخارج . وقد حققت ٦٠ من هذه الشركات الاسرائيلية نموا سريعا بحيث امكن تداول اسهمها في بورصة نيويورك . وتتنافس بعض الشركات العالمية الامريكية واليابانية والالمانية على شراء هذه الشركات او الاستثمار فيها [٤] . وسنستعرض الان تجربة اخرى ناجحة في مجال الصناعات البرمجية الا وهي التجربة الهندية ، حيث استفادت الهند من رخص الايدي العاملة لديها وكفاءتها العالية جداً وشبكة اتصالاتها الدولية الممتازة لتصبح بذلك احدى اهم الدول المصدرة للبرمجيات في العالم .

تشير بعض الدراسات الى ان الحكومة السنغافورية قررت بناء مدينة علمية في مدينة بانكالور مخصصة للتكنولوجيا المتقدمة وحافات العلوم .

تضم هذه المدينة العلمية مصانع ومكاتب ودوراً سكنية لتلبية احتياجات العاملين في الصناعات الالكترونية والاتصالات والحواسيب • ويتوقع ان تحذو شركة .I.B.M وشركة AT & T حذو الحكومة السنغافورية في هذا المسعى ، كما اعربت شركات اخرى مثل موتورولا وسيمنس وتكساس عن رغبتها في إنشاء مثل هذه المدن العلمية في بعض ارجاء الهند • وتهدف هذه المدن الى جذب المستثمرين الاجانب للتعاون مع الشركات الهندية في مجالات الصناعات البرمجية المختلفة • بلغت صادرات الهند من منتوجات الصناعات البرمجية المختلفة عام ١٩٩٦ نحو مليار دولار امريكي • كما انشأت البرازيل مدناً علمية متخصصة بهدف ايجاد اعمال تكنولوجية جديدة [٥] •

الصناعة البرمجية العربية :

يعود تاريخ استخدام الحاسوب في الوطن العربي الى قرابة ربع قرن ، ومنذ ذلك الحين واعداد الحواسيب في تزايد مستمر حيث يقدر عددها حاليا نحو ٧٥٠ ألف حاسوب • ويبلغ حجم سوق الحواسيب في الوطن العربي اكثر من مليار دولار طبقا لتقديرات عام ١٩٩٣ وتتزايد بمعدل ٩ر١٠٪ بما يجعل حجم هذه السوق الان يقارب ملياري دولار • وتوضح الاحصاءات الصادرة في الولايات المتحدة الامريكية زيادة قيمة صادراتها من نظم الحواسيب الى الدول العربية خلال الفترة من عام ١٩٩٠ الى عام ١٩٩٤ بمعدل زيادة تراكمي ٥ر٨٪ وزيادة صادراتها من اجهزة الحواسيب من ١٧٣ مليون دولار الى ٢٢١ مليون دولار بتوسط زيادة ٢ر٤٪ سنويا [٢] •

من ذلك يتضح جلياً ان السوق العربي في مجال الحاسوب ، سوق صاعد ويتحرك بمعدلات نمو عالية ، ومع ذلك تفتقر بلادنا العربية الى اي انتاج عربي للحاسوب حتى الان بأستثناء بعض الجهود المتواضعة في هذا

القطر او ذاك لتجميع بعض انواع الحواسيب الشخصية • وفي مجال برمجيات الحاسوب وتطبيقاته فان الحاجة تدعو الى استخدام اللغة العربية في الكثير من التطبيقات الامر الذي يستلزم قيام صناعة برمجية عربية بدلا من الاعتماد على الشركات العالمية التي باتت تقدم خدماتها في مجال تعريب البرمجيات • وعلى الرغم من توافر قدرات عربية جيدة للبدء بالصناعة البرمجية إلا ان هذه الصناعة مازالت مهملة الى حد بعيد في معظم الاقطار العربية في الوقت الذي يقدر حجم سوق البرمجيات في الوطن العربي اكثر من ثلاثة مليارات من الدولارات في حالة تطبيق قوانين حماية الملكية الفكرية •

وتعد مصر كبرى اقطارنا العربية اكثر هذه الاقطار تطوراً ، حيث انشأت الشركات المصرية المتخصصة في الصناعات البرمجية بالتعاون مع بعض الشركات العالمية المعروفة ، وادياً مصرياً بأسم وادي الاهرامات للتقنيات The Pyramds Valley وذلك على غرار وادي السليكون الامريكي •

يهدف هذا الوادي الى انتاج سلع ومنتجات تكنولوجية في مجالات البرمجة والاتصالات والالكترونيات • يوجد حاليا في مصر ٣٠٠ شركة تعمل في مجال الحواسيب الالكترونية ، فضلا عما يقارب ٢٠ شركة متخصصة بتقديم خدمات الانترنت [٤] • ولغرض رفد الصناعات البرمجية بالملاكات العلمية فقد انشأت كليات متخصصة في علوم الحاسوب والمعلومات في جامعات القاهرة وعين شمس وحلوان والمنصورة اعتبارا من العام الدراسي ١٩٩٦—١٩٩٧ •

ويتوقع الخبراء ان تبلغ الصناعة البرمجية المصرية مستوى النجاح الذي حققته الشركات الهندية والايرلندية وشركات الكيان الصهيوني إذا ما تم حل بعض المشكلات الاساسية التي تواجهها هذه الصناعة والتي ابرزها توافر رأس المال وتعميم انتشار شبكة انترنت على اوسع نطاق ممكن ، فضلا عن

تحسين سبل تسويق البرمجيات المصرية في الاسواق العالمية باسعار تنافسية بالاستفادة من تدني اجور القوى العاملة قياساً الى الدول الاخرى • وتتركز صادرات الشركات المصرية في الوقت الحاضر على السوق المحلية والاسواق العربية الاخرى ولاسيما اسواق اقطار الخليج العربي • وتقدر حالياً قيمة الصادرات البرمجية المصرية الى الاسواق الاوربية نحو سبعة ملايين دولار سنوياً • ويعدّ هذا المبلغ مبلغاً زهيداً بالقياس الى حجم صادرات الهند والكيان الصهيوني ودول اخرى عديدة •

هندسة البرمجيات :

وحيث ان إعداد الملاكات العلمية المتخصصة في هندسة البرمجيات يعد أهم متطلبات النهوض بالصناعة البرمجية ، لذا سنسلط الضوء الآن على هندسة برمجيات الحاسوب بهدف لفت الانتباه اليها كي تتضافر الجهود الخيرة لاعداد الملاكات العلمية المطلوبة كماً ونوعاً لرفد صناعة برمجية متطورة في بلادنا ، وابتداءً نقول ان هندسة البرمجيات تتضمن مفهومين اساسيين هما : الهندسة والبرمجيات ، ويقصد بالهندسة هنا مجموعة المهارات والمعارف والعلوم التي يتضمنها عادة اي منهج دراسي في أي تخصص هندسي كالهندسة الكهربائية او الهندسة الميكانيكية او غيرها من التخصصات الهندسية الاخرى• ويقصد بالبرمجيات مجموعة برامج الحاسوب ووثائقها واساليب استخدامها وتصاميمها ومواصفاتها • ولابد من الاشارة هنا الى ان هندسة برمجيات الحاسوب هي ليست علم الحاسوب الذي يدرس حاليا في جامعاتنا ، وأنما هي تخصص هندسي يختلف تماما عن تخصص علم الحاسبات كاختلاف اي تخصص هندسي آخر عن اي من تخصصات العلوم الصرفة • كما ان هندسة البرمجيات وإن كانت تستند الى علم الحاسوب وبرمجته إلا انها تختلف عنهما بأستنادها الى المفاهيم والمهارات الهندسية ايضا ، يمكن وصف العلاقة

بين هندسة برمجيات الحاسوب وعلم الحاسوب كنوع العلاقة بين الهندسة الكهربائية او الهندسة الميكانيكية وعلم الفيزياء او نوع العلاقة بين الهندسة الكيميائية وعلم الكيمياء .

تهدف هندسة برمجيات الحاسوب الى بناء منظومات عملية لتلبية احتياجات انسانية بالاستفادة من معطيات علم الحاسوب وتقانة المعلومات ومعارف اخرى شأنها بذلك شأن أي تخصص هندسي آخر ، لذا فأنها تتطلب الالمام بعناصر الهندسة الثلاثة : التصميم والتنفيذ والادارة ، وبتطور صناعة الحاسوب ازدادت الحاجة الى مهندسي البرمجيات اكثر فاكثر ، ويقدر حالياً عدد مهندسي البرمجيات في الولايات المتحدة الامريكية باكثر من (٥٠) خمسين ألف مهندس [٦] .

يتفاوت عمل مهندس البرمجيات من منظومات تستخدم تقنية المعالج الدقيق الى منظومات كبيرة جدا تستخدم معالجات حاسوبية متعددة مما يتطلب منه التعامل مع تصاميم المنظومة بأكملها بضمنها منظوماتها الفرعية باستخدام ما متوفر من اجهزة الكترونية ومنظومات سيطرة وربما الاستعانة باساليب التصنيع المسند بالحاسوب والايعازات بمساعدة الحاسوب ، اي انه يتعامل مع جميع تطبيقات الحاسوب ولاسيما المنظومات الاكثر تعقيداً مثل منظومات الاسلحة الستراتيجية والمنظومات الفضائية . وتكتسب الاجهزة الالكترونية ومكونات الحاسوب اهمية خاصة في هندسة البرمجيات نظراً للعلاقة الوثيقة بين معمارية الحاسوب وبناء منظومات التشغيل والبرمجيات إذ قد يحتاج مهندس البرمجيات الى تحديد انواع معينة من الاجهزة لتنفيذ تصاميم معينة لبناء المنظومة المطلوبة . يتعامل مهندس البرمجيات مع منظومة الحاسوب من منظور الاجهزة والبرامج معاً . لذا يتم إعداده بحيث يكون ملماً ببعض جوانب الهندسة الالكترونية ومبادىء السيطرة النوعية ومتطلبات البيئة وبخلاف مبرمج الحاسوب الذي تنحصر مهامه في تصميم الخوارزميات وكتابة

لغات البرمجة وتشفيرها • وحيث انه يتعامل مع تخصصات ومتطلبات هندسية مختلفة ، لذا يراعى في إعداده الالمام بأساليب الادارة الحديثة واسس الهندسة الصناعية • تتطلب منظومات الحاسوب الكبيرة مثل منظومات السيطرة الصناعية والاتصالات وعمليات التصنيع المسند بالحاسوب والتصميم المسند بالحاسوب وإدارة المعلومات ومنظومات قواعد المعلومات الطبية وغيرها ، المواجهة والتعامل مع البشر مما يستلزم ان يكون مهندس البرمجيات قادراً على تحديد سلوك الاشخاص وتصرفهم عند استخدام هذه المنظومات والتصرف الجيد بتداول المعلومات • وبناء منظومات كبيرة كهذه ترافقها في العادة مشاكل كثيرة لا تختلف كثيراً عن المشاكل التي نصادفها في المشاريع الهندسية الكبيرة مثل مشاكل ادارة المشروع وضبط التكاليف واختيار الاجهزة والمعدات وتصاميم الانتاج والسيطرة النوعية • الامر الذي يتطلب إعداد مهندس البرمجيات بحيث يكون ملماً بتقنيات الحاسوب واستخدامها بصورة فاعلة وبتكلفة اقتصادية مناسبة لبناء المنظومات البرمجية المطلوبة • لذا اتجهت الجامعات الرصينة في اقطار العالم المتقدمة منذ اواخر عقد السبعينات الى أعتماد دراسات جامعية أولية في هندسة البرمجيات تعنى بتصاميم منظومات البرمجيات وبنائها وصيانتها وادامتها وتشغيلها • وقدر تعلق الامر بقطرنا العراقي فقد استحدثت الجامعة التكنولوجية هندسة البرمجيات لاول مرة على صعيد جامعات القطر وربما الجامعات العربية في العام الدراسي ١٩٩٧/١٩٩٨ حيث تم قبول اكثر من (٨٠) طالباً وطالبة دفعة اولى • ونظراً للحاجة الماسة الى هذا التخصص المهم جداً ، فأن الامر يتطلب استحداثه في جامعات اخرى ليس في قطرنا فحسب ، بل في الاقطار العربية الاخرى •

وبذلك نكون قد اسدينا لبلادنا خدمة جليلة ذلك ان تقانة المعلومات وتطبيقاتها تؤدي الى زيادة الانتاج وتحسين نوعيته وتخفيض كلفه في مجالات عديدة ، فضلا عن تحسين اداء المؤسسات وتحسين نوعية الحياة من خلال

تحسين خدمات التعليم والصحة وتطوير الانشطة الثقافية والاجتماعية وتحسين البيئة وتأمين موارد مالية اضافية بالعملات الاجنبية للنهوض باقتصادنا الوطني . كما ان تطوير تقانة المعلومات يمكن ان يؤدي دوراً مهماً بتعزيز أمننا الوطني والقومي حيث باتت هذه التقانة تستخدم بشكل واسع في الصناعات العسكرية المختلفة التي يتم تصدير منتوجاتها الى الدول الاخرى ومنها اقطارنا العربية . لذا يتطلب الامر ضمان امن المعلومات ليس في المؤسسات العسكرية فحسب بل في جميع المؤسسات الصناعية ومراكز البحوث العلمية اذ تشير الدراسات الى تزايد اعمال التجسس الصناعي والعلمي في العالم وسرقة معلومات وبحوث قد يستغرق اعدادها سنوات طويلة وتكلف مبالغ طائلة فقد قامت الشركات الصينية في السنوات الاخيرة بنقل اسرار تقنية من الولايات المتحدة الامريكية وكندا والاستفادة منها في منتوجات صناعية وتصديرها الى الولايات المتحدة وكندا باسعار زهيدة ولاسيما في مجال الصناعات الالكترونية . وقد ذكرت جريدة لوس انجلس تايمز عام ١٩٩٥ [٧] أن اولويات المخابرات قد تحولت من كشف الاسرار السياسية والعسكرية للقدرات النووية السوفيتية الى خدمة جمع المعلومات عن المواقف التفاوضية لمنافسي الولايات المتحدة الامريكية في صراعها الاقتصادي مع كل من اليابان والمانيا ، من ذلك نخلص الى ضرورة الاهتمام بأمن المعلومات وحمايتها بالقدر نفسه الذي نوليه للاهتمام بتطوير تقانة المعلومات .

اعداد الملاكات الهندسية :

تتطلب الصناعة البرمجية إعداد ملاكات علمية هندسية عالية التأهيل ورفيعة المستوى العلمي على وفق مناهج دراسية متطورة ومواكبة مستجدات هندسة البرمجيات التي تشهد تطورات علمية متلاحقة عاما بعد آخر ، ترتكز هندسة البرمجيات على ثلاثة اسس رئيسة هي :

١ ــ التحكم بالمنتوج Product Control ويشمل ذلك تأمين مصداقية عمـل المنظومة البرمجية وحسن ادائها وسهولة استخدامها •

٢ ــ التحكم بعملية التصنيع Process Control ويشمل ذلك توصيف بنـاء المنظومة البرمجية بسلسلة عمليات ابتداءً بتحديد المواصفات ومـن ثم وضع التصاميم ، وبعدها بناء المنظومة واختبارها ، وانتهاء بتحديد سبل صيانة وإدامة المنظومة •

٣ ــ إدارة المشـروع Project management تعنى ادارة المشروع بكل ما له علاقة بالتفاعل بين العاملين المسؤولين عن تصنيع المنتوج والتواصـل فيما بينهم في اطار منظومة عمل متغيرة بتغير مراحـل تصنيع المنتـوج المطلوب انتاجه ضمن فترة زمنية محددة سلفاً وبأمكانات محدودة ذلك أن الصناعة البرمجية تتنـاول تصـاميم وبنـاء منظومات برمجية كبـيرة بالغة التعقيد •

لذا فأن الأمر يتطلب والحالة هذه إعداد المناهج الدراسية لبناء الملاكات الهندسية المطلوبة بحيث يؤخذ بالاعتبار الاسس المذكورة في اعلاه بكل دقـة لضمان تخريج الملاكات الهندسية التي تحتاج اليها الصناعة البرمجية •

ولهذا الغرض يمكن اقتراح المواضيع الدراسية الاتية اساساً لبناء المنهج الدراسي لهندسة البرمجيات كأطار عام ، وتترك تفصيلاته للاقسام العلمية كل حسب ظروفه وأمكاناته •

١ ــ مواضيع السنة الاولى

ــ منظومات الحسابات — Computing Systems 1

ــ البرمجـــة — Programming

ـ نظرية الحسابات	Theory of Computing 1
ـ المنطـــــق	Logic
ـ الطرق الرياضية	Mathematical Methods

٢ ـ مواضيع السنة الثانية

ـ منظومـات الحسابـات	Computing Systems 11
ـ تصميم البرامج المتقدمة	Advanced Program Design
ـ معالجـات اللغـــــة	Language Processors
ـ تطبيقـات الحسابـات	Computing Applications
نظريـة الحسابـات	Theory of Computing 11
ـ الاحصـــــــاء	Statistics

٣ ـ مواضيع السنة الثالثة

ـ هندسة البرمجيـات	Software Engineering
ـ تكنولوجيا قواعد المعلومات	Database Technology
ـ الادارة المالية	Financial Management
ـ الذكاء الاصطناعي	Artificial Intelligence
ـ تكنولوجيا المنسق	Compiler Technology
ـ شبكات الحاســوب	Computer Networks
ـ تحليل اداء منظومات الحاسوب	Performance Analysis of Computer Systems

٤ ــ مواضيع السنة الرابعة

ــ تصميم اللغـــة	Language Design
ــ المنطــق المتقــدم	Advanced Logic
ــ تفاعل الانسان والحاسوب	Human - Computer Interaction
ــ المنظومات الخبيرة	Expert Systems
ــ معالجة اللغات الطبيعية	Natural Language Processing
ــ منظومات التشغيل المتقدمة	Advanced Operating Systems
ــ المنظومــات الموزعــة	Distributed Systems
ــ الروبوتـــات	Robotics

ولا بد ان تولي المناهج الدراسية موضوع المشروع الهندسي الـــذي ينجزه عادة طلبة كليات الهندسة في الصفوف المنتهية للايفاء بمتطلبات الشهادة الهندسية ، اهتماماً خاصاً وذلك بالتعاون مع الجهات الصناعية المهتمة بالصناعة البرمجية بحيث تتناول هذه المشاريع مشكلات هندسية من واقع الصـــناعة البرمجية ذات الصلة بأحتياجات المنطقة والبيئة العربية بصـــورة عامة • ولان مشاريع الصناعة البرمجية تتطلب العمل الجمعي ، لذا يفضل اشراك طلبـــة الهندسة البرمجية في مشاريع هندسية جمعية يشارك بانجازها اكثر من طالب واحد تحت اشراف عضو هيئة تدريسية وذلك تمهيداً لاسهامهم في بناء مشاريع الصناعة البرمجية •

بعض سبل النهوض بالصناعة البرمجية :

تتجه دول العالم الاكثر تقدماً نحو بناء مجتمعات جديدة بسبب الثـورة العلمية والتقنية التي باتت تؤدي دوراً كبيراً بتغيير مناحي الحياة المختلفـة ، وتعرف هذه المجتمعات الجديدة بمجتمعات عصر ما بعد الصناعة • أن عصـر مـابعد الصناعة هو عصر المعلومات حيث تؤدي المعلومات دوراً اساسياً لا يقل اهمية عن المواد الاولية ومصادر الطاقة الضرورية لاي تطور صناعي • ويذهب بعضهم في تصوره بأن المعلومات في الوقت الحاضر قد تكون اكثر اهمية منها في التنمية الصناعية ، لذا اولت الدول المتقدمة تقانة المعلومات والصناعـات المنبثقة عنها وفي مقدمتها الصناعات البرمجية والالكترونية إهتماماً خاصـاً • لقد ادت تقانة المعلومات الى التحام شديد بين الحواسيب الالكترونية واجهزة الاتصالات المختلفة وشبكات المعلومات التي اصبحت تشكل عصب حياتنـا المعاصرة .• يتسم عصر المعلومات بسمات عديدة لعل ابرزها انهيار الحواجـز الجغرافية بين دول العالم المختلفة بحيث اصبح العالم كأنه قرية الكترونيـة كبيرة • وبروز ما يعرف بالمجتمع الافتراضي Virtual Society التي يتعامـل فيها الناس من دون ان يلتقوا وجهاً لوجه ويتوقع في عصر المعلومات ان يحل الانسان الآلي والمعدات المتحركة ذاتياً محـل الانسان في المصـانع وتكـون المصانع وحدات صغيرة يعمل فيها اشخاص قليلون ، ولا يتوقع ان يسـتمر الفرد في عمل واحد محدد يمتد مدى الحياة كما هو عليه الحال في وقتنـا الحاضر بل ينتقل من عمل الى عمل اخر على وفق عقود قصيرة الامد ، وربما يكون العمل عن بعد هو اسلوب العمل الاكثر شـيوعاً حيث تشير بعـض الدراسات الى ان اكثر من مليوني شخص يعملون حاليا بهـذا الاسـلوب في اوربا ويتوقع الخبراء ان يصل عددهم بحدود عام ٢٠٠٠ الى اكثر مـن (١٠) ملايين موظف اوربي ، ويتسم عصر المعلومات بالعمل في الزمن الحقيقي حيث كل مواقع العمل والانتـاج والخدمات تعمـل بلا توقـف لتلبية احتياجـات

المستهلكين في جميع انحاء العالم على الرغم من الفواصل الزمنية • لقد ادت تقانة المعلومات الى إحداث تغييرات جوهرية في البنية الاقتصادية والاجتماعية في العديد من دول العالم ولاسيمافي الدول الاكثرتقدمافي المجالات الصناعية • وقد نجم عن هذا التطور ظهور نموذج أقتصادي جديد يعرف بأقتصاد المعلومات Information economy حيث تؤدي المعلومات دوراً أساسياً في النشاط الاقتصادي لا يقل في أهميته عن دور رأس المال نفسه • وعلى الصعيد الاجتماعي برزت أنماط اجتماعية جديدة تختلف تماما عن تلك الانماط التي شهدتها المجتمعات الصناعية في الحقب الماضية ، وحيث ان تقانة المعلومات تشهد تطورات مستمرة في جميع المجالات بما في ذلك الاجهزة الحاسوبية وبرامج ما يعرف بالواقع الافتراضي والمحاكاة والتعامل مع الحاسوب باللغات الطبيعية وغيرها ، ولان الصناعة البرمجية احد اهم مرتكزات تقانة المعلومات التي لا تتطلب موارد طبيعية او مصادر طاقة باهضة او رؤوس اموال كبيرة ، بل انها تعتمد على عقول مبدعة ومدربة ، لذا فأن الصناعة البرمجية هي خيار بلادنا المناسب للدخول في عصر المعلومات بقوة واقتدار •

ولاجل النهوض بالصناعة البرمجية وتطويرها نرى ضرورة اتخاذ الاجراءات الآتية :

١ ــ دعم تطوير الصناعات البرمجية وتشجيع التعاون بين المؤسسات والجهات المهتمة بهذه الصناعة بكل الوسائل الممكنة •

٢ ــ العمل على بناء صناعة تقانة معلومات متطورة لاسيما ان هذه الصناعة لا تتطلب موارد مالية كبيرة او مواد اولية غير متوفرة ، وانما جل اعتمادها على العقول المبدعة والملمة بتقانات المعلومات التي يتوفر منها اعداد جيدة في بلادنا قياسا الى البلدان الاخرى التي حققت نجاحا ملموسا في هذا المضمار •

٣ ـ اعتماد سياسة وطنية تشجيعية للصناعات البرمجية والصناعات المنبثقة عنها •

٤ ـ دعم وتطوير أقسام علوم وهندسة الحاسوب والمعلومات والبرمجيات في الجامعات العربية •

٥ ـ تشجيع أستحداث وحدات البحث والتطوير في مجالات تقانات المعلومات والحواسيب والبرمجيات في الجامعات والمؤسسات الصناعية على حد سواء •

٦ ـ أنشاء مركز بحوث تقانة المعلومات حيث تفتقر بلادنا الى وجود مثل هذا المركز في الوقت الحاضر •

٧ ـ أنشاء شبكة معلومات وطنية لربط الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات الصناعية ، وربطها بشبكات المعلومات العربية والدولية •

٨ ـ نشر الوعي بأهمية تقانة المعلومات بفروعها المختلفة وحث المؤسسات الصناعية على استخدام تقانات المعلومات في مجالات الانتاج المختلفة •

٩ ـ العمل على أنشاء اقسام علمية بتخصص تقانة المعلومات حيث تفتقر جامعاتنا الى وجود مثل هذا القسم في الوقت الحاضر •

١٠ ـ العمل الجاد على تعريب البرمجيات لتسهيل استخدام الحاسوب على اوسع نطاق ممكن •

يشهد عالمنا المعاصر بروز تكتلات اقتصادية ضخمة في اوربا وامريكــا وجنوب شرق آسيا ، وتؤدي الشركات متعــددة الجنسيات دوراً متزايداً في اقتصاديات الكثير من الدول ، وكذا الحال بالنسبة لصندوق النقد الدولــي الى حد التدخل في الشؤون الداخلية وفرض سياسات معينة على كثير من الدول ولاسيما دول العالم الثالث بدعاوى الاصلاح الاقتصادي لتأهيلها لمنح قروض مالية وفق شروط معينة تخدم مصالح الدول المهيمنة على ادارة هذا الصندوق. وبلادنا العربية التي حباها الله بثروات غزيرة وموقع جغرافي متميز في قلــب العالم حيث تطل على اهم بحاره ومحيطاته وتتحكم بعقدة مواصلاته واتصالاته وتمتلك ارثاً حضارياً وأنسانياً عريقاً ، وهي فوق هذا وذاك مهبط الرســالات السماوية . فهي اذاً والحالة هذه حري بها ان تتبوأ موقعها الانساني اللائــق بها بين امم الارض كأمة علم وحضارة أنسانية . وحيث ان الصناعة تعد عصب الحياة في عصرنا الراهن ، ولان الصناعة الحديثة تتطلب امكانات مادية هائلة ومواد اولية ومصادر طاقة وقدرات بشرية عالية التأهيل وخبرات متراكمــة ، لذا ينبغي ان تتضافر الجهود الخيرة لارساء قاعدة صــناعية صلبة لبلادنــا العربية بعيداً عن تأثيرات الدول الكبرى ، والتعامل على وفق المصالح المتبادلة بين الدول ، وتأمين امننا الوطني والقومي ، وحيث ان الصناعة البرمجية صناعة نامية في اقطارنا العربية المختلفة وذات افق واسع للتطور ، كما انها لا تتطلــب أمكانات مالية كبيرة ، ولا تتطلب مواد اولية او مصادر طاقة باهضة ، وتكاد تنحصر متطلباتها بتهيئة ملاكات علمية وتقنية في مجــالات علوم وهندســـة الحاسوب وبرمجياته وتقانات المعلومات والاتصالات والالكترونيات التـــي يمكن ان توفرها جامعاتنا العربية بيسر وسهولة . لذا يكون مناسباً ان تتضافر الجهود العربية الخيرة لبناء صناعة برمجية عربية باعتبارها احد مشاريع العمل العربي المشترك والتنسيق الصناعي بين اقطارنا العربية لما لذلك من خيرومنفعة كبيرة لامتنا العربية في عالم متغير وسريع التطور .

المصـــــادر

1 - Oakley, B.W. (1984)

Futer Prospects in Information Technology, 6th Conference On Electronics , Brighton , U.K.

٢ ــ رضوان ، رأفت (١٩٩٧)

النظام الدولي للمعلومات .. موقع الوطن العربي على خريطة العالـــم الجديد ، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية ، سلسلة دراســـات شهرية ، السنة الثانية ، العدد ١٢ ، دمشق .

3 - Peter Freeman (1987)

Essential Elements of Software Engineering Education Revisied IEEE. Transactions On Software Engineering Vol, SE - 13, No 11. November.

٤ ــ الاصفر ، وليد (١٩٩٧)

الموجة الثانية ، بايت الشرق الاوسط ، حزيران .

5 - Richaredson , M. Closer Ties Could Create (1994)

An Important New Regional AXIS , International Herold Tribune, 29 January , Singapore to Expond in East Asia , International Herold Tribune , 31 January

6 - Richard E - Farirley (1987)

Guest Editors Introduction

IEEE, Transactions on Software Engineering

Vol. SE 13, No. 11, November .

٧ ــ مصطفى ، احمد سيد (١٩٩٦)

تكنولوجيا المعلومات والتجسس التجـاري ، اخبــار الاداري ، المنظمــة العربية للتنمية الادارية ، العدد السابع عشر ، جامعة الدول العربية .

حرب الحصون في فتوح الشام للواقدي

الدكتور حسن محمد ربابعة
جامعة جرش ـ الاردن

الملخـــص

حرب الحصون في بلاد الشام للواقدي ، مشـاهد حربية بـارزة ، لـم تستوقف مشاهدَها البحثة من قبل في ضوء ما اطلـع عليه الباحث ، ولـم يستطع الشعر وحده إبرازها ، فقد عجز عن اكتناه فنونها الحربية ، وعليه فلابد من تعزيزه بالدرس التاريخيّ لتجلية مشاهده ممن اسعر اوار الحرب دفاعـا وهجوما ، ولذا فقد اطـل الباحث على مشـاهد من حرب الحصـون ، مـن اربعة محاور هي :

١ ـ الحصن : لغـة واصطلاحـا .
٢ ـ قادة حرب الحصون : روماً ومسلمين .
٣ ـ فنون من حرب الحصون .
٤ ـ الخدمات الادارية في حرب الحصون .

أما المحور الاول فبيّن تجمد معناه اللّغوي عند معناه الظاهري كبناء ، ولم ينفذْ الى عالمه الداخلي من تسليح وحراسة ، مما يشي بضرورة متابعـة تطور معناه حسب تدرج العصور وتطوّر دلالاته من حيث بناؤه وتسليحه .

اما المحور الثاني فدرس الباحث ملامح من سـمات القادة النفسـية ، والجسدية والثقافية وتشكلها في حرب الحصون .

اما المحور الثالث فأطل الباحث على مشاهد من فنون حرب الحصـــون ، كتشكيل الدوريات ، والنار والحركة ، والانسحاب المدبّــر ، والاحاطـــة ، وتوزيع الواجبات والخدعة وغيرها .

اما في المحور الرابع فرصد الباحث مشاهد متنوّعة للغنائم والاطعـــام والإلباس ، والطبابة ومراسم الفتح ، واماكن استراحة الجند ، وابرز حنـين الاسير المسلم الى وطنه على انها زفرات شعرية يردّدها وهو في قبضة الروم .

مقدمة

لا ريب في انّ الشعر وحده يقف عاجزا عن تبيان فنون الحرب كاملة في سوح القتال ، كما يعجز عن إبراز مشاهد التخطيط للحرب ، ولا تستجلي بالشعر فنون القيادة ، وخدماتها الادارية أتونات المعارك المستعرة ، اذ ليس هذا من واجب الشعر وحده ، فلابد إذن من إعانته ــ أحيانا ــ بالدرس التاريخي ؛ بما فيه من قَصٍّ حدثي ، أو سرد وقائعي ، لنشكل من هذه كلها صورة لفنون الحرب ؛ نشهد معها وبها منازلة الابطال ، في ميادين القتال ؛ او ما يُصاخ لصيحات الجند في إدبار وإقبال .

ولعل الدرس التاريخي ، وما سجلته كتب الفتوحات ، واخبار الحروب ، خير أدلة على مشاهد النزّال، وابرازها دونما مبالغة، لاسيما اذا سَرَدَ وقائعها مؤرخ تراثي قديم كالواقدي المتوفى سنة (٢٠٧هـ) في كتابه الموسوم بـ (فتوح الشام) ؛ إذ ينقلها بالرواية المعنعنة ، ويستشهد عليها برواة ستة ؛ يُدْرِجُ أسماءهم في السطور الاولى من مقدمته[1] . هذا ، وقد دفعني الى بحثي هذا دافعان هما : توافر مادة البحث ، وندرة الدراسات فيه . اما توافر المادة فخصبة فاجتزأت منها ما وسمته بـ « حرب الحصون » لما كان لها من دور في تأخير الفتوحات الاسلامية زمنا غير قليل ، يمتد احيانا ثمانية اشهر ويزيد ، ولما وُظِّفَ فيه من أفانين الحصار الذي اتخذ دفاعا متحركا في اكثر الاحيان ، فطُبِّقت مراحل الحرب من دفاع وهجوم وتقدم وتراجع ، وبأفانين من عمليات عسكرية شتى ، فيدرك المتلقي فيها محاملة لتواصل التاريخ ، ويستذكر امجادا غراء ، وأياما خالدات ، مازالت مطرزة بتضحيات خلت ؛

---

(١) الواقدي ؛ ابو عبدالله بن عمر ، الطبعة الرابعة (القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٦) جزءان ، المقدمة .

للمجاهدين السلف ، وها هي ظلت منقوشة بعزة على بعض رايات من الخلف وهي مخضبة بدماء الشهداء ؛ على انها مَثَّلتْ عليا نصرا واستشهاداً ؛ فكم تدخل فيها نصر معجز ؛ فجُنْدُ السماء لم تكن ببعيد عن جند محمّد ــ صلى الله عليه وسلّم ــ وصحبه في فتوح الشام ، ومن هنا فلا يداخلك العجب اذا فجأك نصرهم على « دولة الروم الكبرى » ؛ وهم يتفوقون على المسلمين بنسبة (١٣ : ١) على ما نأخذه من أقل الروايات شهودا في موازنتنا بين القوى.

وأما نُدرة الدراسات المختصة في هذا المجال فواردة ، اذ لم اطّلعْ على بحث ادبي تاريخي يستوقفني عند حرب الحصون ، وان كان الدكتور شوقي ضيف قد اومض في خمس صفحات صغار شيئاً من شعر الفتوحات الاسلامية ، واقتصره على ما قيل في « حرب القادسية »[٢].

أما منهجي في بحثي هذا ، فاعتمد درس النص التراثي ، ومواجهته مباشرة ، فقلما اشير الى مرجع سواه ، لما للسببين الاتي الذكر من دور ، ولان ثمة صلة احسبها مازالت قائمة بين الباحث الحديث وتراثه القديم .

ولا مراء في ان لشعر الحرب صولجانه في « فتوح الشام » وإن كان قليلا ، اذ يلتمع فيه شواهد عند حشد الجيوش ، وقبيل مبارزة الفرسان ، وعندما يحزب الامر وتشمّر الحرب عن ساقها ؛ فنلحظ تباهي قادة الجيوش المتحشدة في المدينة المنورة على مسمعي ابي بكر الصديق وناظريه ، فيبتسم الصدّيق ــ رضي الله عنه ــ وهو يصيخ الى قطعة من شعر يلتهب حماسة وحمية ، ونخوة يمانية ؛ تزهو بسيرة حمير الحربية ، وباستعداده لفتح دمشق حاضرة الشام آنذاك فيقول ذو الكلاع الحميري :[٣]

---

(٢) ضيف ، شوقي (الدكتور) : العصر الاسلامي ، الطبعة السابعة (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٣) ص‌ص ٦٢ــ٦٧ .

(٣) الواقدي ، ابو عبدالله بن عمر : فتوح الشام ، ص ٣.

أتتك حِمْيَرٌ بالأهلين والولـد اهلُ السوابق والعالونَ بالرتب
أُسدٌ غطـارفةٌ شـوسٌ عمالقة تردي الكماة غداً في الحرب بالقضب
الحربُ عادتنا ، والضَّربُ هِمتنا وذو الكلاع دعا في الاهل والنسب
دمشقُ لي دون كل الناس اجمعهم وساكنيها سأهويهم الى العطب

كما يستبشر بمقدم كتائب مذحج اليمانية ـ وكانت اول من لبى نـداء الفتوح ، وهي تطل على المدينة المنورة ، وعلى رأسها قائدها عيسُ بن هبيرة ، يحيِّي الصِّدِّيقَ ، ويضع نفسه واهله في خدمة الجهاد :(٤)

أتتـك كتائـبٌ منـا سراعـا ذوو التيجان ؛ أعنـي مـن مـراد
فقدِّمنـا امامـك كـي ترانـا نبيـد القـوم بالسـيف النجـادي

وفي أتون المعركة ، وقبيل اسر ضرار بن الازور ، يعطف ـ سيف الله المسلول ـ بالناس قائلا : « أطلقوا الاعنة ، وقوّموا الاسنة ؛ فاذا اشرفتم على العدو ، فاحملوا حملة واحدة لنخلِّصَ فيها ضرار إن كانوا ابقوا عليه ، وإن كانوا عجّلوا عليه لنأخذنّ بثأره إن شاء الله تعالى ... » ثم تقدم القوم وامتطى صهوة جواده ، وحمحمت الخيول ، وجلجلت الاسلحة ، فارتجـز ـ سيف الله المسلول ـ يحثهم على صدق اللقاء ، والاستهانة بالموت ، فشحذ همم الرماح والسيوف ، لتهتك دروعهم وتخترق خوذهم ؛ فإما النصـر وإما الشهادة ؛ رجز دموي ناري يتحدى ؛ فيسـتعذب الموت عند سـماعه وهـو يـدوّي :(٥)

اليومَ يومٌ فـازَ فيه من صَدَقْ لا أرهبُ الموتَ اذا الموت طَرَقْ
لأروينَّ الرُمْحَ من ذوي الحَدَقْ لاهتكنَّ البيض هتكـا والدَّرق
عسى ارى غـدا مقـامَ من صدقْ في جنة الخلـد ، والقى من سـبق

(٤) المصدر نفسه ص ٣ .
(٥) المصدر نفسه ص ٣ .

ويعذب الشعر عندما يحزب الامر ، وتشمّر الحرب عن ساقها ، ويتراجع بعض الفرسان من لظاها المستعر ؛ فتضرب النسوة وجوه الخيل ، وتقـذف بالوُلْدِ امامها ، ويَصْرُخْنَ بهم اتتركونا لعلوج الروم ؟! فيستحيون من مواقفهم ، ويعودون الى لظى الحرب سراعا ، وقد توقد العـزم في نفوسهم ، فالموت ساعتئذ اهون عليهم من تقريع ربات الخدور لهم ، وهن ينشدن :[٦]

يـا هاربـاً عن نسـوة ثقـات لهـا جمـال ولهـا ثبـات
تسـلموهـن الـى الهنـات تملـك نواصـينا مـع البنـات
أعـلاج سـوءٍ فُسّق" عُتـاة" ينلـن منّـا اعظـم الشـتات

وبعد ؛ فهذه مشاهد من لوحات الحرب نستجليها في « فتوح الشام » وقد قسمت بحثي الموسوم بـ « حرب الحصون في فتوح الشـام للواقدي » أربعة محاور هي :

١ ــ الحصن : لغة واصطلاحاً .

٢ ــ قادة حرب الحصون : روماً ومسلمين .

٣ ــ فنون من حرب الحصون .

٤ ــ الخدمات الادارية في حرب الحصون .

وأحسب أني بمنهجي هذا أدخل زاوية شاغرة من زوايا ادب الحرب ، فإن تكن فبها ونعمت ؛ اذ فيها راحة الجاهد ، وغبطة الباحث ، وإن كانـت الاخرى فحسبي أني اجتهدت ، وللمخطيء نصيب من أجـر ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت وإليه انيب .

---

(٦) المصدر نفسه ص ٦ .

١ ـ الحصن لغــة واصطلاحــاً

تكادُ تَجْمعُ معاجمُ اللغة ، قديمها وحديثها على ان الحِصْنُ لغةً هو كل موضع لا يوصل الى ما بجوفه ، وهو الموضع المنيع الذي لا يقــدر عليه لارتفاعه ، وحصّن القرية بمعنى بنى حولها •[٧] و[٨] و[٩] و[١٠] و[١١]

ويتَفْهَمُ مما سبق ان تعريفات الحصن لغة ركّزتْ عليه من حيث هــو بناء مرتفع ومنيع ويحيط بالقرية ، ولا يدخل الى جوفه لتحصينه ، وهــذا ــ كما ترى ــ تعريف عام يعوزه الدقة ؛ ذلك لان نظام بناء حصون بلاد الشام غير واحد ، فمنها ما كان حصونها تحيط المدينة ، شأن حصن بُصرى ، ودمشق، والرَّسْتَن ، والشيزر ، والقدس • ومنها ما لم يكن يحيط بالمدينة بل أحاطَ بقلعة حلب دون المدينة نفسها • كما اقتصرت المعاجم على تعريف الحصن مــن حيث هو بناء مرتفع لا يقدر عليه لارتفاعه ، وهي نظرة شكلية ، والحق ، فقــد كان يُحمى بأسلحة متنوعة هي التي كانت تمنع العدو من الدخول اليه حسب مدياتها في اجراءات المعركة الدفاعية ، من منجنيق ترمي العدو بالحجارة علــى مسافات بعيدة ، شأن نصبهم منجنيقاتهم في قلعتي حلب والقدس[١٢] • ثــم

---

(٧) الرازي ، محمد بن ابي بكر : مختار الصحاح (دمشق : دار كثير ، د.ت) مادة « حصن » .

(٨) ابن منظور : عبدالله بن محمد بن مكرم : لسان العرب (بيروت : دار صادر ١٩٩٨) مادة « حصن » .

(٩) الفيروزابادي مجد الدين : القاموس المحيط ، ط٤ (القاهرة : دار المامون المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ١٩٣٨) ، مادة « حصن » .

(١٠) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، ط٤ (القاهــرة : دار المعارف ، ١٩٨٣) مادة « حصن » .

(١١) الفيومي : احمد بن محمد بن علي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبــير للرافعي (القاهرة : د.ت) مادة « حصن » .

(١٢) الواقدي : فتوح الشام ، ص ١٧٧ ، وص ١٥٩ .

يقاومونه بالنشاب والنبْل والسهام ؛ وبعض السهام كانت مسمومة يغلي لهيبها في جسد المصاب شأنها في جســد إبّان بن عثمــان بن عفــان ــ رضـي الله عنهما ــ[١٣] الى أن يقاوموا عدوهم بالسيف والحراب ، في مهارشة نهائيــة داخل الحصن ، كآخر اجراء في تسلسل المعركة الدفاعية . وللحصون ابواب حديدية قوية تستعصي على الفاتحين ،ويبدو ان فتحها لا يتم الا من الداخل ؛ مما يعني تهالك الفاتحين على اتخاذ اجراءات شــتى لفتــح ابواب الحصــن من الداخــل .

وللحصون غير باب للدخول اليه والخروج منه ؛ فَحِصْنُ دمشق كان له سبعة ابواب هي : باب الفرج ، والباب الشرقي ، والباب الصغير ، وبــاب الجابية ، وباب السلامة ، وباب توما ، وباب الفراديس[١٥] . ولحصن حمــص اربعة ابواب هي : باب الجبــل ، وباب الصــغير ، وباب الشــام ، وبــاب الرَّسْتَن[١٦] ولحصن القدس باب واحد هو باب اريحا[١٧] وملخص القول : فإن البناء المنيع للحصن ليس وحده الذي كان يمنع الولوج إليه ؛ بل ينضاف اليه حماية قوية تمنع الخصم من اجتياحه . وتسمية الابواب تدل احيانا علــى تعيين جهته في الحصن كحصن الباب الشرقي ، والجابية الجنوبي ، او تســمى بأسماء بعض البطارقة كباب « توما » احد ابواب حصن دمشق .

وقد يدل اسم الباب احيانا على اتجاه موقع المدن من حوله ، كمــا في حصن الرَّسْتَن الذي يدل الباب القبلي فيه على ان موقعه كان شمالي حمص بدليل اسمه (باب حمص)[١٨].

---

(١٣) المصدر نفسه ص ١٣ . (١٤) المصدر نفسه ص ١٨ .
(١٥) الواقدي : فتوح الشام ص ٤٤ . (١٦) المصدر نفسه ص ٩٥ .
(١٧) المصدر نفسه ص ١٥٩ . (١٨) المصدر نفسه ص ٩٨ .

وتوكّلُ مهمة الدفاع عن الحصن لبطريق ، يأتمر بامرته عشرة آلاف مقاتل بين رَجَلَةٍ وفرسان ، على ما نفهمه من مصطلح بطريق[19].

غير ان عدد الجند ممن يأتمر بأمر البطريق ، قد يرتفع الى اثني عشر ألفاً ، وذلك في ضوء تطور المعركة الدفاعية ، وما يتطلبه الموقف الدفاعي عن الحصن المهدد ، وهذا ما نلحظه في عدد جنود حُصني : بُصرى ودمشق[20].

وكان في بعض حصون الشام قصور للبطارقة كقصر بُصرى[21] وفي بعضها « خزانة سلاح » توزع اسلحتها على الجند بأمر البطريق شخصيا عند الطوارىء ، كما تم في قلعتي بُصرى وحِمْصٍ[22] وكان يخطط اداريا لتخزين المؤن ومواد الاعاشة ، لمقاومة الحصار المفروض عليها مدة طويلة ، حيث يُدّخر البُرُّ في « جُبٍّ كبير » كالجُبِّ الذي غص بالغذاء في حصن حِمْصٍ[23].

وكان في بعض الحصون كحصن حلب ميادين واسعة ، تتسع لاكثر من خمسة الاف فارس ، مستعدين لشن هجومات ، والغارات والسلب ، ولدرء العدو عنهم[24].

وفي بعض الحصون غير كنيسة ، اذ كان في حصن دمشق اربع منها ، وفي حمص كنيسة جرجيس ، وكان لها واجبات في حرب الحصون ، اذ يُعقدُ فيها مجلس الحرب ، وبها يبخر البطريق ، ويدعى له ، وفيها يُصلّى عليه صلاة

(19) انظر مصطلح بطريق عند كل من :
- قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسن الزبيدي (بغداد ، دار الرشيد د.ت) ص ١٨٩ .
- الفيروزابادي : القاموس المحيط مادة « بطرق » .

(20) الواقدي : فتوح الشام : ص ١٦ وص ١٩ .

(21) المصدر نفسه ص ١٨ .

(22) المصدر نفسه ص ١٨ ، وص ١٠١ .

(23) المصدر نفسه ص ١٠١ .

(24) المصدر نفسه ص ١٧٢ .

الجنازة ، قبل خروجه لساح الوغى ، من ابواب الحصن[٢٥] . كطقوسهم في كنيسة جرجيس بحمص[٢٦].

هذا ، فالحصن اصطلاحاً على ما ذكرنا هو كل موضع منيع بناؤه ، عالية اسواره ، يُحمى بصنوف من اسلحة شتى على نحو من توضيع دفاعـــي في إجراءات معركة دفاعية ، وهو مشحون بالعُدّة والعَدَد من الجند ، ويكدس فيه تموين كاف بخطة ادارية مدروسة بوعي تام ، ويتسع للفرسان والرَّجَلَة بما قد يزيد ــ احيانا ــ عن إمرة البطريق المخصصة لرتبته العسكرية ، وذلـك تحسباً لنجدات عسكرية فيما بعد ، وهو بالتالي موقع عسكري حصين مستقل اداريا وعسكريا ، ليصمد مدة محددة ، وربما يتم انجاده من قياداته العليا .

ولعل اهم الحصون التي دار الصراع لفتحها صلحاً او حرباً ، او بوسائل اخرى ، ادرجت حسب تسلسل سير المعارك في فتوح الشـــام هي : حِصـــن بُصرى[٢٧] وحِصن دِمَشْقَ ، وحِصن أبي القُدَس (قرب حمص)[٢٨]

---

(٢٥) المصدر نفسه ص ٥٠ . (٢٦) المصدر نفسه ص ١٠٢ .

(٢٧) انظر مادة بصرى التي تَعَدُّ كورة من اعمال دمشق عند :
ــ الحموي ، ياقوت : معجم البلدان (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٩٧٩) مادة « بصرى » .
ــ البغدادي ، صفي الدين بن عبد المؤمن : مراصد الاطلاع على اســماء الامكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط٢ (القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي وشركاه ، ١٩٥٤) مادة « بصرى » .
ــ الحموي ، ياقوت : كتاب المشترك وضعاً والمفترق صـقعاً ، ط٢ ، (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٦) . مادة بصرى ص ١٤٧ ، ١٩١ ، ٢١٥ ، ٢٤٤ ، ٤١٦ .

(٢٨) الزبيدي : السيد محمد مرتضى الحسيني : تاج العروس من جواهــر القاموس ، تحقيق محمود محمد طناجي ، ١٩٧٦ (دار الهدية والتوزيع ، د.م) ج١٦/٣٥٦ مادة « قدس » .

وحِصن الرشين (قرب حماة)[٢٩] وحصن الرَّسْتن (بين حماة وحمص)[٣٠] وحِصن القدس ، وحِصن حلب ثم حصن انطاكية[٣١].

٢ ـ القادة : روماً ومسلمين في حرب الحصون

برزت في حرب الحصون اسماء لابرز القادة ؛ من روم ومسلمين ، بلباسهم وفروسيتهم وثقافتهم ، وتجمّع قواتهم واستخباراتهم ، واتصالاتهم وحربهم النفسية ، وفنون قتالهم ؛ وهم بين مدافع عن الحصون ومهاجم لها ، يمكن ان ندرسه مشجّراً على النحو الآتي :

أ ـ القادة الروم في حرب الحصون

ابرز اسمائهم	لباسهم	ثقافاتهم	تجميع قواتهم	استخباراتهم	اتصالاتهم	الحرب النفسية	فنون قتالهم

لمعت في فتوح الشام اسماء قادة من الروم والمسلمين في حروبهم ، فمن ابرزهم ؟ وما تأثيرهم على الموقف العسكري في مراحل الحرب من تقدم وتراجع ودفاع وهجوم ؟

---

(٢٩) الواقدي : فتوح الشام ، ص ٧٥ .

(٣٠) موقع حصن الرَّسْتَن على نهر ميماس (العاصي) المار امام حماة ومكانه بين حماة وحمص في نصف الطريق .
ـ الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٩٧٩) مجلد ٤٣/٣ . مادة « رستن » .
والفيروابادي : القاموس المحيط ، مادة « رستن » .

(٣١) الواقدي : فتوح الشام ، ص ١٨ ، ٦٢ ، ٧٥ ، ٩٨ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ٢٠١ .

أما أبرز قادة حصون الروم في بلاد الشام فهم : روماس والديرجان قائدا حصن « بُصرى » وعزازير وكلوص وبولص قادة حصن دمشق ؛ الاولان في مرحلة دفاعهم الاول عنها ، والثالث قائدها في المرحلة الثانية من دفاعه عنهـا ، وهربيس بطريق « حِمْصَ » في المرحلة الاولى والثانية من مهاجمتها ، ومنهم نقيطـاس بطريق حصن الرَّسْتَن ، و « ونكس » بطريق حصـن الشـيزر وهربيس بطريق بعلبك ، ويوقنا بطريق حلب . وتوما بطريق دمشق في المرحلة الثانية ، ومن خلال دراسة سيرهم الحربية تبين ان منهم « توما » كـان زوج بنت هرقل ، وقد عُيّنَ بطريق دمشق ، وكان ممن عرف بالشجاعة وتأبـى الصلح مع المسلمين[٣٢] .

ومنهم من كان على خلاف مع بطريق آخر ، وكل يكيد لخصمه شـأن بطريقي دمشق « كلوس وعزازير » ، فأسرهما خالد بـن الوليد ، وضـرب عنقيهما ضرار بن الازور ، امام حصن دمشق لتأبيّهما الدخول في الاسلام[٣٣] كما كانت المكايدة والتنافر بين بطريقي بصرى الديرجان وروماس من قبل[٣٤] فأسلم روماس ، واصطحبه خالد بن الوليد « ترجماناً » له ، وكانت يـده كَفّتْ عن العمل ، لما حاول ان يخذلهم عن حرب المسلمين واوصاهم بالصلح ، فألزموه قصره ، فنقب عبيده سوراً من حصن بصرى ، واوعز الى خالـد ان يرسل جنداً لفتحها ؛ فتم له ذلك[٣٥] .

وبعض البطاريق نحو « بولص » بطريق دمشق ، كان ذا معنوية قتالية ؛ اذ طارد ابا عبيدة بعد ان قرر الرحيل عن دمشق الى اجنـادين ، واوقع خسائر في مؤخرة جيشه ، واسر بعض النسوة العربيات ، وكان على رأس ستة الاف فارس و(١٠) عشرة الاف رجل[٣٦] ومن البطارقة « يوقنّا » بطريق حلب الذي

---

(٣٢) المصدر نفسه ص ٣٢ . (٣٣) المصدر نفسه ص ٤٤ .
(٣٤) المصدر نفسه ص ١٦ و١٩ . (٣٥) المصدر نفسه ص‌ص ١٨ـ١٩ .
(٣٦) المصدر نفسه ص ٣١ .

قتلَ اخاه ارضاء للمسيح ، لان كان يخذل جنده عن مقاتلة المسلمين ، وكـان شديد البأس ، قوي الحيلة ؛ شن فنونا من الحرب ؛ كالغـارات الليلية علـى المسلمين ، واوقع بهم خسائر فادحة(٣٧).

ويبدو انثقافتهم كانتعالية، واغلبهميفهمون اللغةالعربية والرومية ؛ منهم « البطريق عزازير والبطريق توما ، ورومـاس بطريق بصرى » ؛ الذي كـان عالما بما في بطون الكتب من الديانات السابقة ، ويفهم العربية ، ويقال مثـله ان هرقل كان يخاطب الاسرى دونما ترجمان(٣٨) . مما يحمل على الظن « بان ملوك الروم والبطارقة لا يستقيم ملكهم ، إلا بعد ان يتعلموا لسان العربية»(٣٩) واما لباسهم الحربي فكثير الزينة ؛ يلمع عليه الاحمر والياقوت(٤٠).

ولباس الحرب عندهم الدرع المتنوع ، وعلى رأسه بيضـة « خوذة » ، ومعه سيف قاطع(٤١) ، ويُقَدَّمُ للبطريق جواد يمتطي صهوته للقتال ، وبعض البطارقة من يلبس الديباج المحشو بالفرو ، والزرد الصغار المضعف العـدد ، ويلبس فوقها درعاً من ذهب احمر ، ويعلق في عنقه صليباً من الياقوت يستنصر به ، ويتقلد بسيف هندي ، ويقدم له مهر كالطود العظيم ؛ فيستوي علـى ظهره ، ويخرج من الحصن يطلـب النزال(٤٢) ، وبعضـهم كـان يُسَرَّجُ في فرسه(٤٣).

وأما ابرز اسلحة الروم ؛ فالسيوف والرماح ، والنشاشيب والحـراب ، والدرق والجواشن ، والزرد الفاخرة ، هجوماً ودفاعاً(٤٤) وأما تجميعهم فضم

---

(٣٧) المصدر نفسه ص‌ص ١٧٠–١٧٣.
(٣٨) الواقدي : فتوح الشام ص ٢٣ ، ٤٨ و ٢٠١ .
(٣٩) المصدر نفسه ص ٢٠٧ .
(٤٠) المصدر نفسه ص ١٧ .
(٤١) المصدر نفسه ص ٤٨ .
(٤٢) المصدر نفسه ص ٤٨ و١٠٢ .
(٤٣) المصدر نفسه ص ٢١١ .
(٤٤) المصدر نفسه ص ١٠٢ و١٥٩ .

الصليبية العالمية من متنصرة وقناطر ، ملك الروسية ، وجرجير ملك عمورية وملورية ، والديرجان صاحب القسطنطينية ، وماهان ملك الارمن[٤٥] كما انضم اليهم اليهود[٤٦] . كما حشد متنصرة جبلة من الايهم جيشاً مقداره ستون الفاً ، وقد بلغت جيوش الروم ومن تحالف معها حوالي (٦٠٠ر٠٠٠) ستمائة الف محارب[٤٧] وعدد المسلمين (٤٧ر٠٠٠) سبعة واربعون الفاً بنسبة (١٣ : ١) هذا اذا اعتمدنا اقل الروايات تقديرا للقوى البشرية .

وكان لقادة حرب الحصون استخباراتهم ؛ التي تأتيهم بالخبر اليقين ، عن تحركات جيوش المسلمين وقادتهم ؛ لاتخاذ الاجراءات المعاكسة ضد المسلمين ، فقد وصلت اليهم استخبارات دقيقة عن تحركات خالد بن الوليد من العراق الى بُصرى الشام[٤٨] وكان من وسائل استخباراتهم جواسيس الروم من متنصرة العرب ، ممن يحسنون لسان الرومية والعربية ، وقد استخبروا امر مجموعة من المسلمين في اثناء طلبهم الميرة إبّان حصار حلب ، فاغتنم البطريق يوقنا فرصة انفرادهم وضعف اسلحتهم فهاجمهم بغارة فقتل فيها وسلب[٤٩] . وكان للجواسيس دورهم في الدلالة على مواقع تقتيل المسلمين[٥٠] . ومن وسائل استخباراتهم الرّعاءُ وابناء الغساسنة يستخبرونهم عن مواقع القوة والضعف في جيوش المسلمين[٥١] ومن وسائل استخباراتهم السّاقطة وهم التجار النصارى ، ممن ابلغوا عن تحركات المسلمين من المدينة الى الشام[٥٢] .

ومن وسائل استخباراتهم بَثُّ الجواسيس بين جيوش المسلمين المحاصِرة بحيث تُبْلغُ اخبار المسلمين بمعدل كل ساعة مرة[٥٣] .

---

(٤٥) المصدر نفسه ص ص ١٠٦–١٠٧ . (٤٦) المصدر نفسه ص ١٧٩ .
(٤٧) المصدر نفسه ص ١٢٤ . (٤٨) المصدر نفسه ص ١٦ .
(٤٩) المصدر نفسه ص ١٧٩ . (٥٠) المصدر نفسه ص ١٧٩ .
(٥١) المصدر نفسه ص ١٧٩ . (٥٢) المصدر نفسه ص ٩ .
(٥٣) المصدر نفسه ص ١٨٠ .

كما ان من وسائل استخباراتهم الاستطلاع بالقوة المسلحة ، اذ يقدم البطريق عيونا له من جيشه ، يأتونه بالاخبار خارج الحصن ، فيقدر عدد قواتهم ، ويتخذ اجراء بنصب كمين يفجؤ المسلمين به ، فيوقع بالمسلمين خسائر غير متوقعة(٥٤).

ومن وسائل استخباراتهم تحليل المعلومات الى استخبارات ، شأن البطريق هربيس ، بطريق حمص الذي حلل هجوم العبيد المسلمين على القلعة بسيوفهم ، بأنه يعني ان لا قيمة عندهم للروم(٥٥).

واما اتصالاتهم التي يبلغون بها اوامرهم فيما بينهم ، فكانت بوسائل ابرزها : خيل البريد ، إذ ارسل من هرقل الى « وردان » يقضي بتعيينه على جيوش اجنادين بعد هزيمته(٥٦) ومنها الحمام الزاجل اذ يطلقه جاسوس نصراني من حمص الى عزاز يبلغه باسلام البطريق « يوقنا » ، وانه قادم اليه لقتله ، فيحترز بطريق عزاز ويأسر يوقنا(٥٧) ومن وسائل اتصالاتهم المراسلات من الحصون المحاصرة الى هرقل ، يحملها مراسل او معاهد بعد ان تدلّى الرسالة من فوق الاسوار بحبل ليلا ، فينقلها الى المرسل اليه ، ويعيد جوابها بالطريقة نفسها(٥٨).

ومن وسائل اتصالاتهم الداخلية ، الرموز والاشارات ، والاصطلاحات كدق الناقوس دقاً خفيفاً ، مما يعني امراً بخروج الجيش من ابواب حصن دمشق ، استعداداً للهجوم ليلا على المسلمين(٥٩).

ومن الاشارات التي تعد اتصالا ، تقليب احد المتنصرة عباءته ، في جيش

---

(٥٤) المصدر نفسه ص ١٧٢ .　(٥٥) المصدر نفسه ص ٩٦ .

(٥٦) المصدر نفسه ص ٢٩ .

(٥٧) المصدر نفسه ص ١٩٣ ، وقلعة عزاز شمالي حلب (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤/١١٨ مادة « عزاز ») .

(٥٨) المصدر نفسه ص ٢٤ .　(٥٩) المصدر نفسه ص ٤٨ .

ابي عبيدة ، وهو يحاصر حصن حلب ، على انه اتصال فيما بينه وبين غيره من داخل الحصن ، حتى كشفه خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ [٦٠] .

وأما اتصالاتهم مع قادة المسلمين المحاصرين ، فكانت عن طريق المعاهدين ومن الوفود ، وقد تكون المراسلات فيما بين البطريق والقائد المسلم ، وقد يكون عن طريق البطريق نفسه ، عندما ينخذل في قتاله فيطلب المقابلة ، ويوقع الصلح مع قادة المسلمين[٦١].

واما الحرب النفسية فتعني « مجموعة اعمال تستهدف التأثير على افراد العدو وقادتهم فتخلق تصورا ما في العدو او تنفي تصورات ما عنه ، عن طريق الدعاية او بالعمليات العسكرية الاستعراضية »[٦٢].

والحرب النفسية ميدانها العقل والنفس والروح ، وهدفها حمل الخصم على فقدان الثقة بنفسه ومقدرته وطاقته ، بحيث يبدو كأنه صار مغلوبا دونما قتال ، وذلك بالسيطرة على إرادة القتال فيه ، وشل تفكيره ، وحمله على الاقتناع بعجزه [٦٣]. فكيف كانت حرب الروم النفسية في حرب الحصون ؟ وما وسائلهم فيها ؟ والحق فقد طبق قادة الروم الحرب النفسية بوسائل منها :

تفاخر بعض البطاريق باسمه « عزازير » ملك الموت لارعاب خالد بن

---

(٦٠) المصدر نفسه ص ١٨١ .

(٦١) المصدر نفسه انظر حصار حمص ص ٩٥ ، والمراسلة بين ابي عبيدة وبطريق حمص « هربيس » ، والمهادنون يطلبون صلحا دون علم بوقنا بطريق حمص ص (١٧٥) . وفتح القدس وبطريقها يوقع مع الفاروق صلحا ص ١٦٧ وبطريق دمشق يوقع صلحا مع ابي عبيدة دون علم خالد بن الوليد القائد العام آنذاك ص ٥٠ .

(٦٢) الايوبي ، هيثم وزملاؤه : الموسوعة العسكرية ، ط١ (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨١) الحرب النفسية مجلد ١/٢٦٧ .

(٦٣) صفا ، محمد اسد الله (عقيد) : الحرب ، ط١ (بيروت : الشركة اللبنانية للطباعة والاعلام ، ١٩٨١) ص ٢٦ .

الوليد بقوله « أنا الذي تسميت باسم ملك الموت ، اسمي عزرائيل » فضحك خالد منه وقال : « أيا عدو الله تخوفني باسمه وهو طالبك ومشتاق إليــك ليرديك الى الهاوية ؟: انا خالد ابن الوليد ، او ما سمعت باسمي ؟! انا فارس الشام ، انا قاتل الروم والفرس ، انا كاسر عساكر الترك » ثم اسره خالد(٦٤) . وكان بعضهم يزعق في وجه البطريق لإرهابه ، على نحو من حرب نفســية ، شأن زعقات خالد بن الوليد في جيش بصرى ، وبعض قادة المسلمين(٦٥) . ومن حربهم النفسية قتلهم الاسرى المسلمين ، امام المسلمين المحاصرين حصن حلب، وكان عددهم خمسين اسيرا ، وهم يوحدون الله ويهللون(٦٦).

ومن حربهم النفسية ، قتلهم من يدعو البطارقة الى الصلح مع المسلمين ، او من صالحهم ، او كل من شجع على الصلح ، حتى وإن كان اخاه ، شـأن البطريق يوقنا بطريق حلب اذ قتل اخاه يوحنا ، وعددا ممن صالح المســلمين على حلب بدون امره(٦٧).

ومن حربهم النفسية زَجْرُ بعض البطارقة زوجه ، لما تراءى لها مصير زوجها صريعاً في حلم ، فلطمها وقال البطريق بولص بطريق دمشق « لقــد دخل رعب العرب في قلبك حتى صرت تحلمين بهم في النوم ؟! »(٦٨).

وبرز من واجبهم في حربهم النفسية ، رفع معنويات جيوش الروم ؛ فمنع هرقل دخول البطارقة الهَرَبَةِ ومن معهم ، بعد ان صالحوا على دمشـــق – منعهم من دخول انطاكية التي كان يجهز فيها الجيوش الرومية – خشــية إرعاب الجيش ، وامرهم بالتوجه الى القسطنطينية(٦٩).

وليرفع هرقل من معنويات القادة ، منّــى بعض البطارقــة « وردان »

---

(٦٤) الواقدي : فتوح الشام ص‌ص ٢٢–٢٣ .

(٦٥) الواقدي : فتوح الشام ص ص ١٣–١٤ و ص ٢٨ .

(٦٦) المصدر نفسه ص ١٧٨ . (٦٧) المصدر نفسه ص ١٧٦ .

(٦٨) المصدر نفسه ص ٣١ . (٦٩) المصدر نفسه ص ٥٤ .

بجوائز تشجيعية سنية ، اذا انتصر في حربه ، بأن يعطيه كل ما استولى عليه العرب مَلْكاً له[٧٠] وبرزت معنويات الروم منخفضة بعد عراكات شديدة مع المسلمين ، حتى ان « هرقل » بكى امام البطارقة ، لما بلغه دخول المسلمين دمشق • فمزق الرسالة التي حملت اليه الخبر[٧١] ، وقال لهم : « يا بني الاصفر ، لقد حذرتكم من هؤلاء العرب ، واخبرتكم انهم سيملكون ما تحت سريري هذا ، فاتخذتم كلامي هزواً واردتم قتلي ... وها انا اخرج إليهم بنفسي لاقاتلهم عن اهلي وديني •• » فأثار فيهم الحمية ومنعوه[٧٢] فاستحضر ابرز قادته « وِردان » وطرح فيه ثقة غالية قائلا : « إنما قدّمتك لانك سيفي القاطع ، وسندي المانع ، فاخرج من وقتك وساعتك ، ولا تتأخر فقد قدّمتك على اثني عشر الفاً •• »[٧٣] ثم وعده اذا انتصر بالمُلْك بَعْدَه[٧٤] ، كما رفع من معنوياته بأن سوره وتوجه ، واعطاه صليباً من الذهب ، في جوانبه اربع يواقيت ، لا تقدر بثمن واوصاه بان يقدم ذلك الصليب امامه ، لانه ينصره بالتأكيد ، ثم ادخل الى الكنيسة في انطاكية ، فانغمر في ماء المعمودية، وبخّروه ببخور الكنائس ، وصلى عليه الرهبان صلاة الموتى ، وخرج يزهو[٧٥] ، وهي كما ترى من واجبات الحرب النفسية التي ترفع من معنويات بعض القادة المتميزين ، لتدارك ما انحط من معنويات الجيش وعزمه •

ويبدو ان ممارسة بعض البطارقة الشجعان طقوس النصر في الكنيسة ، كانت تُعَدُّ آخر وسيلة للتضحية والدفاع عن العقيدة والحصن الذي يقوده ، ليرفع من معنويات جنده ، في حرب نفسية ، ويبدو فيها البطريق مصمماً على نزال لا هوادة فيه ، شأن « هربيس » بطريق دمشق الذي دخل « كنيسة جرجيس » وتقرّب وتثر الرهبان حوله المزامير ، وضجوا بالتهمير ، ودعوا له

---

(٧٠) المصدر نفسه ص ٢٥
(٧١) المصدر نفسه ص ٢٤ .
(٧٢) المصدر نفسه ص ٢٤ .
(٧٣) المصدر نفسه ص ٢٤ .
(٧٤) المصدر نفسه ص ٢٥
(٧٥) المصدر نفسه ص ٢٥

فأطمأن البطريق لان دعاءهم ــ في نظره لا يحجب ــ وصلّوا عليه صــلاة الموتى ، ثم خرج للقتال[٧٦].

ب ــ القادة المسلمون في حرب الحصون

أما ابرز قادة المسلمين في فتوح الشام فخالد بن الوليد المخزومي ، الذي وجهه ابو بكر الصدّيق الى العراق ، ثم الى الشام حيث بـرزت مقدرتــه العسكرية فتولى القيادة على الرغم من وجود قادة مشهورين مثل أبي عبيـدة عامر بن الجراح[٧٧] وابو عبيدة عامر بن الجراح امين الامة[٧٨] ، وشرحبيل بن حسنة[٧٩] ، ويزيد بن ابي سفيان وقيس بن هبيرة المرادي ، وضرار بن الازور ، وعبدالله بن جعفر بن ابي طالب ، والمرقال بن هشام والمسيب بن نجبة الفزاري ، وهشام بن عقبة ، وعروة بن مهلهل بن زيد الخيل ، وعمرو بن العاصي ــ رضي الله عنهم اجمعين ــ[٨٠].

ومن ابرز سمات خالد بن الوليد الجسـدية والنفسية ، ممــن توقـف الواقدي عندها انه ــ جسديا ــ عريض اللحية ، طويل الجسم ، ضخم ، بعيد ما بين المنكبين ، واسع الهيكل ، وفي وجهه اثر جدري[٨١] واما نفسيا فكــان يتسم بالشجاعة والفروسية ، واجادته التامة لفنون الحرب ؛ من ضرب وطعن ، وكرٍّ وفرّ ، تدفعه الى ميدان المعركة عقيدة التوحيد ، فكم كان يحرص علـى الشهادة في كل وقعاته ، وكان فيها بطل المعارك والنزال ، فكم كان يزعـق في الروم معتزا بفروسيته وبطولته « أنا الفارس الصنديد والبطل المجيد ، انــا خالد بن الوليد » فتجمد منه ابطال الروم[٨٢] واحيانا يرتجز في الوغى اللاهب

---

(٧٦) المصدر نفسه ص ١٠٢ . (٧٧) المصدر نفسه ص ١٤ .
(٧٨) المصدر نفسه ص ١٤ . (٧٩) المصدر نفسه ص ١٧ .
(٨٠) المصدر نفسه ص ٦٤ ، ١٥٨ ، ٢٨ . (٨١) المصدر نفسه ص ١٥ ، ١١٩ .
(٨٢) المصدر نفسه ص ١٧ .

يوم حصاره حمص ، وبنو مخزوم يتقاطرون من خلفه ، يسيل الدم على دروعهم وسواعدهم ، وخالد يرتجز ؛ بحماسة وتحد، وفيه من الاعتزاز بسيرته الحربية، في مجال يُحْمَدُ فيه الفخر ، والاعتداد بالنفس :[٨٣]

إنـي رأيـت الحَـرْب فيه تلتهب	ويل" لجمع الـروم من يوم شـغب
إنـي تركت الروم في حالِ العطَبْ	وكم لقـوا منـا مواقـع النصـب

ويزهو خالد بن الوليد بالراية التي سلمها اليه ابو عبيدة ؛ ليشـن بهـا غارة على الروم فأخذها ، وتقدم بها امام قواته ؛ معتزا بكفاءته الحربية ، واصالة محتده المخزومي ، وصحبته لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في صـورة نفسية ممتشجة بعقيدة صافية ، وفيها الاعتزاز بصولات الجهاد ضد الروم ، الذين تمنى بصدق قتالهم فأصخ إليه يقول[٨٤] :

وإنـنـي بحملهـمـا زعيـم"	أخـذتهـا والملـك العظيـم
وصـاحـب لاحمـدَ الكـريم	لانـنـي كبـش بنـي مخـزوم
يـا ربٍّ فارزقنـي قتـال الـروم	أسـيرٌ مثـل الاسـد الغشـوم

ويطول البحث اذا تقصينا ابعاد هؤلاء القادة نفسيا وجسديا ، فلنكتـف بشخصية ضرار بن الازور ، اذ ان القليل في الدلالة يغني عن الكثير ، فقـد ظهرت شخصيته ؛ فتى في الثامنة عشرة من عمره ، شجاعاً فارساً ، تارة يرمـح الخصم ، وتارة يَنْبُلُهُ ، يصيح بخصومه بتحد صارخ : « انا المـوت الاصفر ، انا ضرار بن الازور ، انا صاحبكم ، انا قاتل همدان بـن وردان ؛ احد الفرسان الروم »[٨٥].

---

(٨٣) المصدر نفسه ص‌ص ١٠٢-١٠٣ ، (٨٤) المصدر نفسه ص ٧١ .

(٨٥) المصدر نفسه ص ٣٦، و٣٧ و٢٠٤ .

وأما لباسُ القادة فغير واحد ؛ وذلك حسب الموقف ، فهو في الحرب غيره في التفاوض ، ولنأخذ امثلة للتدليل لا على سبيل الاستقصاء المتمدّ ، فلباس خالد بن الوليد في الحرب متنوع ؛ فتارة يلبس قلنسوة ؛ في مقدمتها بعض شعرات من ناصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على باب من التبرك بها ، وعمامته حمراء يلبسها خصيصاً وقت الحرب[٨٦] . كما يلبس خوذة ودرعاً غنمهما من مسيلمة الكذاب ، ومعه رمحه وسيفه ، واحيانا يأخذ جحفته ليتقي بها رشق النبال والسهام[٨٧] . واحيانا يقاتل مترجّلا بسيفه وجحفته ، ويصبر للقتال[٨٨].

ويبدو ان لباس خالد الحربي هذا ينسحب على بقية المقاتلين ، وإن كان بعضهم يتخفّف من الدروع ، او يتجرد من لباس الصّدر في قتال العدو ، إبرازاً لبسالته في مواجهة الموت الزؤام ؛ شأن ضرار بن الازور في حصار دمشق ، حتى سمّاه الروم بـ « الشيطان » فوصفوه بقولهم : « ما رأينا أدنى من منظرِهِ ، ولا اهيب من مخبره »[٨٩] وكان يخترق صفوف الروم عاريا صَدْرُهُ على صهوة جواده ، ومعه رمحه يهمز به جياد الروم ، ويستحضر الموت بين عينيه ؛ لينتقل الى جنة الفردوس ، ويُشْهِدُ على قوله من حضر ، ارضاء لرب البشر ؛ فيقول[٩٠] :

الموت حقٌ ، أيْنَ لي منه المفرّ ؟	وجَنّةُ الفردوس ، خيرُ المستقر
هـذا قتالـي فاشهدوا يا من حضرْ	وكـلُّ هـذا في رضا ربّ البشر

واحيانا يحثُّ المسلمين على رصّ الصفوف في قتال العدو ، ويقتحم

(٨٦) المصدر نفسه ص‌ص ١٠٤ــ١٠٥.
(٨٧) المصدر نفسه ص ١٢٤ ، و١٥١ ، و٢٥ و٢٠ .
(٨٨) المصدر نفسه ص ٥٦ . (٨٩) المصدر نفسه ص ٢٦ .
(٩٠) المصدر نفسه ص ٢٦ .

صفوفهم وهو يتلو قوله تعالى[٩١] « إن اللهَ يُحِبُّ الذين يُقاتلون في سبيلهِ صفّاً كأنَّهُمْ بنيانٌ مرصوصٌ » .

ومن لباسهم العمامة السوداء ؛ التي لبسها ابو عبيدة عامر بن الجراح ، وخالد بن الوليد ـ رضي الله عنها ـ[٩٢] حينما دعاهما « ماهان » احد ملوك الروم للتفاوض بشأن دواعي الحرب .

ويتموّه خالد وجنوده بلباس لَخْم وجذام ؛ من القبائل المتنصرة لمطاردة « توما » و « هربيس » بطريقي دمشق بعد خروجهما منها ؛ لتحقيق عنصر المفاجأة ، واستجلاب معلومات ادق عن العدو[٩٣] ويتنوع لباسهم عند مقابلة بطارقة الروم ، فيلبس خالد العمامة السوداء ، وخفين حجازيين ، ويشد وسطه بمنطقة من الاديم ، ويتقلد سيفا استلبه من مسيلمة الكذاب يوم اليمامة ، ويستركب معه مائة فارس ، من المهاجرين والانصار ، ويسير الركب لمقابلة ماهان ؛ بناء على طلبه ؛ بقصد الحيلة والايقاع بخالد ، وكان لباسهم حربياً ، اذ توشحوا الابراد ، واعتموا ، وتمنطقوا بالخناجر ، وتقلدوا بالسيوف وركبوا الخيل العتاق ، وسار خالد ؛ وعن يمينه معاذ بن جبل ، وعن شماله المقداد بن الاسود ، والمائة الفارس محدقون به ، وهم يعلنون بالتهليل والتكبير[٩٤].

وكان لباس ابي عبيدة عند مقابلة « ماهان » ثوبا من كرابيس العراق ، وعلى رأسه عمامة سوداء متقلدا بسيفه ، ممتطيا صهوة جواده[٩٥] . وللمرأة الفارسة لباس حربي ، اذ نقلتنا خولة بنت الازور الى مشهد حرب ، وهي تلبس الثياب السود ، وتحزم وسطها بعمامة خضراء ، وتسحبها الى صدرها ومن

---

(٩١) القرآن الكريم . سورة الصف آية ٤ .

(٩٢) الواقدي : فتوح الشام ص ١٢٤ . (٩٣) المصدر نفسه ص ٥٣ .

(٩٤) المصدر نفسه ص ١٢٤ . (٩٥) المصدر نفسه ص ١١٠ .

ورائها ، وتمتطي صهوة جواد طويـل ، وبيدها رمح طويل ، ولا يبين من وجهها الا الحدق ، والفروسية تلوح من شمائلها الى الحرب كأنها نار تستعر(٩٦).

وأما ثقافتهم فكانت عقدية دينية ، تؤمن بالله واحداً احداً ، وبمحمـــد رسولاً ونبياً ، وعقيدتهم توحيدية ، تؤثر الجهاد في سبيل الله ، وتتمنـى الاستشهاد في سبيل الله الواحد ، وقد اتضح ذلك من خلال اشعارهم ، في قتال الروم ، كما اتضحت قوة عقيدتهم ، وفهمها، في محاورات القساوسة ، ممن كانوا يفاوضون المسلمين للصلح ، كمحاورة خالد بن الوليد و « ماهان » الذي عَدَّ بعدها خالدا حكيما(٩٧) ومجادلة الاسير المسلم رفاعة بن زهير « بطريق » من بطارقتهم ممن كان يوصف بالعلم ، وقوة الحجة والاعتزاز بالحِكَم الرومية ، فغلبه رفاعة وأفحمه ، فشهد هرقل لرفاعة بالحكمة(٩٨) . كما اتسم القــادة المسلمون بحضور البديهة ، لقرع الحجة بالحجة ، معتمدين على فهمهم لاصول العقيدة الإسلامية ، كسرعة جواب ربيعة بن عامر لجرجيس عن سبب مهاجمتهم للروم قبل الفرس مع ان الفرس كفرة ، فاجابه محتجاً بقوله تعالى(٩٩) « قاتلوا الذين يَلُونَكُم من الكفار ، وليجدوا فيكم غلظة » وعليه فهم اقرب دياراً من الفرس فبدأوا بقتالهم(١٠٠) واما تجميع قواتهم ، فكانت عربية إسلاميـــة خالصة ، كجيوش متلاحقة تحشد في المدينة المنورة ، وترسـل الى بلاد الشام تعزيزات متلاحقة ، حتى بلغت سبعة واربعين الفا(١٠١).

واما استخباراتهم فتنوعت مصادرها ، وتعددت وسائلها ، لمعرفة نوايـا الروم في هجومهم من الحصون ودفاعهم عنها ، وذلك لبناء خطط معاكســة لنحرهم ، كما ان الاستخبارات كانت تجلّي نقاط الضعف عند الروم وقوتهم ، فيهاجمونهم من نقاط ضعفهم ، ويحطمون نقــاط قوتهم ، وعليه فقـد تـم

(٩٦) المصدر نفسه ص ٢٧ . (٩٧) المصدر نفسه ص ٢١ .
(٩٨) المصدر نفسه ص‌ص ٢٠٦-٢٠٧ . (٩٩) سورة التوبة : آية ١٢٣ .
(١٠٠) الواقدي : فتوح الشام ص ٦ . (١٠١) المصدر نفسه ص‌ص ١-٦ و١٢٤

استخلاص المعلومات عن الروم من بعض الهرَبَة في إحدى قوافل الروم المتجهة الى حمص[١٠٢] ومن الهرَبَة من « يوقنا » حاكم حلب ، فايقن ابو عبيدة ان يوقنا اهلك حرس مقدمته ، الذي كان بقيادة كعب بن مالك ، فاستعد أبو عبيدة لتحريك جيشه لإنقاذه[١٠٣].

واستخلص المعلومات بالداوريات المختلفة التي استخبرت عن قوات الروم ونشاطه ، فقد ارسل منها الداورية الكاشفة التي استطلعت خبر قافلة للروم ؛ محملة مواد تموين كبيرة متجهة الى اهل بعلبك فاغتنموها ، واستخبروا امر الروم ، ووسع المسلمون عليهم من مؤنها[١٠٤] ومن الداوريات الكاشفة ما اسند لها واجب خطف بعض جنود الروم من حصن حلب لاستجوابه عن نقاط الضعف والقوة فيه ، وقد خَطَفَ « دامس أبو الهول » خمسة افراد أفادوهم ، إذ كان احدهم يفهم اللغة العربية[١٠٥].

ومن واجبات الداوريات الكاشفة خاصة التنصت عن اسوار الحصون ، شأن دامس ابي الهول ، الذي وجد حرَسَاً نائماً في وظيفته ، فهاجم حصن حلب منه ، وكان من اسباب سقوطه بيد المسلمين[١٠٦].

والداوريات المتحركة شأن ضرار وفرسانه حول حصن دمشق ؛ إذ كانت تستخبر الروم وتشكل قوة جاهزة للقتال ، وقام بدور موجّه معنوي ، يشد من ازر محاصري ابواب الحصن السبعة[١٠٧] . والدوريات المقاتلة بقيادة خالد بن الوليد الى حصن حلب تستخبر امر البطريق الخارج من الحصن وتقضي عليه[١٠٨].

---

(١٠٢) المصدر نفسه ص ٨٣ . (١٠٣) المصدر نفسه ص ١٧٣ .
(١٠٤) المصدر نفسه ص ٨٣ .
(١٠٥) انظر فتح دمشق ص‌ص ١٨٧—١٨٨ .
(١٠٦) المصدر نفسه ص ١٨٨ . (١٠٧) المصدر نفسه ص ٤٤ .
(١٠٨) المصدر نفسه ص ١٨٠ .

ومن وسائل استخباراتهم توظيفهم الترجمانَ في صفوفهم ، فقد كـــان البطريق « روماس » بطريق « بصرى » سابقاً ترجمانَ خالد بن الوليـــد ، وكان لابي عبيدة ترجمان يرافقه في خيمته(١٠٩) . وبالترجمان استخبر ابـو عبيدة امر هرقل بانه استنجد على المسلمين كُلَّ من حمل الصليب(١١٠).

ومن استخباراتهم اسرى الروم ، اذ لبسوا لباسهم وصلبانهم ، واستبقوا الدليل امامهم ففتحوا بها حصن عزاز ، كأنهم نجدة الروم نفسها الى بطـريق الحصن(١١١) واستخباراتهم احيانا تؤتي أُكُلَها بتحليلهم المعلومات ، إذ يرسل خالد صعصعة بن يزيد الغفاري ، ممن لا تدركه الخيل ليستخبر شـــأن غبرة تلاحقه ، وهو عائد بالغنائم الى دمشق ، ثم يرسل داورية كاشفة خبـيرة بشؤون الروم ، وهو يونس الدمشقي فيؤكد المعلومات عن جيش للــروم يلاحقهم ، ليستفدي بنت هرقل(١١٢).

وحرس المقدمة لجيش ابي عبيدة يســتخبر امر الروم فيقــدر عــدده ، ويصطدم به(١١٣).

واسلام بعض البطارقة سرا كان خير من يقدم استخبارات جديدة عـن نقاط القوة والضعف في جيش الروم ، ويقدمون خدمــات جُلّى في فتـــح الحصون ، شأن « روماس » بطريق حمص ويوقنا بطريق حلب ، اذ فتـــح الاول حصن بُصرى ، والثاني خلخل جيوش انطاكية(١١٤).

وتحليل الموقف الاستخباري بدقة ، كان خير من قدمه خالد لابي عبيدة، عن اسباب شجاعة فرسان حصن حلب ، بسبب مناعة سوره ، وجَلَدِ الرجال،

---

(١٠٩) المصدر نفسه ص ١٩ ، وص ٢٢ ، وص ٥٠ .

(١١٠) المصدر نفسه ص ١٠٠ .

(١١١) المصدر نفسه ص ١٩٣ .

(١١٢) المصدر نفسه ص ٥٧ .

(١١٣) المصدر نفسه ص ١٧٣ .

(١١٤) المصدر نفسه ص ١٠٧ و٢١٦ .

وخالص ارومتهم ، وقربهم من اسواره عند الهجوم ، ولدفاعهم عن حريمهم ، فنصحه بانسحاب مدبر ، فاضعف نقاط قوتهم ، وكان سبباً لتدميرهم ، وبذلك فتح حصن حلب[١١٥] واما اتصالات المسلمين فيمكن تصنيفها نوعين : داخلية وخارجية : اما الداخلية فتعني ايصال المعلومات والاوامر الى القادة ، في ميدان القتال والى جنودهم ، واما الخارجية فتعني ابلاغ المعلومات واستقبال الطلبات والاوامر ، او ارسالها الى مركز الخلافة ، في المدينة المنورة . او ارسال الرسائل الى قادة الروم ، واستقبال وفودهم ، واجراءات الصلح بين المسلمين والروم .

اما ابرز وسائل الاتصالات ، فكانت مراسلة القادة فيما بينهم ، وتوظيفهم مراسلين حربيين نحو « نادي بن مرة رسول شرحبيل بن حسنة الى خالد يبلغه تحشد الروم في أجنادين ، وعدد قواتهم »[١١٦] ومن وسائل اتصالاتهم الداخلية إبلاغ القادة بعضهم بعضا ، بمعلومات شفهية ، شأن خالد بن الوليد الذي ابلغ شخصيا أبا عبيدة بحشود الروم[١١٧] ومنها تعميم الكتب الواردة من الخليفة الى كل باب من ابواب دمشق المحاصرة ، فيقرأ الكتاب عليهم وهم على اهبة الاستعداد للحرب[١١٨] ومنها ان يسند الى الداورية المتحركة حول حصن دمشق ، لتعمم الاوامر الحربية ، وملحوظات القادة على الجانب المسلم[١١٩] .

ومن وسائل اتصالاتهم الداخلية ، تأخر وصول المراسلين الحربيين عن الوقت المحدد ، يعني قلة الخبر عندهم خيرا ، شأن تأخر سعيد بن عامر عن وصوله الى الشام بعد ان اخبرهم المراسل الحربي سالم بن نوفل ، بمسيره منذ فترة يفترض ان يكون وصل[١٢٠] . ويقال مثله عن تأخر وصول الخبر ،

---

(١١٥) المصدر نفسه ص ١٠٣ (١١٦) المصدر نفسه ص ١١٦ .

(١١٧) المصدر نفسه ص ٢٥ . (١١٨) المصدر نفسه ص ٤٤ .

(١١٩) المصدر نفسه ص ٤٥ . (١٢٠) المصدر نفسه ص ١٢٣ .

عن اصحاب ميرة ابتعثوا لشراء مواد تموينية من قرى حول دمشق[١٢١] وتأخير الخبر ممن كانوا في مهمة قتال يعني تعرضهم لحادث مهم ، وهو قطع نجدات ، وتأخيره هو اتصال داخلي يوجب عليهم اتخاذ اجراء مناسب[١٢٢].

ومن الاتصالات الداخلية ما كان تقريرا شفويا او اوامر حربية ؛ يعطيها القادة لجنودهم عن تطورات الموقف ، والاجراءات الحربية المناسبة في حينه[١٢٣].

ومن وسائل اتصالاتهم الداخلية الاصطلاحات ؛ فظهور الدخان يعني للمسلمين اجتماعاً عنده ، شأن ايقاد سهل بن صباح النار على جبل ، فاعتلى الدخان فاجتمع عنده ضرار بن الازور وسعيد بن زيد[١٢٤] ومن اتصالاتهم عقد مجلس شورى بينهم ، وهَمْسُ دامس ابي الهول بأذن ابي عبيدة بخطة محكمة[١٢٥] . ومن وسائل الاتصالات الداخلية الاعلام الاسلامية بألوانها ، والانضواء تحت أفيائها في ساحات الوغى ، اذ كانت راية خالد بن الوليد « العُقاب » سوداء اللون . وراية ابي عبيدة صفراء اللون ، وهما رايتا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –[١٢٦] . ومن اتصالاتهم الداخلية بعض الجند ممن يتطوع بنفسه دونما امر من قائده ، لابلاغ ابي عبيدة « القائد العام » بما حزب بالمجاهدين من ضيق وعنت في قتال الروم ؛ شأن عبدالله بن انيس الذي كرَّ من حصن ابي القُدَس لابلاغ ابي عبيدة ، تدهور موقف سرية عبدالله بن جعفر بي ابي طالب[١٢٧].

---

(١٢١) المصدر نفسه ص ١٧٩ . (١٢٢) المصدر نفسه ص ١٧٩ .

(١٢٣) المصدر نفسه ص ٥٧ . (١٢٤) المصدر نفسه ص ٨٧ .

(١٢٥) المصدر نفسه ص ٢٥ ، و١٨٦ . (١٢٦) المصدر نفسه ص ٩ ، ١٣٨ .

(١٢٧) المصدر نفسه ص‌ص ٦٦-٦٧ .

وأما ابرز اتصالاتهم الخارجية فيما بينهم وبين الخليفة فكانت الرسائل والمراسلين ، شأن رسالة أبي بكر الصديق الى خالد بن الوليد ، وهو على باب دمشق الشرقي يحملها عبدالرحمن بن حميد ، ورسالة عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة ورد الثاني عليها مع عرفجة بن ناصح النخعي ، فيها توجيه عام لفتح القدس(١٢٨) ، وكان بعض المراسلين يخفون الرسالة في طرف العمامة .

وقد يكون عدد المراسلين غير واحد ، شأن رسولي أبي عبيدة الى الفاروق عمر وهما عبدالله بن قرط وجعدة بن جبير(١٢٩) وكانت مدة وصول الرسائل بين الخليفة في المدينة المنورة ، وقادة فتوح الشام ، تتراوح بين عشرة ايام وبعضها ثلاثة ايام(١٣٠).

ويبدو ان الاتصالات بين الخليفة وقادة الفتوح ، لم تنحصر في المراسلين بل تعدتهم الى العائدين الى المدينة ، شأن الزبير وعبادة بن الصامت ، ممن شهدوا وقعة اليرموك ، واصطحبهم عمر معه من المدينة المنورة الى القدس ، بعد ان طلب اليه الحضور لفتحها(١٣١).

كما ان الاتصالات بين الخليفة وقادة فتوح الشام كانت عن طريق حرس خُمْسِ الغنائم المرسلة من قادة الفتوح الى المدينة المنورة(١٣٢).

واما ابرز وسائل اتصالاتهم الخارجية بقادة الروم ، فكانت مراسلاتهم الى قادة الحصون ، فيها تهديد وترغيب(١٣٣) ومثلها مراسلة بعض البطارقة لقادة المسلمين شأن بطريق حمص الى ابي عبيدة(١٣٤).

وكان المراسل في اكثر الاحيان معاهدا يفهم اللغتين ، العربية والرومية ،

---

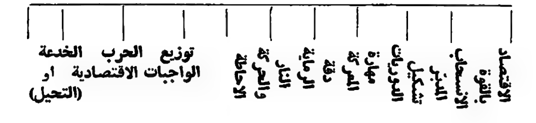
(١٢٨) المصدر نفسه ص ٤٤ و١٥٨ . (١٢٩) المصدر نفسه ص ١٨١ .
(١٣٠) المصدر نفسه ص ١٢ . (١٣١) المصدر نفسه ص ١٦٣ .
(١٣٢) المصدر نفسه ص ٢٠١ . (١٣٣) المصدر نفسه ص‌ص ٩٦-٩٩ .
(١٣٤) المصدر نفسه ص ٩٦ .

اذ يخاطب قادة الحصون وحراسها من جانب السور ، فيدلى اليه حبل ليربط الكتاب فيه ، وينتظر جوابه ، او قد يرد الجواب بعد حين ، وبالطريقة نفسها[١٣٥] ومن وسائل الاتصالات بين المسلمين والعرب الترجمان الذي كان يُعَدُّ حلقة وصل للتفاهم بين المتحاربين عرباً وروماً ؛ شأنهم في فتح حصن القدس[١٣٦] وكانت الاتصالات تتم بينهما بنقب سور الحصن بأمر « بطريق » اسلم ؛ شأن « روماس » بطريق « بُصرى » وبعض اهل « دمشق » ممن نقبوا السور لدخول خالد « دمشق » حرباً[١٣٧].

وبعض المعاهدين ، كانوا يرسلون الى قادة الفتوح ، يطلبون الصلح شأن بعض اهل دمشق ، ممن طلبوا من ابي عبيدة الصلح معه ، فأرسلوا اليه يطلبون العهد والامان ويعدونه بالصلح[١٣٨].

٣ ـ فنون القتال في حرب الحصون

لم تكن حرب الحصون مقتصرة على محاصِرٍ يمثله المسلمون ، ومحاصَر (بفتح الصاد) يذود عن نفسه بما لديه من سلاح ، أو يدرأ عن نفسه خطر المحاصِر بما اوتي من قوة بناء ، وعلو الاسوار ، ومتانة الابواب الحديدية للحصون ، ولكن تبدى لحرب الحصون عدة فنون بارزة ؛ يمكن تشجيرها على النحو الاتي :



(١٣٥) المصدر نفسه ص ٨٥ .
(١٣٦) المصدر نفسه ص ١٦١ .
(١٣٧) المصدر نفسه ص ١٩ و ٥٠ .
(١٣٨) المصدر نفسه ص ٥٠ .

أما فن الحرب « الاقتصاد بالقوة » فيعني تخصيص واجب قد يكون كبيراً لوحدات صغيرة في حرب الحصون لمشاغلة العدو ، والهائه ، بينما تخصص القوة الرئيسة لمقاتلة العدو ، خارج اسوار الحصن ، وقد طبق هذا الفن « يوقنا » بطريق حلب ، اذ استبقى الف فارس لحماية الحصن ، وخرج باثنى عشر الف فارس وراجل ، يطارد مؤخرة جيش ابي عبيدة[١٣٩] كما طبق المبدأ ذاته « دامس ابو الهول » اذ استبقى معه ثلاثين مقاتلا ، وطلب من ابي عبيدة الانسحاب لمسافة محددة عن اسوار حلب[١٤٠].

واما « الانسحاب المدبّر » فهو فن اوصى به خالد بن الوليد قائده الاعلى ابا عبيدة ان ينسحب بجيشه انسحاباً مدبراً ، بمسافة اربعة فراسخ عن حصن حلب ، الذي كان عصيّاً فتحه ، فجرّهم خالد الى ميدان فسيح ، صال فيه فرسان المسلمين ، وقطعوا النجدات عن حصنهم ، ولم يكد يرجع الى الحصن الا الجند القليل ، وكان سبباً رئيساً في سقوط حصن حلب[١٤١] كما ان شرحبيل بن حسنة ، طبّق المبدأ ذاته إبان حصاره دمشق ، وذلك للخروج عن مدى اسلحة الروم ، من نبل ونشاب ــ التي اوقعت بالمسلمين خسائر[١٤٢].

ومن فنون قتالهم تشكيل الداوريات المختلفة من كلا المتحاربين ، حيث اتخذ الحصار حربا متحركة غير مرة ، وبرز توقع قادة المسلمين للاعمال المقبلة ، فمنعوا النجدات الرومية عن الحصون ، واسروا من الروم غير مرة ، وغنموا فموّنوا انفسهم ، واوقعوا في نفوس الروم رعباً .

وقد شكل المسلمون داوريات متنوعة هي : الكاشفة والمقاتلة والمتحركة الدائرية حول دمشق ، كما طبقوا الكمائن المتنوعة ؛ من صغيرة وكبيرة ، وقد

---

(١٣٩) المصدر نفسه ص ١٧٢ . (١٤٠) المصدر نفسه ص ١٨٧ .

(١٤١) المصدر نفسه ص ١٠٤، و١٨٠ . (١٤٢) المصدر نفسه ص ٤٦ .

اشرت اليها من قبل[١٤٣] ويمثل ضرار بن الازور داورية كاشفة متحركة ، تطوف حول قلعة دمشق .

كما طبق بطريق « حلب » فنوناً من قتال الداوريات والكمائن ، اذ كَمَنَ لحرس مقدمة ابي عبيدة ، واوقع بالمسلمين خسائر[١٤٤] كما شن داورية ليلية ، على حرس جيش أبي عبيدة ، وهم غَفَلَة عن محارسهم ، فأسر خمسين مسلماً ، واوقع بهم خسائر وعاد الى الحصن[١٤٥].

ومن فنون الحرب توظيفهم مهارة المعركة ، تحقيقاً للمفاجأة والسرية ، وخير من مثّل هذه المهارة « دامس ابو الهول » ورجاله (الثلاثون) ، عندما موّههم ، وامرهم ان يتبعوه في سجوف الليل ، باتجاه حصن حلب ، وهم يَحْبُوْنَ على اربع ، وكان على ظهره جلد شاة ، وكلما احس بركز عدو ، قرض في كعك كان معه ، كأنه كلب يقرض عظماً وهم من ورائه يتبعون ، يستترون بين الاحجار ، حتى لاصقوا السور ، وعرفوا نقاط ضعفه وهاجموه ، وبالتالي فتحوا الحصن[١٤٦].

ومن فنونهم دقة الرماية بالنَّبْل خاصة ، حيث برزت المرأة المسلمة دقيقة الرمية بالنَّبْل على عين البطريق الذي قتل زوجها إبّان بن عثمان ، كما قتلت بدقة رميتها حامل صليب كان يُحرض جنده على المسلمين فوق اسوار دمشق[١٤٧] ومثلها ضرار ـ الذي لدقة رميته ـ قتل علجاً على اسوار القدس ، وهو يحثهم على القتال[١٤٨] كما كان من الروم دقيقي الاصابة ممـا اوقع بالمسلمين قتلى وجرحى وعرّجا حول اسوار دمشق[١٤٩].

(١٤٣) المصدر نفسه صفحات ٥٣ ، و٥٧ و١٨٠ . حيث مثل خالد بن الوليد داورية كاشفة ومثل ابو الهول داورية كاشفة ومقاتلة للكشف وجلب اسير ص ١٨٨ وفي صفحة (٤٤) يمثل ضرار بن الازور داورية كاشفة تطوف حول قلعة دمشق .

(١٤٤) الواقدي : فتوح الشام ص ١٧٢ (١٤٥) المصدر نفسه ص ١٧٨ .

(١٤٦) المصدر نفسه ص ١٨٧ . (١٤٧) المصدر نفسه ص ٤٧ .

(١٤٨) المصدر نفسه ص ١٦١ . (١٤٩) المصدر نفسه ص ١٧٨ .

وبرز من فنون قتالهم فن النار والحركة ؛ اذ طبقه المسلمون في حصار حمص ، عندما تقدم الى اسوار الحصن عبيد المسلمين ومعهم سيوفهم ، واحرار المسلمين يسندونهم بالرماية ؛ مما مكنهم من الوصول الى هدفهم[١٥٠] ومن فنونهم توزيع الواجبات على القوات المحاصرة لابواب الحصون ، شأنهم في توزيعهم قواتهم على ابواب دمشق السبعة ؛ وتحديد واجبات كل قائد محاصر ؛ فأبو عبيدة أوكل اليه باب الجابية ، وشرحبيل أسند اليه محاصرة باب « توما » ، ويزيد بن ابي سفيان كان يحاصر باب « الصغير » ، وعمرو بن العاصي واجبه محاصرة باب الفراديس ، وخالد بن الوليد واجبه حصر الباب الشرقي ، وكان ضرار قائداً لالفي فارس يطوف بهم حول دمشق[١٥١].

ومن فنون حربهم الحراسة خشية مباغتة العدو ، وهم نيام مهملون ، وكان للحراسة فنون ابرزها ، انهم كانوا يتحارسون حتى الصباح ، واحيانا تحرسهم داوريات جوالة لا تتوقف عند مكان واحد حتى لا تكبس[١٥٢] وكانت بعض القبائل تتناوب الحراسة مع غيرها من القبائل[١٥٣] ، وكان القائد يحرس جنده احيانا ، شأن عبدالرحمن بن ابي بكر في « بُصرى » ومعه مائة فارس ، وسعيد بن عامر الذي تأخر يحرسهم[١٥٤].

وكان يسمى الحارس فيهم « الديدبان »[١٥٥] وكان إهمال بعض الحرس لواجباتهم يوقع بهم افدح الخسائر ؛ قتلا وجرحا واسرا ؛ شأن بعضهم ممن اهمل في حراسته ، وهم يحاصرون حصن دمشق[١٥٦] . كما ادى إهمال حراس حصن حلب الى سيطرة المسلمين على الحصن[١٥٧].

---

(١٥٠) المصدر نفسه ص ٩٦ . (١٥١) المصدر نفسه ص ٤٤ .
(١٥٢) المصدر نفسه ص ٤٤ . (١٥٣) المصدر نفسه ص ٥٠ .
(١٥٤) المصدر نفسه ص ١٨ و ١٢١ بالترتيب .
(١٥٥) المصدر نفسه ص‌ص ١٧٥-١٧٦ . (١٥٦) المصدر نفسه ص ١٧٨ .
(١٥٧) المصدر نفسه ص ١٨٨ .

ومن فنون قتالهم الاحاطة بالروم من جميع الجهات ، وذلك بعد ان خرج جيش الروم من حصن حلب لمطاردة المسلمين في انسحاب مدبر ، فقطع المسلمون على الــروم طريق عودتهــم الى القلعــة ، واحدقــوا بهــم وكــان ســبباً للقضاء عليهم[١٥٨].

ومن فنون الحرب الخدعة والتحيّل ، فقد آمنّوا عشرين صندوقاً مقفــلا بمقاتلين مسلمين كوديعة عند بطريق حصن « الرَّسْتَن » ، وابتعدوا عــن الحصن قليلا ، وكمنوا بانتظار صيحات الله اكبر ، ففتح الجند الصناديق ومعهم اسلحتهم ، وهاجموا البطريق وجنده في الكنيسة التي كانوا يُصَلّون فيهــا صلاة الشكر ، لظنهم بخلاصهم من حصار المسلمين ، كأنما خدعتهم خدعــة حصان « طروادة » المشهورة ، وهكذا فتحوا الحصن[١٥٩].

كما احتال يوقنا ــ بعد اسلامه باطناً وتنصره ظاهراً ــ على هرقل لانقاذ اسرى المسلمين ، ومنهم ضرار بأن يُؤَجّل اعدامهم ريثما تنتهي الحرب ، اذ ربما يتم تبادلهم بمن يؤسر من جند الروم[١٦٠] وليس نجاح الخدعة ضرب لازب ، فقد احتال الروم بعشرة فوارس كمنوا للايقاع بخالد عند مبارزته خصــمه ، فعلم بها المسلمون وابطلوهــا ، بــأن قتلوهم وهــم نُوَّمٌ في خفــاراتهــم سُكارى[١٦١] كما اتقن المسلمون الخدعة على هيئة حرب اقتصادية بظاهرهــا

---

(١٥٨) المصدر نفسه ص‌ص ١٠٣ـ١٠٤

(١٥٩) المصدر نفسه ص ٩٨ . والرستن بفتح الراء وتشديدها قلعة تشــتمل على كورة بالشام قرب المعرّة بينها وبين حماة يوم وفي وسطها نهر الاردن ويعد الرستن من كورة حمص وفي اعلى حماة بدليل قــول عبدالله بــن قيس الرقيات :
فواحزنا ! اذ فارقونا وجاوروا   سوى قومهم أعلى حماة وشيزرا
انظر مادة « الرستن » عند
ــ الحموي ، ياقوت : معجم البلدان (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٩٧٩) ج ٣٨٣/٣ مادة « شيزر » .

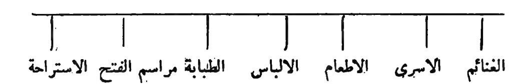
(١٦٠) الواقدي : فتوح الشام ص ص ٢٠٣ـ٢٠٤ .

(١٦١) المصدر نفسه ص ٣٩ .

الرحمة وبباطنها المكر ؛ ذلك شراؤهم ميرة كافية من حصن حمص مقابل انسحابهم من حولها ، ثم هاجموا الحصن بعد فترة ، هدت مواردهم فصالحوا مهطعين[١٦٢].

٤ ـ الخدمات الادارية

ويقصد بها ما يُقَدَّمُ للجند من خدمات ادارية ، تعينه على القتال في ميدان المعركة ، سواء كان من إطعام وإسقاء او طبابة وإلباس ، وتزويده بالسلاح والذخيرة ، وغنائم وسبي ، واسر واستراحة ، ونحوها فالجيوش تزحف على بطونها فيما يقال ، وها انا أشجّرها تسهيلا للدرس وإبرازاً لمشاهد منها عرضت للجند في ساح القتال :



أما الغنائم فتعني ما يغتنم من العدو المشرك والكافر بالقوة والسيف والغنائم أنواع منها غنائم القوافل الرومية غير المعاهدة التي كانت تتجه الى حصن غير معاهد شأن قافلة ؛ محملة بديباج ودنانير وثياب ، كانت تتجه من انطاكية الى حصن شيزر[١٦٣] ومن الغنائم ما يستلبها الفارس من سلاح نِدِّهِ وفَرَسِهِ ؛ شأن سعيد بن زيد الذي قتل البطريق هربيس بطريق حمص فأعطوه سلبه[١٦٤].

(١٦٢) المصدر نفسه ص ٩٧ .   (١٦٣) المصدر نفسه ص ١٠ .

(١٦٤) المصدر نفسه ص‌ص ١٠٤‌ـ١٠٥

ويبدو ان غنيمة السلب تحتاج الى شهود لتعطى الى الفارس ، او يثبت قتله بعلامات اكيدة يجدونها في القتيل ، شأن تبلة سعيد بقلب هربيس[١٦٥].

ومن الغنائم ما يكون بالصلح والمعاهدة مع الروم ، فكان القادة المسلمون يوقعون مع قادة الحصون عهودا على مبالغ مالية ، وثياب وكساء وذهب ونحوها ، يحددها المتعاهدان[١٦٦] والقائد يخمس الغنائم ويرسل خمساً الى امير المؤمنين في المدينة المنورة[١٦٧] وعند توزيع الغنائم يعطي ابو عبيدة ضراراً فرس البطريق وسرجه وما عليه من حلي وذهب وفضة وجواهر ؛ لانه قتله بشهود ، فيعطيها لاخته خولة ، فتفرق الذهب والحلي على النساء المسلمات ؛ حيث تجود نفوس بعض المجاهدين ولا تستأثر به[١٦٨].

وأما الاسرى من الجانبين فتكاد تكون معاملاتهم واحدة ، اذ تضرب إعناقهم بالسيف احيانا لترهيب الخصم ، واعلاء لروحه المعنوية ، فقد ضرب الروم اعناق (١٥٠) مائة وخمسين مسلماً فوق اسوار حلب ، وضرب خالد عنقي بطريقي دمشق على مشهد من الروم في حصار دمشق[١٦٩].

كما كانت العادة ان يعرض الآسر دينه على اسيره فان ابى قتله ، وبرزت مشاهد من معاملة النصارى لاسرى المسلمين ، اذ كانوا يقيدونهم ويعرضونهم امام الروم ، ويبصقون عليهم ، او يرسلون الى « هرقل » احيانا ، ويؤمرون بالسجود له كتحية فيأبون[١٧٠].

واظهر احد المشاهد تأثر المسلمين بعقيدتهم ، وانهم لا يساومون عليها فيردون على البطارقة ؛ ممن يشركون بالله — عز وجل — ويكذبون امام

---

(١٦٥) المصدر نفسه ص ص ١٠٤ـ١٠٥ (١٦٦) المصدر نفسه ص ٥٢ .
(١٦٧) المصدر نفسه ص ٦٩ . (١٦٨) المصدر نفسه ص ٦٩ .
(١٦٩) المصدر نفسه ص ١٧٨ . (١٧٠) المصدر نفسه ص ٢٠١ .

« هرقل » لا تأخذهم في الحق لومة لائم ؛ شأن ضرار وتكذيبه بطريقاً ، فأمر « هرقل » بضربه وقطع لسانه ، لولا تدخل يوقنا[١٧١].

وبعض اسرى المسلمين يفر من اسره ، كما فعل سفينة مولى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما فر « دامس ابو الهول » من سرادق « نسطاريوس » بعد ان فك قيده فراشو نسطاريوس ليساعدهم في رفع السرداق الذي انهار ، فقتلهم ولبس لباس نسطاريوس والتحق بالجيش المسلم[١٧٢].

وبعض اسرى المسلمين يتسلحون بأمر عبدالله يوقنا المسلم سراً ، ويقاتلون الى جانبه في الوقت المناسب ، بعد اسرهم لمدة ثمانية اشهر[١٧٣].

ويفتن أسرى المسلمين بالمال والغيد الحسان ، وقلما يتنصر منهم احد الا ابن رفاعة بن زهير ممن اغري بحسناوات الروم وجاههم[١٧٤] وكان كثير من الاسرى النصارى يسلمون ، وكان القسيس اسرع الى الاسلام من غيره ؛ ربما لاطلاعه على صحة العقيدة ، او لكثرة ما قرأه في كتب دينية ، كما كان بعضهم يسلم لرؤيته رسول الله (محمد) ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمنامه[١٧٥]. وهي اصفى استخبارات يتلقاها العبد من فيوضات الله عز وجل .

وأبرز مشهد الاسرى المسلمين طريقة تنصير ابن رفاعة ، اذ حلّوا وثاقه بعد ان كان مقيداً ، وغمسوه بماء المعمودية في الكنيسة ، وبخرّه الشمامسة ، وخلعوا عليه ،ووهبوه مركباًوجارية ومنزلا،والحقوه بعسكر جبلة بن الايهم[١٧٦] .

وفي مشهد آخر برزت صور من اسرى الروم ، وهم مقطوعو الرؤوس ، وهي مسلوخة ومحمولة على أسنة رماح المسلمين ، لترهيب الروم ، كما فعل

---

(١٧١) المصدر نفسه ص ٢٠٣ . (١٧٢) المصدر نفسه ص ٢١١ .
(١٧٣) المصدر نفسه ص ٢١٦ . (١٧٤) المصدر نفسه ص ٢٠٥ .
(١٧٥) المصدر نفسه ص ص ١٠٠ــ١٠١ (١٧٦) المصدر نفسه ص ٢٠٨ .

سعيد بن عامر بألف رأس من النصارى الروم[١٧٧] ، وقد يفك اسرى المسلمين بالقوة كعامر بن الطفيل وضرار بن الازور[١٧٨].

واحرق الحنين قلوب الشعراء من الاسرى كضرار بن الازور – رضي الله عنه – فيبكي على امه في مكة ، وقد شاخت ، فلا تحتمل وقع ولدها في الاسر ، وقد كان يطعمها من صيد كفيه فيقول[١٧٩]:

ألا أيها الشخصان بالله بلغا سلامي الى أهلي بمكة والحجر
ولا ضاع عند الله ما تصنعانه فقد خفّ عني ما وجدت من الضّر
وما بي وأيم الله موتي وإنما تركت عجوزاً في المهامه والقفر
ضعيفة حال مالها من جَلادة على نائباتِ الحادثاتِ التي تجري
تعوّدها حَبٌّ القفار مقيمةً على الشيح والقيصوم والنبت والزهر
وكنت لها ركنا تعُدّهُ رحالُه وأُكرِمُها جهدي،وان مسني فقري
وأطعمُها من صيد كفي ارانبا من الوحش واليربوع والظبي والصقر

والقصيدة من اربعة وثلاثين بيتاً يبين فيها عقيدته الدينية وقتاله الروم في سبيل الله وارضاء لرسوله عليه السلام :

وإني أردتُ اللهَ لا شيءَ غيرُه وجاهدتُ في جيش الملاعين بالسمر
وأرضيت خير الخلق أعني محمّداً لعلي انالُ الفوزَ ،في موقف الحشر
فمن خافَ يومَ الحشر أرضى إلهه وقاتلَ عبّاد الصليبِ ؛ بني الكفر

ويعرض للمتلقي مشاهد من بطولاته في ميدان الحرب :

كذا جُلْتُ يوم الحرب في كل كافر وجندلته بالطعن ؛ في الكرّ والفرّ

---

(١٧٧) المصدر نفسه ص ١٢٣ و١٨٠ . (١٧٨) المصدر نفسه ص ١٥ و٢٩ .
(١٧٩) المصدر نفسه ص‌ص ٢٠٤–٢٠٥ من اربعة وثلاثين بيتا .

ثم يبلّغ تحياته الى اخته الفارسة ، خولة التي كانت ترافقه في معاركــه ، وتذود عنه بفروسية وعزم :

الا بلّغاهــا عــن أخيهــا تحيّــةً ... وقولا : غريبا مات في قبضة الكفــر
جريحٌ ، طريحٌ بالسيوف مُشرحٌ ... على نصرة الاسلام : والطاهر الطهْر

ويوظّف حمام الاراك ونجد كأنه « ساعي بريد » لنقل تحاياه الـــى عسكر الاسلام وقادتهم ولابلاغهم بحاله مقيّداً اسيراً ، بعيداً عن وطنه غريبا ، تنثال منه دموع عينيه ، حبا لوطنه ، منها قوله :

ألا يا حمامــات الاراكِ تحمّلــي ... رسالة صبٍّ لا يفيــق من السّــكر
حمائم نَجْدٍ بَلّغي قــول شائق ... الى عسكر الاسلام ، والسادة الغر
وقولي : ضرارٌ في القيود مُكَبّلٌ ... بعيدٌ عن الاوطان ، في بلــد وعــر
حمائمَ نَجْدٍ خَبّري الاخت انني ... قُتِلْتُ بحدّ المرهفات من البُتــر
وقولــي لهــم : أنــي أسير مقيّد ... لــه عِلّةٌ بين الجوانح والصــدر

ثم يحرص على ذكر عمره كأنما يسجل سيرته الذاتية ، واذ هو فتــى في الثامنة عشرة من عمره ، مضى يجاهد في سبيل الله ، فأسره الروم غدرا :

له من عداد العمر عَشْرٌ وسَبْعة ... وواحدةٌ عند الحساب ، بلا نُكْر
مضى سائراً ، يبغي الجهاد تطوّعــاً ... فوافــاه ابناءُ اللئــام على غــدر

ثم يوصي اذا مات في اسره ان يكتب على قبره « هذا الغريب » لعــل الايام تسمح لامه بزورة ، فترى قبره في غربته :

الا فادفنــاني بــارك اللــه فيكمــا ... الا واكتبا « هذا الغريب » على قبري
الا يا حماماتِ الحطيــمِ وزمزمٍ ... الا خَبّرا أمّــي ودُلّا على امري
عسى تسمحُ الايامُ مِنّا بزَوْرَةٍ ... لقلب غريب ، لا يــرام مــن الفكر

اما اخته خولة فتتحرق على اسره ، تبدو قريحة الجفن ، مؤرقة السهاد ، تبكيه بحرقة دامية ، كيف لا ؟ وهو اعز عليها من عينها ، خاصة وانه لم يمت بعد فتسلوه ، فهو اسير يؤرقها ؛ لانه بين الحياة والموت فماذا تفعل ؟ ستظل تبكيه لان اسره قَطَّعَ من عروقها الوتين ، وقد بدأت شعرها بتساؤل مثير ، وختمته بمثل ما بدأته ، فظلت الحيرة المتساءلة بشأنه توتر علاقات النص بحرقة مثيرة[180] :

أبعد أخي يلذ الغمض عيني ؟	فكيف ينامُ مقروحُ الجفونُ ؟!
سأبكي ما حَييتُ على شقيقٍ	أعزَّ عليَّ من عيني اليمين
فلو أني لحقت به قتيلا	لهان عليَّ إذْ هُوَ غيرُ هون
وكُنتُ الى السلوِّ أرى طريقا	وأعلقُ منه بالحبل المتين
وأنّا معشر مَنْ ماتَ منا	فليس يموتُ موتَ المستكين
وإني أن يقال مضى ضرار"	لباكية" بمِنْسَجِم هتون
وقالوا : كم بكاؤك قلت مهلا ؟!	أما أبكي وقد قطعوا وتيني ؟!

وتظل خولة تتساءل عن أخيها الاسير ، بحرقة لا متناهية ، تتلقط الاخبار عن أخيها ، وتسأل الغراب — على ما لاسمه من نفور واحساس بالغربة — عن اخيها ، إنها تعرفه مقيد تركوه في ديار العدو أسيرا ، فما عليها إلا ان تهديه سلامها من بُعْدٍ ، كل ساعة فتقول :

الا مخبر" بَعْدَ التفرّق يُخبّرنا ؟	فمن ذا الذي يا قوم ، اشغلكم عنا ؟!
فلو كُنْتُ أدري أنّهُ آخرُ اللقا	لكنّا وقفنا للوداع وودعنا
الا يا غرابَ البَين هل انت مخبري ؟	فهل بقدوم الغائبين تُبَشّرنا ؟
ولم أنسْ أذْقالوا : ضِرار" مُقيّد	تركناه في دار العدو ويممّنا
سلام" على الاحباب في كل ساعة	وإن بَعُدوا عنا ، وإن مُنعوا مِنا

(١٨٠) المصدر نفسه ص‌ص ٢٠٩—٢١٠

وأما السبايا من الروم والمسلمين ، فَكُنَّ من نصيب الجند اذا تَـم سبيهن ، ومن السبايا الروميات ابنة بطريق حصن القدس ، ممن سباها عبدالله بن جعفر ، كانت من نصيبه بأمر من الفاروق عمر(١٨١).

وبعض السبايا كبنت « هرقل » تستفدى ، فيهبها خالد بن الوليد لوالدها الملك(١٨٢) واما السبايا المسلمات فدافعن عن انفسهن بما لديهن من أعمدة خيام بشكل دائري ، وكانت خولة بنت الازور اعجبت البطريق « بطرس » فوعد بزواجها ، ولكن وعده لم ينجز ، لان السبايا دافعن عن انفسهن الى ان فك المسلمون سبيهن بقوة السلاح . وكن ينشدن(١٨٣) :

نحـن بنـات تبّـع وحمـير ... وضرْبنا فـي القوم ليس ينكـر
لاننا فـي الحرب نـار تسعر ... اليوم تسقون العذاب الاكبر

واما الاطعام فكان للنصارى متنوعاً من بُرّ وشعير وصنوف اخرى ، غنم المسلمون منها انواعا شتى منها العسل والزيت(١٨٤).

ومن طعامهم الخبز المقرّص المدهون بزيت ، ومن لحوم الطير والخبز النقي(١٨٥) . ومن طعامهم العصيدة والفالوذج بالسمن والزيت ، بعد ان اغتنموا قافلة للروم ، كانت محملة بالسكر والفستق والدقيق(١٨٦).

وخصص المسلمون عددا منهم لجمع الحطب لاعداد الطعام ، وكان إشعال النار بالقدحة والزناد(١٨٧).

وبرزت عند قادة الحصون ظاهرة « تقنين الطعام » كما فعل هربيس في حصن حمص(١٨٨).

---

(١٨١) المصدر نفسه ص ٦٩ . (١٨٢) المصدر نفسه ص ٥٨ .
(١٨٣) المصدر نفسه ص ٣٣ . (١٨٤) المصدر نفسه ص ١٦٦ .
(١٨٥) المصدر نفسه ص ٨٥ و١٦٦ . (١٨٦) المصدر نفسه ص ٨٣ .
(١٨٧) المصدر نفسه ص ٨٧ و١٠٦ . (١٨٨) المصدر نفسه ص ١٠١ .

واذا نقص الطعام او شعر الخصم المحاصر بخطورة نقصه ، شَنَّ هجوما ليليا على المسلمين لنهب ما يمكن ان يُقتات به ؛ شأن هربيس في هجومه على المسلمين في حمص[١٨٩].

كما ابرزت الفتوحات طعام الرهبان من عدس وزيت وبقل ، وهــــذه الاطعمة يَعُدُّها البطريق مضعفة للقلب ، لا تعينه على قتال العرب ، وهـــو يؤنب اخاه في حرب الحصن[١٩٠] ؛ اما طعام البطاريق فاللحم ، ولحم الخنوص خاصة ، يشوى ويقدم لها ، ويشربون الخمرة في بواط من ذهب وفضة[١٩١].

واما الطبابة فبرزت في حرب الحصون في مراحل الاخلاء للمعالجة ، وشد الجراح كإخلاء إبّان بن عثمان ، من ساح المعركة الى الخلف ، فما ان نزعــوا النشاب المسموم من جسده حتى استشهد[١٩٢].

ومن الطبابة ما يُشَدُّ الجُرْحُ ويعصب حتى يشفى ، شأن يوقنا وقد شد جراحات ضرار في اسره حتى شفي[١٩٣].

وكانت طبابة الروم تُطَبِّبُ كالعرب ، فقد نشروا نَبْلَةً في عين بطريق بعد ان تعذر نزعها ، وكانت النبلة من زوجة إبان ثأرا من قاتل زوجها[١٩٤].

واصيب بعض المسلمين والروم بعاهات دائمة منها العور ، حيث ظــــل هربيس اعور ، وسبعمائة مسلم من يوم التعوير في اليرموك ؛ لما اطلق الـــروم على المسلمين مائة الف سهم دفعة واحدة[١٩٥].

وبرز دور المرأة المسلمة وهي تداوي الجرحى وتسقي الماء[١٩٦] ، وامـــا الشهداء المسلمون فيُصلّي عليهم القائد العام عادة ، ويدفنون بثيابهم واسلابهم شأن خالد على شهداء بصرى ، وابي عبيدة على شهداء فتح حلب[١٩٧].

---

(١٨٩) المصدر نفسه ص ١٠٤ .

(١٩٠) المصدر نفسه ص ١٧٠ .

(١٩١) المصدر نفسه ص ١٠٢ .

(١٩٢) المصدر نفسه ص ٤٥ .

(١٩٣) المصدر نفسه ص ٢٠٣ .

(١٩٤) المصدر نفسه ص ٤٧ .

(١٩٥) المصدر نفسه ص ١٤٧ .

(١٩٦) المصدر نفسه ص ١٤٩ .

(١٩٧) المصدر نفسه ص ١٨ و١٧٦ .

وأما تحايا الجند للخليفة والملك فتكاد تكون متشابهة من حيث تقبيـل يده شأن تقبيل يوقنا ليد « هرقل » ورياح بن غانم اليشكرى ليد عمـر بـن الخطاب[١٩٨] ، وابرز تحايا المسلمين المصافحة ، واحيانا المعانقة ، والسـلام على الفارس وهو راكب احيانا ، وكان ابو عبيدة يريد النزول عن فرسـه للسلام على خالد[١٩٩].

ومن التحايا الاسلامية تقبيل الرأس ، ولكن لا ينحصر من ادنى الى اعلى بل احيانا عكسه ، فقد قَبَّلَ الفاروق رأس زيد بن وهب ــ وهو مملوك ــ فابكى زيداً ، وقال لعُمَرَ : (ابلغ من قدري ان تُقَبِّلَ رأسي ، وانت امـير المؤمنين ؟! وقد ختم الله بك الاربعين) فبكى عمر وقال : (ارجو ان يغفـر الله لعمر بشهادتك)[٢٠٠].

وتحايا القادة لله ــ عز وجل ــ السجود له شكرا على نعمه ، سواء على الارض او على قرابيس خيولهم ، كما سجد عمر لما بلغه فتوحات المسلمين[٢٠١]، وربما تدخل الادعية في رحاب التحايا ، فعمر يسر ــ على رفعة شأنه ــ بدعاء زيد بن وهب مولى عمير بن سعيد[٢٠٢] ، كما ان ادعية البطاريق في كنائسهم ، وتقبيل صلبانهم والاستنصار بها ، تعد من التحايا ايضا ، ومن تحايا الـروم ان يصقع للقائد والبطريق ، وتقبل الارض بين يديه ، وقد يسجد للملك[٢٠٣] كما يعبدون الصليب[٢٠٤] وقد هَمَّ مراسل رومي ان يسجد للقائد المسـلم فمنعه من السجود لانه لله وحده[٢٠٥].

---

(١٩٨) المصدر نفسه ص ٢٠١ و٢٠٥ . (١٩٩) المصدر نفسه ص ٢٣ .
(٢٠٠) المصدر نفسه ص ٢١٧ . (٢٠١) المصدر نفسه ص ١٦٧ و٢٢٠ .
(٢٠٢) المصدر نفسه ص ٢١٧ . (٢٠٣) المصدر نفسه ص ٢١٥ .
(٢٠٤) المصدر نفسه ص ١١٦ . (٢٠٥) المصدر نفسه ص ٩٠ و٩٥ .

وتحايا المماليك لسادتهم تقبيل اياديهم ، لكن بعض السادة منعوا عبيدهم من تقبيل اياديهم ؛ شأن عمير بن سعيد مع مولاه زيد(٢٠٦).

الاســـــتراحة

ولما كانت الحرب عملا مرهقا ، فلا بد من استراحة للجند ، وقد طلب الجند المسلم من أبي عبيدة ان يستريحوا في انطاكية ؛ فاراحهم ثلاثة ايام فقط ، تحسبا من ان يخلدوا للراحة . فكان للفاروق رأي آخر ؛ ان يريحهم مدة اطول من نَصَبِ القتال(٢٠٧) « لان الله تعالى لم يحرم الطيبات على المؤمنين وكتب له قوله تعالى :(٢٠٨) « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً » وقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله »(٢٠٩).

ومن مساكن الاستراحة القباب والهوادج والسرادق لملوك الروم ؛ إذ كانوا فيها ينامون ، او منها يتفرجون على المعارك الدائرة ، وتضرب لهم للعزة(٢١٠) ولما غنم المسلمون منها ، لم يتقلدوا الروم في سكناهم ومضاربهم ؛ تواضعا لله — تعالى — ، وظلت خيام المسلمين مساكن لهم ولقادتهم ، إذ ضربت خيمة لابي عبيدة عند باب الجابية جنوبي دمشق كما ضربت الخيام سكناً للمسلمين(٢١١).

وكانت لخالد بن الوليد قبّة حمراء من الاديم الطائفي ، فيها شمعدان من الذهب الاحمر ، وحليتها من الفضة البيضاء ، وكان اشتراها من امرأة

---

(٢٠٦) المصدر نفسه ص ٢١٩ . (٢٠٧) المصدر نفسه ص ٢٢٠ .
(٢٠٨) سورة « المؤمنون » آية ٥١ . (٢٠٩) سورة البقرة : آية ١٧٢ .
(٢١٠) الواقدي : فتوح الشام ص ٢١١ (٢١١) المصدر نفسه ص ١٤٤ .

ميسرة بن مسروق العبسي بثلاثمائة دينار(٢١٢) وكان يأمر عبده هماما ان يأخذها معه لخالد .

وانبلجت مشاهد من مراسم الفتح ؛ يومي دخول ابي عبيدة الى دمشق صلحا ويوم دخوله انطاكية ، اما مراسم دخول دمشق ، فأخذ معه مائة رجل وطلب من الروم أماناً قبل دخوله إليها من باب الجابية الذي كان يحرسه ، وسار القسّ امامه على مسرح الشعَر ، ورفعوا الاناجيل والمباخر بالند والعود ، ودخل ابو عبيدة(٢١٣).

وأما من مراسم دخوله انطاكية في يوم ٥ شعبان سنة (١٧) سبع عشرة للهجرة فدخلها ابو عبيدة ، وبين يديه اللواء الذي عقده له ابو بكر الصديق ، وكان عن يمينه خالد ، وعن يساره ميسرة بن مسروق ، وكان قراؤه بين يديه يقرءون سورة « الفتح » فلم يزل سائرا حتى وصل الى باب الجبان ، وخط هناك مسجدا وامر ببنائه(٢١٤).

وحلّف « عبدالله يوحنا » بطريقهم قسماً عظيما عند النصارى ؛ ألا يخونوا المسلمين(٢١٥).

وهكذا فتح العرب المسلمون الحصون الشامية ، بالحرب والصلح والخدعة ، وبإسلام بعض بطاريق الروم الشجعان ، ممن قذف الله ــ تعالى ــ نور الإسلام في قلوبهم مثل روماس وعبدالله يوحنا ، فاتمّ الله تعالى للمسلمين فتوحات الحصون الشامية ، وفيّأهم بوارف النعم ، ونعيم الثواب .

---

(٢١٢) المصدر نفسه ص ١٢٤ . (٢١٣) المصدر نفسه ص ٥٠ .
(٢١٤) المصدر نفسه ص ٢١٩ . (٢١٥) المصدر نفسه صص ٢١٨-٢١٩

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - الايوبي ، هيثم وزملاؤه : الموسوعة العسكرية ، ط١ (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨١) ٣ مجلدات .

٣ - البغدادي ، صفي الدين عبدالمؤمن : مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط٢ ، (القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي وشركاه ، ١٩٥٤ .

٤ - الحموي ، ياقوت : كتاب المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ط٢ (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٦) .

٥ - الحموي : ياقوت : معجم البلدان (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٩٧٩) .

٦ - الرازي ، محمد بن ابي بكر : مختار الصحاح (دمشق : دار كثير «د.ت»).

٧ - الزبيدي : السيد محمد مرتضى الحسيني : تاج العروس من جواهر القواميس ، تحقيق محمود محمد طناجي ، ومراجعة مصطفى حجازي ، وعبدالستار احمد فراج ، بأشراف لجنة فنية بوزارة الاعلام (دار الهداية والتوزيع ١٩٧٦ ، د.م) .

٨ - صفا ؛ محمد اسد (عقيد) : الحرب ، ط١ : (بيروت : الشركة اللبنانية للطباعة والنشر والاعلام ، ١٩٨١) .

٩ - ضيف ، شوقي : (الدكتور) : العصر الاسلامي ، ط٧ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٣) .

١٠- الفيرزابادي ، مجد الدين : القاموس المحيط (بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٣).

١١- الفيومي ؛ احمد بن محمد بن علي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (د. ط. د. ت) .

١٢- قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسن الزبيدي ، ط٢ (بغداد : دار الرشيد : ١٩٨٦) .

١٣- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، الطبعة ٢ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٣) .

١٤- ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب (بيروت : دار صادر ، ١٩٩٨) .

١٥- الواقدي ؛ ابو عبدالله محمد بن عمر : فتوح الشام ، ط٤ (القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ١٩٦٦) . جزءان بمجلد .

علم المعادن في التراث العربي

الدكتور خلدون البصام
الشركة العامة للمسح الجيولوجي والتعدين

الملخـــص

تناول العلماء العرب علم المعادن بفروعه المختلفة بالبحث والدراســـة وقاموا بتطوير المعرفة العلمية واستنباط نظريات جديدة في منشأ المعـــادن وتصنيفها . كما عملوا في مجال التعدين وتحويل المعادن الى مركبات جديدة . وقد برع العلماء العرب في مجـال الاستعمالات الطبيـة للمواد المعدنية وفي دراسة الجواهر والاحجار الكريمة وكذلك في صناعة الزجاج ومواد التزجيج وصناعة الاصباغ والاحبار من المواد المعدنية وأضافوا الى المعرفة العلميـــة الانسانية باكتشافاتهم الجديدة حول المعادن وسبل الاستفادة منها .

١ ـ مقدمة :

تعتز الامم والشعوب بتراثها وتفتخر بما قدمته لغيرها من الامم من معارف فكرية وعلمية وحضارية . وقد أسهم العرب مع غيرهم من الامم في دفع عجلة الحضارة الانسانية بما قدموه في مجالات عديدة من نواحي التقدم الانساني ومنها النواحي العلمية خلال عصور ازدهارهم الحضاري سواء ما كان منها من نتاج بحوثهم أم من خلال تفاعلهم مع الافكار والآراء العلمية التي عرفتها الامم الاخرى وتطويرهم للمعرفة .

وتمثل أبحاث الاساتذة العرب من امثال إبن حيان والكندي والرازي والبيروني وإبن سينا في مجالات الكيمياء والتعدين والطب اسهامات في غاية الاهمية في تطوير هذه العلوم واستكشاف مجاهلها من خلال البحث العلمي والملاحظة والتجربة .

ويحتوي هذا البحث المختصر استعراضاً لبعض ما قدمه العلماء العرب في علم المعادن واستعمالاته المختلفة وجهودهم في تطويع الخامات المعدنية واستخلاص مركبات جديدة وتحضيرها منها .

٢ ـ نظريات منشا المعادن :

كان امبيدوكليس الاغريقي هو صاحب الفرضية ذات العناصر الاربعة (التراب والماء والنار والهواء) وعدّها اساس الحياة . وجاء ارسطو ليطور هذه الفرضية وقال بوجود حالة وسطية بين التراب والماء وسماها « الوسط الدخاني » وهي حالة تحول التراب الى نار ، وهناك حالة اخرى بين الماء والهواء يتم فيها ما سماه ارسطو « الوسط المائي » . وباجتماع هاتين الحالتين داخل الارض تحدث الفلزات وفي هذه الحالة يزيد مقدار القوام او « الوسط الدخاني » .

وقد سادت هذه الفرضية الى ان جاء العرب ببحوثهم الكيميائية والمعدنية وبحثهم عن اكسير الحياة وحجر الفلاسفة وتحويل المعادن الخسيسة الى ذهب حيث طوروا هذه النظرية واضافوا اليها ، حيث قال جابر بن حيان الذي ولد عام ٧٢١ ميلادية بأن الفلزات لا تتكون باتحاد الوسطين كما اشار ارسطو بل انهما يتحولان اولا الى عنصرين جديدين • فالقوام الدخاني يتحول الى كبريت والقوام المائي يتحول الى زئبق ، وباتحاد الزئبق مع الكبريت في باطن الارض تتكون الفلزات • وأشار ابن حيان الى المدة التي يتفاعل خلالها الزئبق مع الكبريت في باطن الارض وتعادلهما ونسبتهما • وقد مثل تكون العناصر في باطن الارض بتكوين الجنين في بطن امه •

وعدّ العديد من العلماء العرب ومنهم جابر بن حيان اختلاف الفلزات ناتجا من اختلاف كباريتها ، واختلاف كباريتها ناتج من اختلاف تربها وموقعها من حرارة الشمس • وساد الاعتقاد ان المعادن طبقات ، اعلاها الذهب ، وهي واحدة في جوهرها وطباعها ولكنها مختلفة في عدد صفاتها العارضة • ومن اجل ذلك يمكن ان ينقلب بعضها الى بعض بازالة صفاتها العارضة •

٣ ـ تصنيف المعادن والخامات المعدنية :

قسم الرازي الذي ولد عام ٨٦٤ ميلادية المواد الكيميائية الى اربعة اقسام هي :

أ ـ المعادن
ب ـ المواد النباتية
ج ـ المواد الحيوانية
د ـ المشتقات

وقسم المعادن الى ست مجاميع هي :

أ ـ الارواح : وهي المواد المتطايرة والمتسامية مثل كبريتيد الزرنيخ (الرهج الاحمر) والكبريت والزئبق •

ب ـ الاجساد : وهي العناصر الفلزية الحرة مثل الذهب والفضة والخارصين والنحاس والحديد والقصدير والرصاص .

ج ـ الاحجار : وهي الخامات المعدنية مثل المرقشيتا وهو كبريتيد الحديد (FeS_2) واسمه الان (Pyrite) والدوحي وهو اوكسيد الحديد المغناطيسي (Fe_3O_4) وأسمه الان (Magnetite) والساذج او حجر الدم وهو اوكسيد الحديد (Fe_2O_3) واسمه الان(Hematite) واللازورد وهو كاربونات النحاس القاعدية الزرقاء ($Cu_3(OH)_2(CO_3)_2$) واسمه الان (Azurite) والدهنج وهو كاربونات النحاس الخضراء ($CuCO_3(OH)_2$)واسمه الان (Malachite) والكحل وهو كبريتيد الرصاص (Pbs) واسمه الان (Galena) والاثمد وهو كبريتيد الانتمون (SbS_3) واسمه الان (Stibnite) والطلق وهو سيليكات الالمنيوم المزدوجة مع فلز اخر مثل المغنيسيوم واسمه الان مثله في ذلك العصر (Talk) والجبسين وهو كبريتات الكالسيوم المائية ($CaSO_4,2H_2O$) واسمه الان (Gypsum) .

د ـ الزاجات : وهي الكبريتات مثل الزاج الابيض او القلقديس وهو كبريتات الخارصين ، والزاج الاخضر او القلقند وهو كبريتات الحديدوز ، والزاج الاصفر او القلقطار ، والزاج الاحمر او السوري ، والشب وهو كبريتات الالمنيوم والبوتاسيوم .

هـ ـ البوارق : وهي المواد المساعدة للانصهار مثل بورق الخبز والنطرون وهو كاربونات الصوديوم وبورق الصاغة وبورق الزراوندي والتنكار وهو بوريت الصوديوم .

و ـ الاملاح : وتشمل الملح الحلو وهو ملح الطعام والملح المر وهو كبريتات المغنيسيوم والملح الصخري وهو كبريتات الصوديوم وهيدروكسيده وكاربوناته ، والجير المطفي .

٤ ـ استخراج الخامات المعدنية وتعدينها :

عدن العرب المعادن تعدينا ممتازا وحلقوا في صناعة الحديد والنحاس وصنعوا البرونز (نحاس + قصدير) كما عدنوا الرصاص وكذلك الزئبق فضلا عن الذهب والفضة .

استخرج الحديد من مناجمه ترابا اصفر يخالطه عروق من الحديد التي لا تكاد تظهر وكان الخام يوضع في المسابك المعدة لاذابته حيث تركب عليها المنافخ القوية من سائر جهاتها بعد ان تخلط تلك الاتربة الحديدية بشيء يسير من الزيت والقلي ويوقد عليه بالحجر والحطب حتى يذوب ويخلص من الشوائب (الاتربة) ويسكب في قوالب ليصير قضبانا .

اما الذهب فقد عرض العرب عدة مواقع مهمة استخرجوا الذهب منها ولاسيما في الجزيرة العربية ، وكانوا يقومون بتسخين عروق المرو (الكوارتز) الحاملة للذهب موقعيا ومن ثم يقومون بتكسيرها ونقلها الى طواحين يتم فيها تكسيرها بشكل اكثر نعومة ومن ثم طحنها . ويجري بعد ذلك فصل الذهب عن المرو بتيارات من الماء حيث يغسل المرو وهو الجزء الخفيف بالماء في حين يتبقى الذهب وهو الجزء الثقيل ليتم تجميعه وهذه هي الطريقة المتبعة حاليا في هذا المجال ، وقد شرح البيروني الذي ولد عام ٩٧٣ ميلادية الكثير من التفاصيل المتعلقة بتعدين الذهب ومنها طريقة اقتناص الذهب بالزئبق . ويتم لاحقا تصفية وتنقية الذهب من الفلزات المرافقة بالصهر .

كما تم استخراج الرصاص من خاماته (كبريتيد الرصاص) بتكسير الخام وتسخينه الى ان يحصل على الرصاص بشكل مائع في حين يتحرر غاز

ني اوكسيد الكبريت ، وبالطريقة نفسها كان العرب يستخلصون الزئبق
ن خاماته حيث كان يتم تسخين كبريتيد الزئبق الى ان يحصل على الزئبق
سائل ويتحرر غاز ثاني اوكسيد الكبريت في الحالة الاولى او الاوكسجين
، الحالة الثانية .

وفضلا عن ذلك هناك العديد من الامثلة على الصناعة الاستخراجية
عربية في ذلك الوقت حيث استغل العرب الطين النيسابوري الذي نعتقد انه
ين الباليغورسكايت (سيليكات المغنيسيوم والالمنيوم المائية) وكذلك حجر
كلس الذي استغل لصنع النورة (الجير الحي) بالحرق . وكذلك الجبس
لذي كان يستغل لاغراض البناء والاغراض الطبية . وهناك امثلة عديدة
مناجم لاتزال موجودة تعكس النشاط الاستخراجي للعرب وعلى سبيل المثال
ذكر المناجم الموجودة على طول طار النجف ولغاية بحيرة الرزازة التي توضح
ستخراج اطيان الفخاريات منذ ذلك الوقت ولغاية الوقت الحاضر . كما
ستخرج العرب رمال السيليكا او الرمال البيضاء لاغراض صناعة الزجاج
استخرجوا الطلق من مواقع عدة .

— الصناعة المعدنية التحويلية :

لم يكتف العرب باستخراج وتعدين المعادن والصخور الصناعية وانما
موا باجراء عمليات لتحويلها الى مركبات اخرى حسب حاجتهم للاغراض
ختلفة . ولعل بداية هذا الخط العلمي تعود الى الاعتقاد الذي ساد في ذلك
وقت عن امكانية تحويل المعادن الخسيسة الى معادن ثمينة او ما عرف في
نتها بالصنعة وذلك بطرق ومعالجات كيميائية انطلاقا من نظرية منشأ المعادن
ركيبها الذي يعتمد على نسب مختلفة من الكبريت والزئبق . ومن القائلين
مكانية الصنعة جابر بن حيان والرازي والفارابي والطغرائي وابو القاسم
راقي ، في حين عارضها الكندي والبيروني وابن سينا وابن خلدون . وذكر

الكندي الذي ولد عام ٨٠١ ميلادية ان طبائع المعادن لا يستحيل بعضها الى بعضها الاخر .

وعلى الرغم من ان الصنعة لم يكن بالامكان تحقيقها في ذلك الوقت الا ان البحوث المضنية في هذا المجال قادت الى تطوير المعرفة في مجال الصناعة المعدنية التحويلية . حيث ان الكيمياء المعدنية التي استهدفت الحصول على الذهب والفضة من العناصر البخسة قد خدمت العلم خدمة جليلة وذلك عن طريق اجراء التجارب العديدة واستخدام المواد المختلفة والتوصل الى مواد كيميائية جديدة ما عرفتها الطبيعة من قبل .

وهناك العديد من الامثلة على ذلك نذكر منها تحضير كاربونات الرصاص القاعدية من فلز الرصاص بعد غمره بالخل لتكوين خلات الرصاص ومن ثم مفاعلته مع ثاني اوكسيد الكربون المتحرر من عمليات التخمير لتكوين كاربونات الرصاص (الاسبيذاج او رماد الرصاص) . كما جرى تحضير مادة خلات النحاس (الزنجار) عن طريق رش برادة النحاس بالخل ودفنها في محل رطب . فضلا عن تحضير العديد من الحوامض المعدنية والقواعد مثل حامض الكبريتيك والهيدروكلوريك والماء الملكي والصودا الكاوية . كما قام العرب بصنع البرونز من النحاس والقصدير وحضروا العديد من الملاغم من مفاعلة الزئبق مع العديد من الفلزات .

وقد صنع العلماء العرب العديد من المشتقات من الخامات المعدنية للاغراض الطبية وسموها العقاقير المولدة . وذكر الرازي تحت هذا القسم :

المرتك وهو اول اوكسيد الرصاص (PbO) والاسرنج وهو اوكسيد الرصاص الاحمر (Pb_3O_4) والزنجار وهو خلات النحاس القاعدية والروستنج وهو اوكسيد النحاس الاسود (CuO) والتوتيا وهو

اوكسيد الخارصين (ZnO) وزعفران الحديد وهو اوكسيد الحديدوز (FeO) والزنجفر وهو كبريتيد الزئبق الاحمر (HgS) والشك او بياض الزرنيخ وهو اوكسيد الزرنيخ (As_2O_3) .

وكانت اوكسيدات العناصر تحضر في معظم الاحيان بتسخين كبريتيداتها (خاماتها الطبيعية) لتحرير ثاني اوكسيد الكبريت والحصول على الاوكسيد ، في حين كانت العناصر الحرة تحضر باختزال اكاسيدها بواسطة الفحم .

٦ ـ الاستعمالات الطبية للمعادن والمركبات المعدنية :

ان موضوع العناصر الفلزية واللافلزية وعلاقته بصحة الانسان ليس وليد اليوم وانما هو قديم جداً . وقد نقل العرب من العلماء الذين سبقوهم كما اضافوا الكثير من هذه الاستعمالات وابدع الاطباء العرب في هذا المجال. ومن الملاحظ في مناطق عديدة من تذكرة الكحالين ان المعادن قد اجريت عليها عمليتان مهمتان هما الحرق والسحق . حيث تتحول الفلزات بالحرق الى اكاسيد وذلك لكي تكون أكثر ذوبانا بالماء وتكون قواعد ضعيفة عند الاذابة كما انها تتحول الى مواد هشة بهذه الطريقة في حين ان عملية السحق تسهل الاذابة وعملية الامتصاص داخل الجسم .

وفيما يأتي بعض الامثلة على التداوي بالمركبات المعدنية :

الاثمد استعمل دواء للعيون والكبريت الحر استعمل دواء للعيون ودواء للجرب وإزالة الثآليل والطين النيسابوري استعمل دواء للمعدة والطلق استعمل دواء للاسهال وكذلك لتلطيف الجلد والاسبيذاج استعمل لعلاج القروح والساذج استعمل لوقف الرعاف والزنجفر استعمل لابادة الطفيليات والقلقند استعمل دواء للعيون والنورة استعملت مادة مجففة والزنجار استعمل في طب العيون والقلى استعمل لازالة الناميات واللحم الزائد .

٧ ـ دراسة الجواهر والاحجار الكريمة :

برع العرب في ذلك وبرز اكثر من عالم في هذا المجال لعل اشهرهم البيروني الذي وصف اهم الجواهر والاحجار الكريمة ، وابن الاكفاني المتوفى عام ٧٤٩ هجرية الذي كتب في اصناف الجواهر وصفاتها ومعادنها وقيمتها المادية فضلا عن وصف خواصها ومنافعها ، غير انه يؤخذ عليه تسرب الكثير من الاوهام والخرافات الى ما كتبه في فوائد ومنافع الجواهر مما لا يقبله العقل السليم .

وهذه امثلة لاهم ما وصفه البيروني من الجواهر :

الياقوت وهو معدن الكورونـدم النقي AL_2O_3 وعده البيروني اول الجواهر وانفسها واغلاها .

الفيروزج وهو فوسفات الالمنيوم القاعدية .

الجمست وهو معدن (Amethyst) احد انواع الكوارتز الملونة الشفافة.

اللازورد وهو سيليكات لعناصر عديدة ويحتوي على الكلور .

الدهنج وهو معدن (Malachite) الاخضر اللون .

اليشم وهو معدن (Jade) من انواع المعادن التي تتواجد في الصخور النارية والمتحولة .

اليشب وهو معدن Jasper احد انواع الكوارتز غير النقية .

الباذزهر وهو من الصخور الزجاجية البركانية الاصل .

العقيق وهو معدن (Agate) احد اكاسيد السيليكون الذي يحتوي على اكاسيد ملونة .

الجزع وهو معدن (Onyx) احد انواع العقيق المخطط .

الياقوت الازرق وهو حجر (Saphire) احد انواع الياقوت .

وذكر العرب الماس وعددوا خواصه الفيزياوية واستعمالاته العديدة ولاسيما في مجال قطع المعادن والاحجار الكريمة الاخرى والجواهر وثقبها ، فضلا عن استعماله في الزينة .

٨ ـ صناعة الزجاج ومواد التزجيج :

هذه الصناعة قديمة جدا (٣٥٠٠ سنة ق.م) اخذها العرب من الذين سبقوهم واضافوا عليها وطوروها ، حيث استعملوا رمال السيليكا لصناعة الزجاج وذلك بعد اضافة مواد مساعدة للانصهار مثل املاح البورون (البوارق) او كاربونات الصوديوم والبوتاسيوم (القلي) . كما استعملوا اكاسيد الفلزات بمقادير دقيقة لغرض تكون الزجاج وصنع مواد التزجيج للخزف والفخاريات . وقد اشار البيروني الى استعمال اوكسيد الكروم لاعطاء الزجاج لونا اخضر واوكسيد النحاس لتلوينه بالازرق واوكسيد المنغنيز لتلوينه باللون الارجواني . وقد صنع العرب الكريستال (البلور) باضافة اكاسيد الرصاص الى رمل السيلسكا . وقد اهتم الكندي بكيمياء تلوين الزجاج وكتب فيها عدة رسائل .

٩ ـ تحضير الاصباغ والاحبار :

صنع العرب الحبر (المداد) بطرق ممتازة جدا ، وقد ذكر القلقشندي وصفات لصناعة الحبر في غاية الدقة واستعمل الزاج الاخضر (كبريتات الحديدوز) كمادة معدنية مع خلطات محددة من المواد النباتية والنيلج (اسود الكاربون) في تحضير الاحبار . وقد برع العرب في صناعة الاصباغ المعدنية وهي الاملاح والزاجات والاكاسيد والبوارق . ويعدّ الرازي اول من استعمل الفحم في قصر الالوان .

١٠ ـ خلاصة :

يتضح مما سبق عرضه أن العلماء العرب تنالوا علم المعادن بتفرعاته واختصاصاته المختلفة بالبحث والدراسة والتأليف بما في ذلك الاستخراج

والتصنيع والتطبيق في مجالات عديـدة منها الطـب والكيمياء • وكانـت مساهماتهم مبنية على الملاحظة والبحـث والتجربة ، كما تفاعلوا مـع الاراء العلمية السابقة في الموضوع فضلا عن الافكار المعاصرة في وقتهم • وقـد اضاف علماء المعادن العرب الى المعرفة العلمية الانسانية باكتشافاتهم الجديـدة وكذلك من خلال تطويرهم للعديد من المفاهيم حول المعادن والخامات المعدنيـة وسبل الاستفادة منها •

المصـــادر

- منافع الجواهر والاحجار في آثار شمس الدين بن الاكفاني . صالح مهدي عباس / الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب / مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد / ١٩٩٠ .
- نظرة في المعالجات الكيميائية عند الاطباء العرب . د. عـادل البكـري / الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب / ١٩٩٠ .
- لمحات بمآثر العراق العلمية في الكيمياء . د. جابر الشكري / منشـورات وزارة الثقافة والاعلام / ١٩٨٥ .
- التراث الطبي في العصور القديمة واليونانية والعربية والطب الحديث مع الاشارة لاهمية العناصر المعدنية بالصحة والمرض . د. طارق عبدالكاظم ناصر / بحوث الندوة القطرية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب ـ الجزء الاول / ١٩٨٨ .
- التعريف بعلي بن عيسى الكحال . د. كمال السامرائي / بحوث النـدوة القطرية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب / ١٩٨٧ .
- مفهوم البحث العلمي عند العرب . افكار واراء للمناقشة . د. طـارق صالح الزبيدي / بحوث النـدوة القطرية الثالثة لتاريـخ العلوم عنـد العرب / ١٩٨٧ .
- دراسة في ادوية علي بن عيسى الكحال . مصطفى الهيتي / بحوث الندوة القطرية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب / ١٩٨٧ .
- تحويل العناصر الرخيصة الى ذهب بين التراث والمعاصرة . د. محمـود بربوتي وايمان باقر حسن / دراسة في تاريخ العلوم عند العرب / مركـز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد / ١٩٨٩ .
- أعلام العرب في الكيمياء . د. فاضل الطائي / دار المعارف بمصر/١٩٨٦ .

القضـــاء والحســـبة

في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم)

صباح ياسين الاعظمي

الملخـص

اهتم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأمر القضاء والحســـبة لتحقيـــق العدالة الاجتماعية ، وخصهما بعدد من الاحكام بموجـب الصحيفة التـــي اصدرها في المدينة ، بحيث يمكن القول بانهما كانا من ابرز الغايات التـــي استهدف الرسول تأمينهما ، ويرجع ذلك الى ادراكه اهميتهما لكل مجتمـع سليم ، وان فقدانهما كان من ابرز العيوب في المجتمعين المكي والمدني ، ومـن اقوى اسباب القلق والاضطراب قبل الاسلام • واوجد سلطة قضائية مركزية يرجع اليها الجميع ولها قوة تنفيذية تنطوي على صبغة قدسية ، والقضـــاء والحسبة هما مظهران لهما اهميتهما الخاصة في تنظيم المجتمع واقرار العدالة •

القضاء في اللغة يعني الحكم والالزام ، قال الله تعالى : (وقضى رَبُّكَ ألا تَعبدُوا إلا إياهُ)[1] ، وقال ايضا (فاقضي ما أنتَ قاضٍ)[2].

اما القضاء باصطلاح الفقهاء فهو فصل الخصومات على وجه مخصوص ، وعرفه بعض الفقهاء ، بانه قول ملزم يصدر من ولاية عامة او هو الاخبار عن حكم شرعي على سبيل الالزام ، فيقال قضى القاضي أي « ألزم الحق اهله » وواضح من هذا التعريف ان القضاء مظهر للامر الشرعي لا مثبت له . لان الامر في مثله ثابت تقريراً . والقضاء يقرره في الظاهر ولم يثبت شيئاً غير موجود[3].

والاصل في القضاء قوله تعالى : « يا داود إنا جعلناكَ خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق »[4] وقوله جلَّ شأنه : « وان احكم بينهم بما أنزل الله »[5] . وفي آية ثالثة : « وإن حَكَمتَ فأحكُم بَينهم بالقسطِ إنَّ اللهَ يُحبُ المُقسطينَ »[6] .

وقوله عليه الصلاة والسلام مما روته كتب الحديث : « من سألَ القضاءَ وُكِلَ الى نفسهِ ، ومن أجبر عليه يُنزلُ عليهِ مَلَكاً فيُسدِّدُهُ »[7].

(1) الاسراء : ٢٣ .
(2) طـه : ٧٢ .
(3) انظر البكري : حازم المفتي : القضاء في الاسلام . نسخة خطية في مكتبة الباحث الخاصة الورقة الثانية .
(4) ص : ٢٥ .
(5) المائدة : ٤٨ .
(6) المائدة : ٤٢ .
(7) الترمذي ، السنن ، لابي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩-٢٩٧هـ) تحقيق ، احمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ج٢١٦/١ .

وهناك آيات قرآنية كثيرة ، واحاديث نبوية شريفة حفلت بها كتب السنن التي تتحدث عن القضاء والاحكام .

أذن الله لنبيه (صلى الله عليه وسلم) بالهجرة الى المدينة بعد اسلام بعض أهلها ، وتهيأ المجال لهجرته (صلى الله عليه وسلم) إليها وقيامه بالدعوة فيها ، واتخاذها مركزاً لدولة الاسلام ، فوجد الجو ملائماً لان يقيم لامة الاسلام تنظيماً اجتماعياً وسياسياً على اساس الدين الجديد ، فظهرت اول دولة في تلك البقعة الصغيرة (المدينة) . وكان أول رئيس لها هو الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وحينئذٍ ظهرت الحاجة الى التشريعات العملية التي تقام عليها أمور المجتمع ، وتساس بمقتضاها شؤون الدولة الاسلامية الفتية ، فاتجه التشريع الى النواحي العملية ، سواء منها ما اتصل بحياة الافراد ام بحياة الجماعة ، فشرعت احكام العبادات والجهاد وتنظيمات الاسرة من زواج وبيان حقوق الزوجين والفرقة واسبابها ومدتها والبنوة وحقوقها والميراث وأنصبة الورثة وغير ذلك . كما انزلت الاحكام المتعلقة بالجرائم والعقوبات وانواع المعاملات ، وحقوق الحاكم والمحكوم ، وعلاقة الدولة الاسلامية مع غيرها ، ولم يترك التشريع الآلهي جانباً من جوانب الحياة إلا جاء بتنظيم محكم دقيق له ، وكان تشريع الاحكام في هذا العهد يتم بأحد الوجهين :

الاول : تقع حوادث تقضي حكماً من الشارع ، أو يعرض للمسلمين امور تقتضيهم سؤال النبي (صلى الله عليه وسلم) عن حكمها ، ففي هذه الحالات كان النبي (صلى الله عليه وسلم) ينتظر الوحي السماوي ، فينزل عليه بالآية او الآيات مبينة حكم ماوقع او جواب ماسئل عنه وقد ينزل عليه الحكم بالمعنى، ويُعبرّ عنه بلفظ السنة ، واحيانا لاينزل عليه الوحي بالحكم المطلوب، فيجتهد النبي (صلى الله عليه وسلم) كما حصل في قضية اسرى بدر.فمن الاحكام التي

نزلت بمناسبة حوادث وقعت ، قوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم »[٨] .

وقوله تعالى : « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير »[٩] .
وقوله تعالى : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو »[١٠] .

الثاني : ورود الاحكام غير مسبقة بسؤال ولا حادثة معينة ، ولكن النبي (صلى الله عليه وسلم) يرى أن الاوان قد حان لتشريع هذه الاحكام لضرورتها للمجتمع الذي يريد تكوينه وايجاده . لان الشريعة ما جاءت لسد حاجات قائمة واعطاء الحلول لوقائع حاصلة فعلا فقط ، وانما جاءت لايجاد مجتمع من نوع خاص قائم على اسس معينة ليكون هو المثل الاعلى لكل مجتمع في المستقبل ، ومن هذا النوع من الاحكام الشورى في الحكم ، وتبيان مقادير الزكاة ، وتفصيل كثير من احكام الاسرة وبيان بعض العقوبات ، فقد قام التشريع على اساس مراعاة مصالح الناس ودرء الاضرار والمفاسد عنهم ، وهذا هو الاصل الكبير الجامع لاحكام الشريعة الاسلامية ، وبناء على هذا الاصل نستطيع ان نبين مزايا التشريع الاسلامي ، فمنها التدرج في التشريع ورفع الحرج والنسخ (ومعناه هنا رفع الحكم السابق بحكم لاحق) والاجتهاد[١١] . واذا كانت الآيات لا توضح تفاصيل الحكم فقد كان ذلك متروكاً للرسول (صلى الله عليه وسلم) بتطبيقه وتنفيذه ، فهو بذلك تمتع بسلطات ادارية وتنفيذية وقضائية وحتى تشريعية .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا

(٨) البقرة : ٢٢١ .
(٩) البقرة : ٢٢٠ .
(١٠) البقرة : ٢١٩ .
(١١) عبدالكريم زيدان : المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية : ص ٧٢ .

يجدوا في أنفسهم حرَجاً مما قضيْتَ ويُسلّموا تسليماً[١٢] . « فماذا جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم »[١٣].

غير ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الرغم من تمتعه بهذه الصلاحيات الواسعة إلا أنه كان يشاور اصحابه دائماً فلا يفرض آراءه فرضاً « وشاورهُم في الامر »[١٤] « وأمرهم شورى بينهم »[*].

اما الصحيفة او الوثيقة التي وضعها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة ، وتعد بمثابة الدستور الاول للدولة الاسلامية ، ففيها بنود تختص بتنظيم القضاء وتطبيق العدل ، وقد ركز الرسول (صلى الله عليه وسلم) السلطة القضائية بيده سواء في الخلافات بين المسلمين ام اليهود « وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله والى محمد رسول الله » المادة (٤٢)[١٥] ، ومع انه (صلى الله عليه وسلم) لم يشر الى ان لهذه السلطة القضائية قوة تنفيذية تلزمُ على طاعة قراراتها .

ومما لا ريب فيه أن المسلمين كانوا يخضعون لقراراته تلقائياً ، ولم يكن لاحد منهم ان يعصي الرسول (صلى الله عليه وسلم) لان ذلك يخالف ما جاء في القرآن « واطيعوا الله والرسولَ »[١٦] . ومن هذه الفكرة يفهم انه لا توجد سلطة بشرية بل سلطة إلهية فوق البشر لها وحدها حق الحكم ، والرسول هو ممثل الله ومنفذ إرادته والحاكم الشرعي على الارض ، واساس هذا الحكم العدل .

---

(١٢) النساء : ٦٥ .
(١٣) المائدة : ٤٢
(١٤) آل عمران : ١٥٩ .
(١٥) محمد حميدالله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط٣ ، ص ٤٦ .
(١٦) آل عمران : ١٢٣ .
* الشورى : ٣٨ .

لقد تولى الرسول (صلى الله عليه وسلم) الفصل في المنازعات والخصومات بدليل قوله تعالى : « فاحكم بينهم بما انزل الله »[17] . واعلن نفسه حاكماً اعلى وقاضياً بموجب ما جاء في بنود الصحيفة او الوثيقة ، وكان ينيب عنه احيانا احد الصحابة للنظر في الخصومات ، كما كان يرسل بعضهم لحسم الخصومات ، فلما قلّد علياً (رضي الله عنه) على قضاء اليمن قال له : « اذا جلسَ بين يديكَ الخصمان فلا تقضيّن حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الاول ، فانه احرى ان يتبين لك القضاء »[18] . كما علّم اصحابه اساليب التظلم والشكوى بقوله « البينةُ على من ادعى واليمين على من انكر »[19] . وكان حكم الرسول (صلى الله عليه وسلم) مقترناً بالتنفيذ ولا حاجة معه الى استئناف .

ومن اجتهادات الصحابة أو من أذنَ النبي (صلى الله عليه وسلم) لهم بالاجتهاد حديث معاذ بن جبل (رضي الله عنه) المشهور : فان النبي (صلى الله عليه وسلم) بَعثهُ الى اليمن وقال له : « كيف تصنع إن عرَضَ لك قضاء ؟ » قال : « أقضي بما في كتاب الله » قال : « فان لم يكن في كتاب الله ؟ » قال : « فبسنةِ رسول الله » ، قال : « فان لم يكن في سنة رسول الله ؟ » قال : « اجتهد رأيي لا آلو (اي لا اقصر) . فضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيده على صدره وقال « الحمد لله الذي وفقَ رسولَ رسولِ الله لما يرضي الله »[20] . وهذا دليل على إذن النبي (صلى الله عليه وسلم) للمسلمين بالاجتهاد .

---

(١٧) المائدة : ٤٢ .

(١٨) صبحي الصالح ، النظم الاسلامية ، نشأتها وتطورها ، ط٢ ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٣١٩ .

(١٩) الترمذي ، السنن : ٦٢٦/٣ الحديث ١٣٤٤ .

(٢٠) عبدالكريم زيدان : المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، ١١٥ .

ومن المؤكد ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، قضى في جميع المسائل الحياتية ولم يستثن منها جانباً كالقضايا المتعلقة بالاسرة والاموال والشؤون المدنية والجنايات والحدود .

وتعد احكامه هذه الاسس التي سار عليها المجتمع الاسلامي من بعده ، وهي دعائم القضاء الاسلامي[٢١] ، ومن الملاحظ ان النبي (صلى الله عليه وسلم) في المدينة اراد ان يعطي لبعض الرجال وكبار الصحابة دوراً في ان يحكموا بين الناس كما هو الحال في تحكيمه لسعدٍ بن معاذ في بني (قريظة) .

ولما انتشرت الدعوة الاسلامية ، واتسعت الدولة احتاج الناس في تلك المناطق الى قضاة كحاجتهم الى الولاة والمعلمين ، من هنا كلف الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعض الصحابة للاضطلاع بهذا الامر كعلي بن ابي طالب ومعاذ بن جبل (رضي الله عنهما) وغيرهما ، وقد يكون المعلم الذي كان يرسله الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو نفسه قاضياً كما يذكر ذلك الماوردي[٢٢].

ويذكر السمناني : « ان كل أمير امرهُ وعامل إستعملهُ الرسول (صلى الله عليه وسلم) كانت الاحكام والاقضية تدخل ضمن صلاحياته في المنطقة التي انيطت ادارتها له »[٢٣] ، ويبدو ان النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يعطي الوالي خارج المدينة صلاحية القضاء بين الناس ، فلم يقلد القضاء احداً خارج المدينة منفصلا عن الوالي ، لذا فانه لم يفصل ولاية القضاء عن الولاية العامة[٢٤].

---

(٢١) القطان ، ندوة النظم ٣٥١/١ .

(٢٢) ابن السمناني ، علي بن محمد ، روضة القضاة وطريق النجاة ، تحقيق ، صلاح الدين الناهي ، بغداد ، ١٩٧٠ — ١٩٧٤ ج٢٤٦٦/٣ .

(٢٣) الخصاف ، ابي بكر عمرو بن مهير الشيباني ، كتاب ادب القاضي ، تحقيق ، فرحان زيادة ، القاهرة ١٩٧٦ ، ١٣٣/١ .

(٢٤) حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن — النظم الاسلامية ، القاهرة، ١٩٣٩ ، ص ٣٧٥ .

ويؤثر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) انه قضى لاهل الكتـاب ، فيذكر مسلم انه قضى في قضية يهودي قتل يهودية بأن يقتل فقتل[٢٥] . وكان (صلى الله عليه وسلم) يجيز شهادة اهل الكتاب بعضهم على بعض[٢٦] . وبلغ من سماحته ، وحرصه على تحقيق العدالة بين اليهود انه كان يحلفهم عندمـا يتحاكمون إليه بالقول الذي لا يثير حساسيتهم : « انشدك بالـذي انـزل التوراة على موسى »[٢٧].

فأي مبادىء هذه وأي سماحة تلك التي كان يحملها الامين ، فلقد بلغت عدالته في ان ينصف بالحق كافراً على مسلم عندما رأى الحق للكافر كمـا يشير ابو يوسف[٢٨].

وقد نبغ في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) سبعة قضاة من كبـار الصحابة هم : عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبدالله بن مسعود وزيـد بن ثابت ، ومعـاذ بن جبل ، وعبـدالله بن عمر وعبـدالله بن عباس (رضـي الله عنهم).

---

(٢٥) صحيح مسلم : ١٣٩٩/٣ ، وسنن ابن ماجة : ٨٥٤/٢ .

(٢٦) ابن ماجة : السنن : ٧٩٤/٢ .

(٢٧) صحيح مسلم : ١٣٢٧/٣ ، وسنن ابن ماجة : ٧٨٠/٢ (ويذكر مسلم ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، كان يحكم فيما يعتري اليهود مـن المسائل وفقا لما تحكمه التوراة فيهم) « انظر صحيح مسلم : ١٣٢٦/٣ » وسنن ابن ماجة : ٨٥٤/٢ .

(٢٨) ابو يوسف : الخراج : ٢٠٠ .

الحسبة :

ترد بعض الاشارات التاريخية الى ان الحسبة نشأت في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأنه مارسها بنفسه ، وفوضها احيانا لغيره وهي « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وما يتعلق بحقوق الله ، وحقوق الناس ، وما يكون مشتركاً بينهما .

فاما النهي عنها في حقوق الله ما يتعلق بالعبادات والمحظورات والمعاملات ، ففيما يتعلق بالعبادات كالمخالف للشرع والمسنون من التعاليم الاسلامية ، وما يتعلق بالمحظورات ، هو ان يمنع الناس من مواقف الريب ومظان التهمة والتحذير ، وقد وردت في القرآن الكريم : « ويل للمطففين »[٢٩] ، « واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان »[٣٠] . وقال الرسول الكريم « دع ما يريبك الى ما لا يريبك »[٣١].

ويمنع ما منعه الشرع من الامور المنكرة كالزنا والبيوع الفاسدة والغش والتطفيف والبخس في المكاييل والاوزان[٣٢].

---

(٢٩) المطففين : ١ .

(٣٠) الرحمن : ٩٠ .

(٣١) الماوردي : الاحكام السلطانية : ٢٤٣ .

(٣٢) المصدر نفسه : ٢٥٣ .

وللمحتسب الاشراف على اهل الصنايع في الاسواق ، وأن ما ينكـــره المحتسب من الحقوق المشتركة ، كلمنع الاشراف على منازل الناس ومنع أئمة المساجد والجوامع من إطالة الصلاة حتى يعجز عنها الضعفاء[٣٣].

ولما كانت الحسبة امراً بمعروف ونهياً عن منكر واصلاحاً بين النـاس ، وجب ان يكون المحتسب فقيهاً ، عارفاً باحكام الشريعة ، ليعلم ما يأمر بـــه وينهى عنه ، فأن الحَسَنَ ما حَسَّنَهُ الشرع ، والقبـحُ ما قبَّحهُ الشرع ، ولا مدخل للعقول في معرفة المعروف والمنكر إلا بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، ورب جاهـل يستحسن بعقله ما قبحـهُ الشرع ، فيرتكب المحظور ، وهو غير عالم به ، ولهذا المعنى كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ، كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم)[٣٤].

وبالرجوع الى كتب السير وكتب السنة نجد أن الحسبة كانت موجودة في عهد الرسول (صلى الله عليم وسلم) وجدناها حافلة بالوقائع التي تثبت انه قام بها بنفسه ومارسها ، فلقد رأى الناس يعبدون الاوثان ، ويشركون بالله غيره ، فدعاهم الى الله ، وبيّن ان هذه الاوثان لا تنفع ولا تضر ، ورآهـــم يأكلون الربا فنهاهم عنه وحرّمهُ عليهم ، ونهاهم عن بيع المعدوم ، وبيـــع الملامسة ، والمنابذة ، وبيع الحاضر للبادي ، وتلقي الركبـان ، وبيع الطعـام قبل قبضه ، وهذا الامر او النهي صادرٌ عن إمام المسلمين وقائدهم ، فهو من صميم الحسبة وعين مدلولها ، باعتبار صدورها من الامام الذي يسوسُ الامة ويدير شؤونها ، ومع هذا فهناك ما يثبت تَوَلّي الرسول (صلى الله عليـــه وسلم) للحسبة بنفسه بصورة واضحة ، نذكر منها ما يأتي : « عن ابي هريـرة (رضي الله عنه) ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مَرّ على صُبرة[*] من

---

(٣٣) المصدر نفسه : ٢٥٦ .
(٣٤) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة : ٦ .
(*) الصبرة : بضم الصاد المهملة وسكون الموحدة (الكومة المجموعةمن الطعام)

طعام ، فادخل يده فيها ، فنالت اصابعه بللا ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : اصابته السماء يا رسول الله ، قال : أفلا جعلته فوق الطعام كي يـراه الناس ؟ من غش فليس مني »[٣٥].

وحينما فتح الله عليه مكة ودخل البيت ، جعل يطعن الاصـنام بقوسه في اثناء طوافه ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً »[٣٦] . « جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد »[٣٧] ، والاصنام تتساقط على وجوهها ثم دخل الكعبة فأماط الصور التي كانت وسطها[٣٨].

كما كان عليه الصلاة والسلام يبعث اصحابه ويأمرهم بالقيام بها ، فلما بعث علياً بن ابي طالب (رضي الله عنه) الى اليمن كانت وصيته لـه : « ألاّ تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلاّ سويته »[٣٩].

وروى عن نافع عن ابن عمر : قال : « كنا في زمان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نبتاع الطعام ، فيبعث علينا من يأمرنا بانتقاله من المكان الـذي ابتعناه فيه الى مكان سواه قبل أن نبيعه »[٤٠].

وعن سالم بن عمر : « انهم كانوا يضربون على عهد رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) اذا اشتروا طعاماً جزافاً أن يبيعوه في مكانه حتى يحولوه»[٤١]

---

(٣٥) سبل السلام : ج٣ ص ٢٩ ، ونيل الاوطار : ج٥ ص ٢٤٤ .
(٣٦) الاسراء : ٨١ .
(٣٧) سـبأ : ٤٩ .
(٣٨) زاد المعاد : ١٦٥/٢ .
(٣٩) صحيح مسلم : بشرح النووي : ٣٦/٧ .
(٤٠) صحيح مسلم بشرح النووي : ٣٦/٧ .
(٤١) المصدر نفسه : ١٧٠/١٠ .

وعن سالم بن عبدالله ، ان اباه قال : « رأيت الناس على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اذا ابتاعوا الطعام جـزافاً يضـربون في ان يبيعوه في مكانهم ، وذلك حتى يؤوه الى رحالهم »[٤٢].

هذا وقد استعمل (صلى الله عليه وسلم) سعيد بن العاص بن امية علـى سوق مكة بعد الفتح ، كما استعمل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) علـى سوق المدينة[٤٣] . وكانت هذه الولاية في عهده (صلى الله عليه وسلم) تعرف بالحسبة ومتوليها المحتسب ، ويتبين من هذا امتداد جذور هذه الولاية الـى عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيكسبها تلك المشروعية وتحديد اصل الاختصـاص .

---

(٤٢) المصدر نفسه : ١٠/١٧٠ .

(٤٣) المصدر نفسه : ١٠/١٧٠ .

مصــادر ومراجــع البحــث :

١ ــ القــرآن الكــريم .

٢ ــ ابن السمناني ، علي بن محمد بن احمد (.. ــ ٤٩٩هـ) روضــة القضــاة وطريق النجاة ، تحقيق الدكتور صلاح الدين الناهي ، بغداد ، ١٩٧٠ ــ ١٩٧٤ (٤ أجزاء) .

٣ ــ ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر (٦٩١ــ٧٥١هـ) زاد المعاد في هــدي خير العباد ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ .

٤ ــ ابن ماجة ، ابو عبدالله محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، تحقيق ، محمــد فؤاد عبدالباقي ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

٥ ــ ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (١١٣ــ١٨٢هـ) ، كتاب الخراج ، المطبعة السلفية ، مصر ، ١٣٥٢هـ .

٦ ــ البكري ، حازم المفتي ، القضاء في الاسلام ، نسخة خطية على الالة الكاتبة ، في مكتبة الباحث .

٧ ــ الترمذي ، ابو عيسى ، محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ــ٢٩٧هـ) ، تحقيق الشيخ احمد محمد شاكر ، بيروت ، بدون تاريخ .

٨ ــ حسن ابراهيم حسن ، وعلي ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

٩ ــ الخصاف ، ابو بكر عمرو بن مهير الشيباني (ت ٢٦١هـ) ادب القاضــي ، تحقيق فرحان زيادة ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

١٠ــ الشيزري ، عبدالرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ) ، نهاية الرتبة في طلــب الحسبة ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

١١ــ الشوكاني ، محمد بن علي (١١٧٣ــ١٢٥٠هـ) نيل الاوطار من اسرار منتقى الاخبار ، المطبعة العثمانية ، مصر ، ١٣٥٧هـ .

١٢ــ الصالح ، صبحي ، النظم الاسلامية ، نشأتها وتطورها ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٦٨ .

١٣ـ الصنعاني ، محمد بن اسماعيل (١٠٥٩ـ١١٨٢هـ) سبل السلام شرح بلوغ المرام من ادلة الاحكام ـ مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، بدون تاريخ .

١٤ـ عبدالكريم زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٦ .

١٥ـ القطان ، ابراهيم ، ندوة النظم الاسلامية ، عمان (د.ت) ١٩٨٢ .

١٦ـ الماوردي ، علي بن محمد (٣٦٤ـ٤٥٠هـ) الاحكام السلطانية والولايات الدينية ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٦ .

١٧ـ محمد حميدالله ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٦١ .

١٨ـ مسلم بن الحجاج (٢٠٤ـ٢٦١هـ) صحيح مسلم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، بدون تاريخ .

١٩ـ النووي ، يحيى بن مشرف (٦٣١ـ٦٧٦هـ) صحيح مسلم بشرح النووي ، على هامش ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، دار احياء التراث العربي ، ودار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

سياسات تنشيط القطاع الخاص وتطبيقاتها في العراق

الدكتور عبدالصاحب صالح
محاضر في قسم الادارة العامة

الملخـــص

يهدف هذا البحث الى تسليط الضوء على ظاهرة التحول نحو القطـاع الخـــاص **Privatization** من حيث المبررات والدوافع الكامنة وراء الدعوة الى تخلي الدولة ، كليا او جزئيا ، عن بعض الانشطة التي كانت تتولاهـــا وتسعى من خلالها تقديم المنتج او الخدمة الى المستفيد . واذ ان لهذه الظاهرة انعكاسات سياسية واجتماعية واقتصادية وادارية فقد حاول الباحث تحليـل استجابة بعض الادارات العراقية لهذه الموجـة من التحولات لتحديد مـدى ابتعادها او اقترابها عن بعض ادوارها المرسومة .

تمهيـــد :ـ

تُعد سياسات تنشيط القطاع الخاص أو ما تسمى بالــ Privatization إحدى السياسات الحديثة التي تم تبنيها في السنوات الاخيرة من هذا القــرن عندما واجهت العديد من الحكومات أزمات مالية وإرتفعت اسعار الخدمـــات الحكومية • وكان بداية التطبيق في المملكة المتحدة عام ١٩٧٩ ثم إنتشر بشكل واسع في اكثر من ثمانين دولة متقدمة ونامية خلال ثمانينات هذا القرن ، بغض النظر عن العقائد السياسية ومستوى التقدم الاقتصادي والتقني ووفرةالموارد البشرية والمادية في هذه البلدان (سافس ١٩٨٩ : ١) •

لقد تعددت الرؤى واختلفت وجهات النظر بشأن هذه السياسات واسلوب تطبيقها بين مؤيد ومعارض • واتجه المعنيون للبحث في المبررات والنتائج التي افرزتها التطبيقات (تيسير ١٩٩٣ : ١) •

يمكن القول ان ما كتب عن هذا الموضوع يصنف باتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الاول ـــ يعكس آراء آيديولوجية Ideological تتنـــاول المبـــررات والدوافع الكامنة وراء تخلي الدولة عن البرامج التي كان يتولاها القطاع الحكومي الى القطاع الخاص والاثار الناجمة عن ذلـــك والانعكاسات المترتبة على تقليص الدور الحكومي الذي تعاظـم عندما ساد انموذج التنمية بعد الستينات •

الاتجاه الثاني ـــ يعكس آراء باراغماتية Pragmatic تهتم بالجوانب العملية وتبحث في النتائج التي تفرزها حالات التطبيق وقـــدرة القطـــاع الخاص على تقديم ما هو جديد في مجال الخدمة العامة بطريقـــة كفوءة واقتصادية اكثر مما لو كانت تؤدى في القطاع الحكومـــي (Morgan & England, ١٩٧٩ ، ١٩٨٨) •

الاتجاه الثالث ـ يجمع بين الرؤيتين الايديولوجية والبراغماتية إذ يتناول سياسات تنشيط القطاع الخاص من حيث ابعادها الفكرية والعملية وانعكاساتها التنظيمية على مسار العلاقة بين القطاعين الحكومي والخاص وذلك المنحى الذي سيتخذه هذا البحث .

اهمية البحث :

تكمن اهمية البحث في ان الظاهرة المبحوث عنها ، ظاهرة تثير الاهتمام ، طرحت عنها تساؤلات كثيرة وجرى تطبيق ما تدعو اليه في دول عديدة ، وان دلائل نجاح تطبيقاتها دفعت بالعديد من الباحثين والمختصين للبحث في عوامل نجاحها وامكانية الاستفادة منها في مجالات عديدة .

هذا فضلا عن ان سياسات تنشيط القطاع الخاص اصبحت تمثل احد اهم التحديات التي تواجه الادارة العامة في السنوات الاخيرة على اساس ان هذا التوجه فسح المجال واسعا امام حالة من التنافس بين القطاعين الحكومي والخاص ، ليس لانه اسلوب لتحقيق توزيع افضل للمسؤوليات والمهام بين القطاعين فحسب وانما لاستثمار نقاط القوة في القطاع الخاص وتسهيل مهمته وتنمية امكانات بدلا من زيادة العبء على القطاع الحكومي الذي اخذ يواجه صعوبات عديدة في مجال خدمة المستفيد . هذه الاهمية الحيوية للموضوع هي التي تكمن وراء اختيارنا له للبحث والتحليل فضلا عن ضرورة تسليط الضوء على واقع التطبيقات لهذا النوع من السياسات في العراق .

اهداف البحث :

تتلخص اهداف البحث في الاتي :

١ ـ تشخيص الابعاد والمضامين الفكرية لهذه الظاهرة وما تنطوي عليه من تحديات للادارة العامة .

٢ ـ تحديد انماطها والمبررات الداعية لها .

٣ ــ تحليل ما ينجم عن التطبيقات من ممارسات ادارية واثرها على التدخل الحكومي ودور القطاع الخاص •
٤ ــ تسليط الضوء على التطبيقات التي اعتمدتها بعض الادارات العراقية في تنشيطها للقطاع الخاص •

اسئلة البحث :

يحاول البحث الاجابة عن التساؤلات الاتية :

١ ــ هل المقصود بتنشيط القطاع الخاص **Privatization** تخلي القطاع الحكومي عن دوره المرسوم ؟
٢ ــ كيف يتحدد مسار العلاقة بين البيروقراطية الحكومية والقطاع الخاص عند تطبيق سياسات تنشيطه ؟
٣ ــ كيف استجابت الادارات العراقية لهذه الظاهرة وكيف تفاعلت مع القطاع الخاص بغية تنشيطه ؟

محتويات البحث :

من اجل الاجابة عن هذه التساؤلات ولتحقيق اهداف البحث فان تناولنا للموضوع سيتم بثلاثة مباحث :

المبحث الاول : سيخصص للبعد النظري لسياسات تنشيط القطاع الخاص • والمبحث الثاني سيتناول بعدها التطبيقي ، اما المبحث الثالث فانه يتناول واقع التطبيقات في العراق على وفق الانموذج الذى سبناه الباحث لهذا الغرض • واخيرا الاستنتاجات والتوصيات •

حدود البحث :

يسعى البحث الى التعرف على واقع التطبيقات التي اعتمدتها ثلاث وزارات عراقية (الصناعة والمعادن ، والزراعة ، ووزارة التجارة) ، وكيفية

تفاعلها مع مضمون سياسات تنشيط القطاع الخاص التي تبنتها الدولة منذ عام ١٩٨٧ والاجراءات المعتمدة من قبلها لغاية ١٩٩٧ .

عينة البحث :

يعتمد البحث عينة قصدية في اختياره ثلاث وزارات عراقية (الصناعة والمعادن ، ووزارة الزراعة ، ووزارة التجارة) وذلك لان طبيعة الاداء في هذه الوزارات يعكس واقع ثلاثة قطاعات رئيسة ورائدة في الاقتصاد الوطني وهي (القطاع الصناعي ، والزراعي ، والتجاري) . فضلا عن ضخامة مشاريعها وما تتميز به من دور مؤثر على النشاط الاقتصادي .

المبحث الاول
« سياسات تنشيط القطاع الخاص : البعد النظري »

مقدمة :

تُعد سياسات تنشيط القطاع الخاص من المواضيع الحيوية التي حظيت بالنقاش المستفيض والجدل الكبير ، واخذت الدوريات المهنية في السنوات الاخيرة تعج بالابحاث التي تتناول مفهومها وابعادها وما لها وما عليها من حجج الانصار والمعارضين . ولعل كتابات " **E.S.Saves** " من اكثر الكتابات المتخصصة في هذا الموضوع .

معظم هذه الكتابات تشير الى ان سياسات تنشيط القطاع الخاص اصبحت محورا لحملات انتخابية في دول كبرى ومجالا لاعادة النظر في الدور الحكومي بصيغة تتضمن استنفار الجهود واستثمار الموارد من اجل مجتمع افضل ، فضلا عن انها وسيلة لاعادة التوازن بين القطاعين الحكومي والخاص .

على الرغم من هذا الاهتمام المتزايد بسياسات تنشيط القطاع الخاص ، الا ان الادبيات العربية المتخصصة والبحوث المنشورة لم تتفق على اختيار مصطلح عربي موحد ليقابل الكلمة الانكليزية **Privatization** إذ استخدمت العديد من

المصطلحات للدلالة عليها منها « خصخصة ، تخصيصية ، تخاصية ، أهلنـه ، تفويت ••• الخ » الا اننا إخترنا في هذا البحـث عبارة « تنشيط القطـاع الخاص » للتعبير عما تعنيه كلمة Privatization كونها اكثر شمولية في المعنى والمضمون « كما نراه » •

بغية تغطية البعد النظري للمفهوم الذي تنطوي عليه سياسات تنشـيط القطاع الخاص فإن هذا المبحث سيخصص لمناقشة الجوانب الاتية :

١ ـ ١ مفهوم تنشيط القطاع الخاص :

يقول savas اثارت كلمة Privatization الكثير من الجدل والنقاش الذي لا طائل له من قبل الذين يعتقدون بان هذا التوجه يمثل مؤامرة هدفها سيادة نظام السوق الحر ، إذ يتنافس اصحاب رؤوس الاموال الاثرياء ويستغل الضعفاء •••• وان هيمنة سياسات تنشيط القطاع الخاص تعني تخلي المجتمع عن القيم القائمة على المشاركة)• (سافس ١٩٨٩ : ٢٩١) •

إن مصدر هذا الجدل والنقاش ينبع ، في كثير من الاحيان ، من الخلـط الناتج عند بعضهم في تحديدهم للمقصود بكلمة Privatization يـــرى " Kolderic " ان هناك مفهومين مختلفين للمقصود بالكلمة يتصل كل منهما بطبيعة الاداء في القطاعين الحكومي والخاص ويتأثر بالمسؤولية الملقـاة على عاتق القطاع الحكومي بالذات • ويمكن التمييز بين المفهومين اذا ما علمنا ان جوهر الاداء الحكومي ينطوي على بعدين اساسيين :

اولهما توفير " Provide " خدمات معينة في مجالات اساسية وبالتالـي فان القطاع الحكومي يتحمل مسؤولية « صنع السياسة المتصلة بتنظيم العملية ، واقرارها وتهيئة سبل الشراء ، والمتطلبات الاساسية ، وتخفيف الاعبـاء ، والتمويل ••• الخ » •

ثانيهما إنتـاج " Produce " الخدمة التي يتقرر توفيرها وذلك يعنـي ان على القطاع الحكومي القيام بفعاليات تتصل بالـ « التشغيل ، والتسليم ، والدقة في الانجاز ، والبيع ، والمتابعة ... الخ » .

كل فعالية من هذه الفعاليات سواء في مجال التوفير او الانتاج قد تتعرض للخلل وقد تضطر الحكومة الى اشراك القطاع الخاص فيها بغية تنشـيطه واستثمار إمكانياته في هذا المجال او ذاك . (Kolderie, ١٩٨٦ : ٢٨)

إن تنشيط القطاع الخاص في مجال توفير الخدمة او انتاجها يختلف مـن دولة لاخرى وذلك تبعا لظروفهـا والضغوط الداعيـة الى التزامها بالتوفـير والانتاج او تخليها عن الانتاج دون التوفير او كلاهما معا . لغرض التوضيح نستعين بالمثال الاتي :

خدمة « الامن » من الخدمات الاساسية . لكن هناك اربع حالات توضح دور الدولة ومدى تأثره وتداخله مع دور القطاع الخاص في بعض منهـا اذا ما ارادت الدولة تنشيطه في هذا المجال تبعاً لظروف تلك الدولـة وكما نبينـه في الاتي :

الحالة الاولى (توفير الخدمة وانتاجها من مسؤولية الدولة) : وهنـا تحدد الدولة القوانين والتعليمات التي تحكم النشاط ، ومصادر التمويـل ، والدوائر المعنية بالخدمة وتشكيلاتها ، والجهة التي تباشر مهمة التوجيـه والاصلاح الاجتماعي ... الخ . اي لا مجال لدور القطاع الخاص فيها .

الحالة الثانية (يسهم القطاع الخاص في انتاج الخدمة) : عندما يتقـرر في احد المدن التعاقد مع القطاع الخاص لتولي مهمة محددة (حماية ملاعـب رياضية ، حراسة منازل معينة) على وفـق التوجيهات التي تحددهـا الادارة الحكومية . وهنا التوفير للدولة والانتاج للقطاع الخاص إذ تستعين الدولة بجهوده ، على وفق عقد يحدد مسؤولية الانتاج ، اما مسـؤولية التنظيـم والاشراف والتنسيق فهي للقطاع الحكومي .

الحالة الثالثة : (يتقاسم القطاعان توفير الخدمة وانتاجها) : يحصل ذلك عندما تعتمد احدى المدن على القطاع الخاص وتشركه في مسؤولية توفير الامن وانتاجه إذ يتم تقسيم المدينة الى قطاعات تتحدد مسؤولية كل منهما في اسلوب التوفير والتمويل والمتطلبات الاخرى كما تحددها شروط العقد .

الحالة الرابعة : (تنسحب الدولة عن توفير الخدمة وانتاجها) : قد تتخلى الدولة عن دورها في بعض الانشطة فتقرر احالة الخدمة الى القطاع الخاص توفيرا وانتاجا . يحصل ذلك في بعض المجتمعات التي ينشط فيها القطاع الخاص في مثل هذه المجالات بحيث يمكن الاعتماد عليه في مناطق محددة .

الحالات الاربع المشار اليها تعبر عن اربعة انماط من السياسات التي تعتمدها الدول لتنشيط القطاع الخاص فيها تبعا لالتزام الدولة او تخليها عن توفير الخدمة او انتاجها . يود الباحث وضعها في الانموذج الاتي :

(٣) يتشارك القطاعين الحكومي والخاص في التوفير والانتاج .	(٢) تلتزم الدولة بتوفير الخدمة وتتيح للقطاع الخاص انتاجها .
(٤) يتولى القطاع الخاص التوفير والانتاج .	(١) تلتزم الدولة بتوفير الخدمة وانتاجها .

« الانموذج من اعداد الباحث »

عندما سادَ إنموذج التنمية بعد خمسينات هذا القرن تحمل القطاع الحكومي عبء التوفير والانتاج ومارس دور المحتكر إذ لا يحق للقطاع الخاص منافسته . لهذا سعى العديد من الموظفين الحكوميين الى تشريع القوانين التي تقيّد التنافس على اعتبار ان الحكومة هي الممول الوحيد وذلك افضل وسيلة لضمان مستوى عالٍ من الخدمات (سافس . ١٩٨٥ ، ٢٦٥) .

لقد اريد للقطاع الحكومي ان يُسهم في التحديث والتنمية ، لكـــن تجربة السنين الماضية تشير الى تنائج سلبية ادت الى عجز في الموازنة العامة ، وتدني نسبة العائد الى رأس المال المستثمر في المشاريع الحكومية ، وخلـل في ميزان المدفوعات ... الخ . بسبب الاعباء التي يتحملها ذلك القطاع وتعرضه لخسائر كبيرة (EL - Naggar, ١٩٨٩ : ١) .

واليوم تسعى العديد من الدول للبحث عن الفرص التي تتيح للقطـــاع الخاص التنافس مع القطاع الحكومي بفاعلية والعمل على إزالة العقبات التي تعترض مشاركته في تقديم الخدمات للمستفيد (Barakat, ١٩٩٥ : ١) .

فما المبررات التي تكمن وراء سيادة احد الانماط الاربعة في دولة مــن الدول او تعددها بدرجة او بأخرى ؟

١ ـ ٢ مبررات تنشيط القطاع الخاص :

تختلف المبررات الداعية لتنشيط دور القطاع الخاص من دولة لاخـرى تبعا لعوامل سياسية واجتماعية واقتصادية متعددة، وتتواصل الدراسات والابحاث لتشخيصها وصولا الى تحديد العوامل المؤثرة في تحجيم دور القطاع الحكومي في مجال انتاج الخدمة او توفيرها . سنحاول في الصفحات القادمة توضـيح بعض من هذه المبررات التي تدعو الى تنشيط القطاع الخاص وفقا لكـــل نمط من الانماط الاربعة التي تبناها الباحث وكما يأتي :

النمـط (١)

«تلتزم الدولة بتوفير الخدمة وانتاجها وتتحمل دوائرها المسؤولية بدءا من بلورة سياساتها واقرارها وانتهاءً بتوزيعها للمستفيد ، اما بسبب ضعف القطاع الخــاص وعـدم توفر الاســواق التــي تتيـح له المنافسـة (١ : ١٩٨٩ : EL - Naggar :) . او بسبب الرؤية المتأصلة عند بعض الذيـن يعـدّون تحجيم القطاع الحكومي بمثابة مؤامرة هدفها إضعاف دور الدولة تجـــاه المواطن والمجتمع (٩٨٢ : ١٩٨٩ Morgan & England,) .

وإذ كانت مثل هذه الرؤية سائدة في مصر اواسط سبعينيات هذا القرن عندما اتجهت سياسة الانفتاح الاقتصادي ، فانها اعتمدت على ما يسمى بسياسة التدريج في تنشيط القطاع الخاص (Incremantal Privatization) حيث جرى تحفيز هذا القطاع واغراءه من دون ان تغادر الدولة العديد من مهامها فجأة على امل ان يحدث ذلك شيئا فشيئا (EL - Naggar, ١٩٨٩ : ٧)

وطبقا لهذا النمط فان تنشيط القطاع الخاص يتم بصيغة تسهيلات ومنحه إمتيازات في مجالات محددة .

النمط (٢)

تحاول الدولة تنشيط القطاع الخاص في مجال انتاج الخدمة من دون ان تغادر مهمة توفيرها . هنا تتولى الدولة مسؤولية رسم السياسة التي تحدد نوع الخدمات التي يجب توفيرها للمواطن وكميتها . هذا التحول في إنتاج الخدمة من العام الى الخاص ليس لمعالجة حالة الترهل التي شهدتها الادارات العامة بعد الحرب العالمية الثانية فحسب ، وإنما يعد اجابة عن التساؤلات التي اخذت تطرح على بساط البحث حول الكيفية التي تواجه بها الدولة مسؤولياتها في المرحلة المقبلة (Brudney, ١٩٩٠ : ٤٠٠)

لقد تبنت العديد من الدول هذا النوع من السياسات وسيلة لتحقيق الكفاءة وتحسين جودة الخدمة وتخفيض كلفتها (Walters, ١٩٨٩ : ٢٠) فضلا عن ان فصل قرار توفير الخدمة (نوعا وثمنا) عن عملية إنتاجها الفعلية تمنح المواطن حرية اكبر وتحرره من سلطة البيروقراطية الحكومية التي تحدد نوع الخدمة التي سيحصل عليها المواطن والكمية التي سيستهلكها منها ومتى سيتم تقديمها وكم سيدفع لقاءها (سافس ١٩٨٩ : ٢٦٦) .

النمط (٣)

ينشط دور القطاع الخاص عندما تقرر الدولة اشراكه في الانتاج والتوفير وذلك بهدف التخلص من حالة الهدر في الموارد ومحاولة الارتقاء بالخدمة الى الحالة التي تمكنها من الصمود امام المنافسة (١٩٣ : ١٩٩٥ ، Miranda & Lerner) .

شاع هذا النمط في الدول الاشتراكية (سابقا) حيث تعرضت حكوماتها الى تساؤلات عن ملكية الدولة ولمن ستؤول ؟ وهل المشروع الحكومي من نصيب عماله او المالكين السابقين (اذا كان مؤمما ويراد الغاء تأميمه) ؟ وهل سيعاد توزيع الملكية بعدالة او انها ستتركز بأيدي فئة قليلة من اصحاب رؤوس الاموال ؟ لذلك صار التوجه نحو بيع مشاريع الدولة بطريقة الاسهم لتوسيع قاعدة المشاركة ومن ثم اشراك اكبر عدد ممكن في التمويل ومسؤولية الادارة (الهندي ، ١٩٩٣ : ١٢٢) .

النمط (٤)

هناك خدمات معينة تقرر الدولة التخلي عنها انتاجا وتوفيرا للقطاع الخاص سواء بسبب اطلاق المنافسة بين وحدات ذلك القطاع او لانه وصل الى الدرجة التي يستطيع فيها إشباع حاجة المستفيد

ظهر هذا النوع من السياسات عندما باعت دول عديدة بعض من منشآتها ومشاريعها لمتنافسين من القطاع الخاص للحصول على الموارد وتخفيف العبء عن الموازنة العامة . وقد تفاوتت حدة هذا التوجه بين البيع الكلي للمنشآت والمشاريع بشروط ، وبين بيعها بدون شروط . ويترتب على ذلك ان تغادر الدولة دورها في توفير خدمات معينة وانتاجها (٢٨٨ : ١٩٨٨ ، Kolderie) .

هكذا يتضح ان تنشيط القطاع الخاص لا يعني تخلي الدولة عن دورها نهائيا وانما قد تعمد الى اشراك القطاع الخاص في تحمل مسؤولياته في بعض الحالات ولكن بدرجات متفاوتة . وحتى اشراكه على وفق النمط الاخير تظل

الدولة تضع المعايير المطلوبة لتنافس وحدات القطاع الخاص طبقا لاليـــات السوق • ان هذه الانماط التي تعبر عن سياسات التنشيط قد تكون معتمـدة جميعا في دولة ما وقد يســود نمط منها دون غيره • كمـا ان تطبيقهـا يفرز ممارسات ادارية مختلفة نحاول توضيحها في المبحث الثاني • وبذلك تحققـت اجابة السؤال الاول من اسئلة البحث والذي مؤداه « هل المقصود بتنشيـط القطاع الخاص تخلي القطاع الحكومي عن دوره المرســوم ؟ » مثلما تحقق هدفي البحث الاول ومؤداه « تشخيص الابعاد والمضـامين الفكرية لهـــذه الظاهرة •••• » والثاني الذي مؤداه « تحديد انماط سياسات تنشيط القطاع الخاص ومبرراتها » •

المبحـث الثانـي

سياسات تنشيط القطاع الخاص : البعد التطبيقي

مقـدمـــة :

اثارت تطبيقات سياسات تنشيط القطاع الخاص في دول مختلفة تساؤلات عديدة لاتدور حول افضلية القطاع الحكومي او الخاص في مجال توفير او انتاج الخدمة فحسب بل فيما تفرزه عملية التطبيق من ممارسات ادارية تؤثر في دور البيروقراطية الحكومية وتحد من اجراءاتها واثر ذلك على تفعيل دور القطاع الخاص في تنافسه مع القطاع الحكومي من جهـة وبين وحـدات القطـاع الخاص ذاته •

عندما انتشرت ظاهرة تنشيط القطاع الخاص فقد تبنى انصارها افكـارا تدعو الى اهمية النتائج المتمخضة عن تطبيقها على اعتبار ان ذلك يعالج ضعف الكفاءة الاقتصادية للمشاريع العامة ويخفف عنها اجراءات البيروقراطيـــة الحكومية ويجعلها تعتمد على التمويل الذاتي بدلا من التمويل الحكومـــي (عقراوي ، ١٩٩٤ : ٢٦) •

في هذا المبحث نحاول ان نبين النهج الاداري الذي يحكم تطبيقـــات سياسات تنشيط القطاع الخاص والتي تختلف تبعا لاختلاف مضمون كل نمط من الانماط المشار اليها في المبحث السابق وكما مبينة في الاتي .

تطبيقات سياسات تنشيط القطاع الخاص والنهج الاداري الذي يحكمها

النمط	المضمون	اسلوب التنشيط	النهج الاداري الذي يحكم التطبيق
١	القطاع الحكومي يوفر وينتج الخدمة	منح تسهيلات ، امتيازات للقطاع الخاص	Government Bureaucratic
٢	القطاع الحكومي يوفر والقطاع الخاص ينتج	تأجير النشاط ،و/ او الملكية عامة والادارة خاصة	بيروقراطية حكومية
٣	القطاعين الحكومي والخاص يسهمان في الانتاج والتوفير	بيع جزئي للقطاع التعاوني و/ او بيع للعاملين	ادارة مشتركة Public & Private Management
٤	القطاع الخاص يتولى مسؤولية التوفير والانتاج	بيع المشروع الحكومي للقطاع الخاص ، و/او اغلاق النشاط الحكومي	ادارة مشتركة Non - Government Bureaucratic بدون بيروقراطية حكومية

حتى نوضح الكيفية التي تظل فيها البيروقراطية الحكومية مهيمنة او تتضاءل او تختفي فاننا سنتناول التطبيقات وما ينتج عنها كما يأتي :

٢ ــ ١ تنشيط القطاع الخاص في ظل نهج بيروقراطي حكومي :

من أجل اعطاء دور متميز للقطاع الخاص في العملية التنموية وبغية الحد من تضخم الاجهزة الحكومية نتيجة تدخل الدولة في المجالات المختلفة فقد حاولت العديد من الدول تبني سياسات معينة لتنشيط القطاع الخاص بشكل تدريجي مما يفرز تطبيقات يحكمها نهج بيروقراطي يتفاوت بتأثيره من نمط لاخر وكما مبين في الاتي :

آ ـ الممارسات الادارية التي يفرزها النمط (١) :ـ

في ظل هذا النمط (توفير الخدمة وانتاجها من مسؤولية القطاع الحكومي) يصار الى عدد من الاجراءات المتمثلة بتخفيف القيود والعوائق التي تؤثر في مناخ الاستثمار وتتخذ بعض الاجراءات التي تشجع المستثمرين وتنشيط دورهم تدريجيا حيث تستطيع الحكومة الاستفادة من إمكانيات القطاع الخاص في مجالات معينة . وهذا يعني انه في الحالات التي تتطلب استمرارية التدخل الحكومي فانه يمكن تنشيط القطاع الخاص عن طرق منحه تسهيلات او تخفيف الضرائب من نشاطه من دون ان تبيع الحكومة ممتلكاتها (سافس ، ١٩٨٩ : ٧١ ـ ٧٥) كما حاولت بعض الدوائر التي لاتزال ملتزمة بالمنهج الاشتراكي كالصين مثلا تنشيط القطاع الخاص من خلال بعض الاجراءات المتمثلة بالغاء اللوائح التي تمنع الملكية الخاصة ، وتشجيع المقاولين ، والسماح لاليات السوق بالانتشار (الهندي ، ١٩٩٣ : ١١٨).

ب ـ الممارسات الادارية التي يفرزها النمط (٢)

بسبب الصعوبات المالية المتزايدة والظروف الاقتصادية التي مرت بها عدة دول فقد إتجه بعضها الى تخفيف العبء عن الحكومة ، ومحاولة كسر الاحتكار الذي مارسته البيروقراطية الحكومية (٩٨٨ و١٩٨٨ (Champney., وانطلاقا من فلسفة هذا النمط من سياسات تنشيط القطاع الخاص فان الحكومة عندما تمارس دورها في توفير الخدمة فانه ليس بالضرورة ان تقوم بانتاجها ايضا ، بل يمكن للقطاع الخاص ان يقوم بذلك عن طريق التعاقد معه لهذا الغرض تحت اشراف البيروقراطية الحكومية .

لقد اصبح التعاقد اسلوبا شائعا تستخدمه الحكومات ليس لتقليص الانفاق الحكومي فحسب وانما لتحسين كفاءة الخدمات التي تلتزم الدولة بتوفيرها • وينظر اليه على انه وسيلة تتيح للقطاع الخاص التنافس من اجل تقديم خدمة افضل (١٧٦ : ١٩٩٤ (Prager, •

حتى تتكيف البيروقراطية الحكومية لمثل هذا النوع من السياسات فانها وفي كثير من الدول اخذت تخفف من الاجراءات البيروقراطية المركزية (٣٦٥ : ١٩٨٩ (Mol, ، وتستجيب للظروف المالية والسياسية وتعيد النظر بأساليب تعاملها وكيفية إشباعها لحاجات المستفيدين وذلك من خلال إتاحة الفرصة للقطاع الخاص لانتاج الخدمات •(١٩٨٦:٣٣٢ (Ferris & Graddly,

تطبيق هذا النوع من السياسات في تنشيط القطاع الخاص يتخذ صيغتين :

اولا : التأجير للقطاع الخاص ، شاع هذا الاسلوب في الدول الاشتراكية (سابقا) وفي الصين بصيغة تأجير مشاريع على مستويات صغيرة (وسائل نقل ، مطاعم ، صناعات خفيفة ... الخ) ثم إمتد الى مشروعات كبيرة (الهندي ، ١٩٩٣ : ١٢١) • وعندما ارادت الحكومة المغربية تقليص حجم الدعم للمؤسسات العامة التي اخذت تشكل عبءً على الانفاق العام فقد قررت تأجير الفنادق التابعة لمكتب السياحة الوطني الى القطاع الخاص وذلك عام ١٩٨٧ تمهيدا لتحويل ملكيتها الى القطاع الخاص (عقراوي ، ١٩٩٤ : ٤٩) • وهكذا في دول اخرى اذ تظل البيروقراطية الحكومية تراقب وتشرف •

ثانيا : التعاقد مع شركات خاصة لادارة المشروع الحكومي باسلوب تجاري يحقق الاهداف المرسومة للمشروع ويخفف العبء عن الحكومة ويساعد المشروع على البقاء في ظل ظروف متغيرة • وذلك يتم بتشكيل مجلس ادارة معظم اعضاؤه من القطاع الخاص " Enterpreneures وقد يعيّن رئيسه من قبل الحكومة • يتمتع هذا المجلس بصلاحيات

محددة في العقد خارج النطاق البيروقراطي في مجال تعيين الافـــراد ، واجورهم ومكافآتهم وتحفيزهم إذ تتحمل الادارة الجديدة مســـؤولية الاستثمار وقرارات الاتفاق على عمليات التشغيل من الموارد الذاتيـــة للمشـــروع (Eaton, ١٩٨٩ : ٤٧) ويتم الاتفاق في العقد على تقاســم الارباح المتحققة بين الطرفين (الحكومي والخاص) او تستحصل نسبة منها للحكومة (تيسير ، ١٩٩٣ : ٢٧) .

٢ ـ ٢ تنشيط القطاع الخاص في ظل ادارة مشتركة :

عندما تقرر الدولة الاحتفاظ بجزء من ملكية مشاريعها وبيع الجزء الاخر الى المستثمرين فان ذلك يعني إشراك القطاع الخاص في مسؤولية التوفـــير والانتاج للخدمة ، شاع استخدام هذا النمط في الدول الشرقية بعد انهيـــار الاتحاد السوفيتي (سابقا) على اساس ان لكل فرد الحق في الحصول علـــى نسبة من رأس المال المستثمر في مشاريع الدولة ، وان الحكومة ليست هـــي المالكة لهذه المشاريع بل الشعب هو المالك الحقيقي لها (تيسير ١٩٩٣، : ٢٥).

وعليه فاننا سنحاول تحليل الممارسات التي يفرزها هذا النمط .

الممارسات الادارية التي يفرزها النمط (٣) :

طبقا لهذا النمط (توفير الخدمة وانتاجها مسؤولية مشتركة للقطاعـــين الحكومي والخاص) فإن الملكية والادارة مشتركة . وعلى الرغم من ابتعاده عن البيروقراطية الحكومية الا ان هناك نسبة إرجحية لتعليماتها وقيودها على الممارسات الادارية إذ يتم تنشيط القطاع الخاص كما يأتي :

أ ـ البيع الجزئي للقطاع التعاوني Sale to Co-operative وذلك لتوســيع قاعدة المستثمرين وفسح المجال امام اصحاب رؤوس الاموال الصغيرة غير القادرين على المغامرة برؤوس اموالهم في مشاريع كبيرة . يتأثر نشـــاط الحركة التعاونية في الدول التي تشجع هذا النشاط بالبيئة الاقتصـــادية

والسياسية والاجتماعية السائدة وانعكاساتها على طبيعة الصراع بين مختلف القوى في مثل تلك الدول (٤٨١ : ١٩٨٩ Eaton,) •

كما هو معلوم ان نشأة القطاع التعاوني لم تكن مرتبطة بسياسات تنشيط القطاع الخاص Privatization الا ان فكرة البيع الجزئي لمشاريع الدولة هي التي شجعت على تنمية القطاع التعاوني بسبب ما تمنحه صيغة التعاقد من حق للاشراف والرقابة الحكومية في بعض المجالات وذلك لتضمن الدولة تحقيق هدفها المتمثل بالتوفير والانتاج للخدمة المطلوبة مشاركة مع المستثمرين من القطاع الخاص على شكل تعاونيات •

انتشر هذا النوع من السياسات عندما الغت بعض الدول التأميم لمشاريع حكومية تعرضت للاخفاق واضطرت الحكومة لبيع جزء منها بهدف تخفيف العبء عن الحكومة وانقاذ المشروع من الانهيار (سافس ، ١٩٨٩ : ٢٥٦) •

ب ـ خطة تمليك العاملين Employee Stock Ownership Plan (ESOP)

بغية تشجيع العاملين ومكافأتهم عمدت بعض الدول الى بيع عدد من مشاريع وتحويل ملكيتها على وفق خطة للعاملين فيها (عقراوي ١٩٩٤ : ٥١) فيصبح لكل منهم اسهم بمقدار الراتب الذي يتقاضاه ومن ثم تقسيم الارباح على وفق هذه النسبة كما تحددها شروط العقد • هذا التوجه الذي يندرج تحت النمط (٣) يولد ممارسات ادارية تحقق الاتي:

اولا :ـ العدالة في توزيع الثروة • ثانيا :ـ اتاحة الفرصة للمالكين الجدد للاطلاع تفصيليا على سير العمليات • ثالثا :ـ حملة الاسهم يديرون المشروع بأنفسهم إذ يتم اختيارهم من بين ذوي الخبرة والتخصص • واخيرا فان عقد الشراكة يحدد حقوق الافراد ومسؤولياتهم وتوزيع الارباح والقواعد التي تحكم العمل والمزايا الاضافية ••• الخ (٤٨٣ : ١٩٨٩ : Eaton,) .

ويسمى هذا النوع من التحويل للملكية بالتحول المجاني للعاملين يتم

اللجوء اليه في بعض الاحيان عندما يصعب الحصول على مستثمرين محليين (الهندي ، ١٩٩٣ : ١٢٧) •

على الرغم من انه بيع كلي للمشروع الحكومي الا ان شروط العقد تعطي هامشا رقابيا للبيروقراطية الحكومية لمتابعة مدى تحقق الاهداف التي انشىء المشروع من اجلها وبالتالي فان توفير الخدمة وانتاجها تظل مسؤولية مشتركة بين الادارتين الحكومية والخاصة •

٢ ـ ٣ تنشيط القطاع الخاص في ظل ادارة خاصة :

شهدت ثمانينات هذا القرن دعوات متزايدة لتخفيف العبء عن الادارة العامة وعدم تحميل القطاع الحكومي مسؤولية اكثر مما يحتمل وضرورة نشر هذه المسؤولية (بين القطاعين الحكومي والخاص) (White, ١٩٨٩ : ٥٢٢)

إنطلاقا من هذه الفلسفة فان تنشيط القطاع الخاص يعني اطلاق المنافسة الحرة بين وحدات القطاع الخاص من دون تدخل حكومي ليتمكن من النهوض بدوره في توفير الخدمة وانتاجها • تطبيق هذا النوع من السياسات يستلزم وجود ستراتيجية واعية ، حتى لا يتحول الامر الى مجرد تغيير في نوع الملكية بدلا من تخليص المستهلك من حالة الاحتكار التي كان يمارسها القطاع الحكومي (Eaton, ١٩٨٩ : ٤٧٧) .

إن الممارسات الادارية التي يفرزها هذا النمط تعبّر عن نهج رأسمالي يطلق الملكية الخاصة ويقلص حجم الحكومة ويحصر إهتماماتها بانشطة معينة دون غيرها • وهذا ما يعبرّ عنه بالنمط (٤) وكما سنحاول توضيحه :

الممارسات الادارية التي يفرزها النمط (٤) :

عندما تلجأ الدولة الى حشد جهودها في انشطة تراها ضرورية بدلا من بعثرتها بصيغة تنعكس سلبا على طبيعة الاداء الحكومي وعلى مجالات اخرى عديدة وإذ يتنافس فيها قطاع خاص مؤهل فانها تعمل الى التخلي عن توفير بعض

الخدمات وانتاجها ليس لانها لا تهتم بها وإنما لانها تجد ان القطاع الخاص فيها مؤهل لهذه المسؤولية . وعليه فان تنشيط القطاع الخاص طبقا لذلك يتم على الشكل الاتي :

أ ـ البيع الكامل للقطاع الخاص :ـ

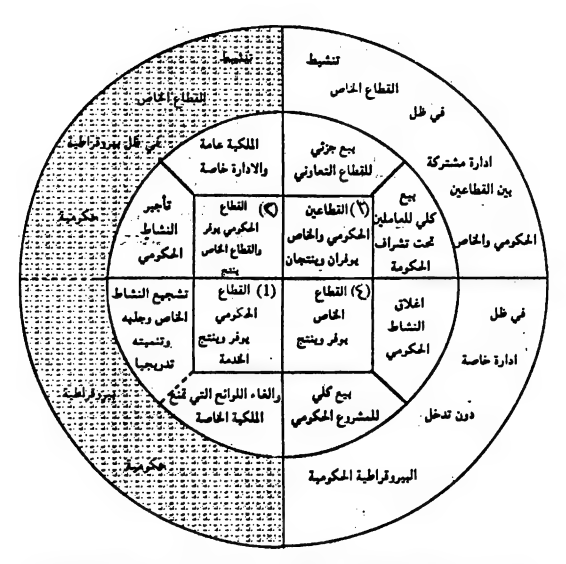
عندما يتم بيع المشروع الحكومي بالكامل سواء عن طريق طرح الاسهم للاكتتاب العام ام بالبيع المباشر للمستثمرين والتفاوض مع شركات خاصة تتنافس للحصول على المشروع او بطريقة المقايضة بالديون الخارجية ... الخ (تيسير ، ١٩٩٣ : ٢٤ــ٢٥) فان ذلك يعني اعتماد نظام السوق لتوفير الخدمة او انتاجها . وهنا يترك للمستهلك حرية اختيار المنتج ولا تتدخل الحكومة بأي شكل جوهري في عملية التوفير والتنظيم اللهم الا في تأسيس معايير لهذه الخدمات . فعلى سبيل المثال تفرض البلدية على المواطنين ان يتم جمع النفايات مرة كل اسبوع لكنها تترك الخيار امامهم لاختيار الشركة الخاصة التي يريدونها والدفع لها للقيام بهذه المهمة (سافس ، ١٩٨٩ : ٩١) .

ب ــ إنسحاب الدولة عن النشاط او الغاؤه :

عمدت بعض الدول الى الانسحاب من بعض الانشطة واغلاق المشاريع الحكومية المتدهورة التي تعاني من ازمة مالية خطيرة نتيجة الاعتماد على الاعانات الحكومية . غلق النشاط وانسحاب الحكومة منه يتزامن معه اصدار قرارات وتعليمات تساعد القطاع الخاص على الظهور في هذا الميدان والتنافس من اجل تقديم خدمة افضل بلا تدخل حكومي (الهندي ، ١٩٩٣ : ١١٨ــ١١٩) .

بعد ان استعرضنا سياسات تنشيط القطاع الخاص ودور الدولة في توفير الخدمة وانتاجها والانماط الاربعة المعبرة عن ذلك الدور ومن ثم الممارسات

الادارية التي تفرزها عملية تطبيق سياسات تنشيط القطاع الخاص يود الباحث ان يضع هذه الانماط والممارسات الناجمة عنها في الانموذج الاتي :



سياسات تنشيط الخاص والاساليب الادارية التي تحكم التطبيقات

يعكس الانموذج الجوانب الآتية :

١ ــ الابعاد الفكرية لسياسات تنشيط القطاع الخاص المتمثلة في التزام الدولة بتوفير الخدمة وانتاجها كما معبر عنها في الانماط الاربعة •

٢ ــ الابعاد التطبيقية لهذه السياسات وما يفرزه كل نمط من ممارسات ادارية•

٣ ــ ان هناك نمطين (١) ، (٢) يتيحان للبيروقراطية الحكومية : آ ــ مجـالا للاشراف المباشر على انتاج الخدمة وتوفيرها (النمط ١) • ب ــ مجـالا لمتابعة توفير الخدمة (النمط ٢) •

٤ ــ إن اشراك القطاع الخاص مع القطاع الحكومي في مجال توفير الخدمـة وانتاجها (النمط ٣) يحد من تدخل البيروقراطية الحكومية لكنه لا يلغيه إذ يتم الاهتداء بالسياسات العامة التي تحكم التنفيذ •

٥ ــ انسحاب القطاع الحكومي عن بعض الانشطة وترك حرية المنافسة للقطاع الخاص لتوفير الخدمة وانتاجها (النمط ٤) طبقا لآليات السوق • يجسد فكرة حرية الفرد في اختيار القطاع الذي يوفر وينتج بجودة عالية وبسعر ارخص بعيدا عن التدخل الحكومي • وبذلك تحقق الهدف الثالث مـن اهداف البحث « تحليل ما ينجم عن التطبيقات من ممارسات ادارية •••» من خلال الاجابة عن السؤال الثاني من اسـئلة البحث الـذي مـؤداه « كيف يتحدد مسار العلاقة بين البيروقراطية الحكومية والقطاع الخاص عند تطبيق سياسات تنشيطه ؟ » •

وعليه فان الباحث سيختبر التطبيقات المعتمدة في العراق لتنشيط القطاع الخاص على وفق هذا الانموذج وصولا الى تحديد درجة ابتعاد القطاع الحكومي عن توفير الخدمة وانتاجها وكما سيتبين في المبحث اللاحق •

المبحث الثالث

تطبيقات سياسات تنشيط القطاع الخاص في العراق

مقدمة :

شهد العراق تغييرات سياسية عديدة تفاوتت فيها الاهتمامات بالقطاع الخاص انعكست على تنمية امكانات ذلك القطاع ودوره المطلوب . واذ تم تناول هذا الموضوع في بحوث ودراسات عديدة فاننا سنلخص مسار العلاقة بين القطاعين الحكومي والخاص كما يأتي :

١ ــ خلال فترة العهد الملكي ولغاية ١٩٥٨ سادت سياسة اقتصادية حرة اقتصر فيها دور الدولة على توفير شروط نجاح المشروعات الخاصة ومتطلباتها وذلك لضعف امكانات الدولة ومحدودية مواردها واتجاه الانفاق العام للبنى التحتية للاقتصاد (عقراوي ، ١٩٩٣ : ٦٥) .

٢ ــ عندما قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ اتجهت الدولة نحو توسيع دور القطاع الحكومي وتعزيزه من دون ان تحد من دور القطاع الخاص إذ شجعت استثمار رؤوس الاموال في مشاريع اقتصادية واصدرت عدة قوانين واتخذت اجراءات لتنشيطه . شهد عام ١٩٦٤ توسع كبير في دور القطاع الحكومي بعد قرارات التأميم لشركات صناعية وتجارية كبيرة وشركات تأمين وصار قطاع البنوك بيد الدولة . وبقيت المشروعات الصغيرة بيد القطاع الخاص (الجنابي ١٩٩٤ : ١١) .

٣ ــ بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ ازداد دور القطاع الحكومي في توفير واتتاج الخدمة وحددت مهام مركزية للانتقال للاشتراكية وصار التوجه نحو تحديد الملكية الفردية فتنامى دور القطاع الحكومي وزادت المؤسسات

الحكومية وتوسعت دائرة الانشطة التي تنهض بها الدولة حتى اصبحت تسمى بدولة القطاع الاشتراكي • (د• الكبيسي ود• الرحيم ، ١٩٩٢ : ٧-١٠) •

تزامن مع هذا التوسع في دور القطاع الحكومي صدور قرارات عديدة منها قرارات التوظيف الالزامي وتحريم إشتغال الخريجين في القطاع الخاص ومنع إستقالة الموظف للحيلولة دون تسرب المؤهلين الى ذلك القطاع (د• عبد الصاحب ، ١٩٩٦ : ٢٣٦) وذلك يمهد لاحتكار الدولة في مجال توفير الخدمة وانتاجها من دون تدخل القطاع الخاص • وجَعله بعيدا عن سياسات الحماية التي تنمّي إمكاناته وتفعيل دوره في الاقل في مجال انتاج الخدمة •

في نهاية عقد الثمانينات وبسبب هبوط اسعار النفط والتأثيرات الاقتصادية للحرب العراقية الايرانية وما تعرضت له بعض مؤسسات الدولة الانتاجية والخدمية من خسائر (الجنابي ، ١٩٩٣ : ١٥) إنعكست على الموازنة العامة • وبغية تخفيف العبء رفعت الدولة شعار الثورة الادارية ودعت الى رفع الاغطية الثقيلة وازالة الحلقات الزائدة لترشيق الاجهزة الادارية وخلق فرص المشاركة للقطاع الخاص • (د• المؤمن ، ١٩٨٩ : ١٥١) فكانت بداية التوجه نحو تبني سياسات تنشيط القطاع الخاص في العراق •

في هذا المبحث نحاول تحليل استجابة الدوائر الحكومية لتطبيق هذه السياسات ، لذلك إخترنا ثلاث وزارات رئيسة ورائدة في هذا المجال (وزارة الصناعة والمعادن ، وزارة الزراعة ، ووزارة التجارة) لمعرفة كيفية استجابتها ومدى ابتعادها او اقترابها من توفير وانتاج الخدمة وفقا للانموذج الذي تبناه الباحث وكما يأتي :ـ

٣ ـ ١ تنشيط القطاع الخاص العراقي في ظل نهج بيروقراطي

تفاوتت الوزارات المبحوث عنهـا في تطبيقاتهـا تبعا لتأكيدها ضـرورة إشراف اجهزتها على توفير الخدمة وانتاجها بشكل مباشر او إمكانية تنشـيط القطاع الخاص في مجال الانتاج تحت إشرافها وكما يأتي :

آ ـ التطبيقات وفقا للنمط (١) :

تبنت وزارة التجارة سياسات لتنشيط القطاع الخاص من دون التفريط بمسؤوليتها عن توفير الخدمة وانتاجها . ليس بسبب طبيعة المهام الملقاة على عاتقها في ظل الحصار الجائر المفروض على قطرنا فحسب وانما لانها ارادت ان تتكيف لظروف الازمة وادارتها بصيغة تتمكن من خلالهـا استثمار امكانات القطاع الخاص وتشـغيله لتهيئة بعـض مستلزمـات البطاقة التموينية .

البيانات التي تم الحصول عليها من المؤسسة العامة لتجارة الحبـوب تشير الى تعاقدها مع عدد من اصحاب المجارش الاهلية وذلك لتجهيزهم بكمية من (الشلب) يتولى المتعاقدون جرشها واعادتها الى المؤسسة على وفق النسب التي يحددها العقد . أي أن القطاع الخاص يسهل مهمة المؤسسة في التوفـير والانتاج . الجدول (١) يبين تطور اعدادهم وتوزيعهم جغرافيا للفترة مـن ٩٠ ولغاية ١٩٩٧ .

جـدول رقـم (١)

تطور عدد المتعاقدين مع الشركة العامة لتجـارة الحبوب
موزعين على المحافظات للموسمين ٩٠ ولغاية ١٩٩٧

المحافظة / الموسم	بغـداد	بابـل	النجف	القادسية	كربلاء	ميسان	المثنى	ديالى	ذي قار	واسط	الانبار	المجموع
١٩٩١/٩٠	٨	١٢	١٢	٨	–	٣	٣	–	–	–	–	٤٦
١٩٩٧/٩٦	٥٥	٥١	٤٨	٥٥	٢٦	١٤	١٧	٨	٥	٨	١١	٢٨٨

المصدر : تقرير المؤسسة العامة لتجارة الحبوب ، والجدول من اعداد الباحث .

من الجدول اعلاه يتضح الآتي :

(١) ان عدد المتعاقدين تضاعف ست مرات ما بين عامي (١٩٩٧/٩٠) هــذا التزايد في اعدادهم يشير الى ان المؤسسة استطاعت استقطاب القطـاع الخاص وتنشيطه لتسهيل مهمتها في توفير وانتاج الخدمة .

(٢) تنشيط القطاع الخاص يتفاوت من محافظة لاخرى تبعا لتوفر المـــادة الاولية في المحافظات التي تزرع الشلب .

تشير البيانات التي اتيح للباحث الاطلاع عليها* الى ان هناك تشـديدا في آلية التعاقد سواء في مجال تقديم الضمانات من قبل المتعاقدين أم وضـع الغرامات على المخالفين لشروط العقد ومع ذلك هناك تزايد في اعدادهــم لان طبيعة العملية تعود بالربح والفائدة على القطاع الخاص الذي تنامت امكاناته في هذا المجال . هذا في وزارة التجارة (طبقا لهذا النمط) اما وزارتا الزراعـة والصناعة فقد تبنتا سياسات اخرى سنوضحها في الاتي :

ب ــ التطبيقات على وفق النمط (٢) :

تعاقدت وزارة الزراعة مع شركة من القطاع الخاص بتأجير مشروعين من مشاريعها لتظل مسؤولة عن توفير الخدمة التي ينتجها القطاع الخاص . كمـا مبين في الجدول (٢) .

جـدول رقـم (٢)

محطات الابقار المؤجرة للقطاع الخاص خلال عام ١٩٩٠

المحافظة	اسم المشـروع	اسم المستثمر
بابـل	محطة ابقار المسيب	الشركة الحديثة للانتاج الحيواني
ديالـى	محطة ابقار الخالص	الشركة الحديثة للانتاج الحيواني

المصدر : تقرير وزارة الزراعة«الهيئة العامة للاستثمارات ، والجـدول من اعداد الباحث .

* البيانات التي اتيح للباحث الاطلاع عليها في مختلف الوزارات المبحوث عنها : (سجلات ، نماذج عقود مع القطاع الخاص ، تعليمات البيع والتأجير)

يشير الجدول (٢) الى ان التأجير تم لمستثمر واحد (الشركة الحديثة للانتاج الحيواني والزراعي) • وذلك يعني ان حالة الاحتكار التي تمارسها البيروقراطية الحكومية تحولت الى القطاع الخاص •

كما تشير البيانات التي اتيح للباحث الاطلاع عليها ان مبلغ التأجير ظل ثابتا ، وذلك محفز لجذب المستثمرين • على ان يخضع المشروع للتفتيش والمراقبة المستمرة التزاما من الوزارة بتوفير الخدمة التي يتم انتاجها من قبل القطاع الخاص تحت اشرافها •

هذا بالنسبة لتطبيقات النمط (٢) باسلوب التأجير اما تنشيط القطاع الخاص بصيغة (الملكية عامة والادارة خاصة) فانه لم يجرِ تطبيقها من قبل الوزارات المبحوث عنها •

٣ ــ ٢ تنشيط القطاع الخاص العراقي في ظل ادارة مشتركة :

من بين التطبيقات التي اعتمدت لتنشيط القطاع الخاص من اجل ان يسهم مع القطاع الحكومي في توفير الخدمة تلك المتمثلة بتنشيط القطاع التعاوني والشركات المساهمة في العراق تجسيدا لفلسفة النمط (٣) وكما سنبينه في الاتي :

تطبيقات النمط (٣)

تطبيقا للتوجهات التي اصدرتها الدولة عام ١٩٨٨ والسنوات اللاحقة ، قامت وزارة الصناعة بتحويل ملكية عدد من مشاريعها الى شركات مساهمة مختلطة وكما في الجدول (٣) •

جدول رقم (٣)
عدد المشاريع الصناعية التي تحولت ملكيتها الى شركات مساهمة مختلطة موزعة على المحافظات وحسب نوع النشاط

المحافظة / نوع النشاط	بغداد	ديالى	التاميم	الانبار	نينوى	المجموع
صناعات غذائية	٣	١	ـ	ـ	ـ	٤
صناعات انشائية	ـ	ـ	١	١	١	٣
صناعات بلاستيكية	٢	ـ	ـ	ـ	ـ	٢
المجموع	٥	١	١	١	١	٩

المصدر : تقرير وزارة الصناعة والجدول من اعداد الباحث .

الجدول (٣) يشير الى تركز المشاريع التي أحيلت ملكيتها الى قطاع مختلط في العاصمة وذلك يحصر الفائدة للمستثمرين في محافظة دون غيرها • وان إسهام القطاع الخاص في مسؤولية توفير الخدمة وانتاجها جنبا الى جنب مع القطاع الحكومي يُعدّ إسهاما متواضعا مقارنة بحجم المشاريع التي بيعت بيعا كاملا للقطاع الخاص كما سيتضح في الصفحات اللاحقة • وتشير البيانات الى وجود نسبة ٥١٪ من الاسهم للحكومة فان ذلك يعطي ارجحية للبيرقراطية الحكومية في تمشية إجراءاتها وتعليماتها واثر ذلك على دور القطاع الخاص في هذا المجال •

ولا بدّ من الاشارة الى ان سياسات تنشيط القطاع الخاص في العراق لم تنطو على محاولة بيع المشروع الحكومي الى الموظفين ، صيغة من صيغ هذا النمط • الا ان وزارة الصناعة حاولت عام ١٩٩٣ طرح اسهم لمشاريع ستراتيجية في سوق بغداد للاوراق المالية لجذب المستثمرين وتوسيع قاعدة المشاركة (اسهم معمل سمنت السماوة) الا ان نسبة الاسهم التي بيعت لا تتجاوز ٢ر٥٪ من مجموع الاسهم* • وذلك يمثل المرحلة الثانية من مراحل تنشيط القطاع الخاص في العراق •

٣ ـ ٣ تنشيط القطاع الخاص العراقي في ظل ادارة خاصة :

اذا كانت دول كثيرة قد تسابقت بدرجات متفاوتة نحو تنشيط القطاع الخاص ليسهم مع القطاع الحكومي في تنفيذ مهامها فان إستجابة العراق لهذا النوع من السياسات جاءت بخطى متأنية سواء بسبب ظروف الحصار الجائر المفروض على قطرنا ام بسبب إمكانات القطاع الخاص ومدى قدرته على تحمل مسؤولية توفير الخدمة وانتاجها بعيدا عن التدخل الحكومي •

وعليه فان استجابة الوزارات المبحوث عنها اتخذت صيغا مختلفة في تعاملها مع القطاع الخاص طبقا لفلسفة النمط (٤) في تنشيط هذا القطاع وكما يأتي :

---

* مقابلة للباحث مع الدكتور احمد الدوري مدير عام الدائرة الاقتصادية في وزارة الصناعة بتاريخ ١٩٩٧/٨/١٧ •

تطبيقات النمط (٤) :

قامت الوزارات الثلاث المبحوث عنها بتحويل ملكية عـدد من المعامـل والمصانع الحكومية الى القطاع الخاص بطريقة البيع الكامل وكما مبين ادناه :

آ ــ وزارة الصناعة والمعادن :

باعت وزارة الصناعة والمعادن : (٦٧) مشروعا بيعا كاملا للقطاع الخاص وكما في الجدول الاتي :

جـدول رقـم (٤)

المعامل والمصانع التي باعتها وزارة الصناعة للقطاع الخاص للفترة من ٨٧ ــ ١٩٩٠ موزعة على المحافظات وحسب نوع الصناعة

	صناعات انشائية	صناعات غذائيـة	صناعات نسيجية	صناعات كيمياوية	المجموع
بصـرة	٧	٢	ـ	ـ	٩
بغـداد	٣	٢	٢	ـ	٧
النجـف	٣	١	ـ	١	٥
كربـلاء	٣	٢	ـ	ـ	٥
الانبـار	٥	ـ	ـ	ـ	٥
واسـط	١	٢	١	ـ	٤
ذي قـار	٢	١	١	ـ	٤
بابـل	١	٣	ـ	ـ	٤
نينـوى	٣	١	ـ	ـ	٤
ميسـان	١	٣	ـ	ـ	٤
بقية المحافظات	٦	٨	٢	ـ	١٦
المجمـوع	٣٥	٢٥	٦	١	٦٧

المصدر : تقرير وزارة الصناعة والجدول من اعداد الباحث .

يلاحظ من الجدول (٤) ما يأتي :

(١) إن عملية البيع جذبت المستثمرين في محافظة البصرة إذ تم بيع تسعة معامل فيها للقطاع الخاص تأتي بعدها بغداد والمحافظات المذكورة في الجدول .

(٢) إن هناك شبه تخلي او انسحاب من الدولة عن دورها في توفير الخدمة وانتاجها في مجال الصناعات الانشائية والغذائية وترك ذلك للقطاع الخاص .

تشير تعليمات بيع هذه المعامل والمصانع التي اتيحت للباحث الاطلاع عليها في وزارة الصناعة الى ما يأتي :

(١) يجوز بيع المشاريع بالتقسيط .

(٢) تباع المشاريع باسلوب المزايدة العلنية والاسبقية لمن هو اكثر ولاءً للوطن . ولم تتوفر للباحث اسماء المستثمرين الذين اشتروا المعامل والمصانع .

(٣) عملية التقدير والبيع تتولاها لجنة ترتبط بوكيل وزارة الصناعة .

(٤) العاملون في المشاريع المباعة يحقُّ لهم الاستقالة او التقاعد او الانتقال لدائرة اخرى حيث يتم تصنيفهم ضمن الفائضين وتوزيعهم على الدوائر الاخرى .

يلاحظ على هذه التعليمات انه على الرغم من توجهها نحو دعم مسار العلاقة بين القطاعين وتعزيزه عدم اشارتها الى دراسة إمكانية بيع المعامل الى الافراد العاملين فيها ولم تأخذ بنظر الاعتبار اثر سياسات تنشيط القطاع الخاص على المسار الوظيفي للافراد ولا يوجد ما يشير الى اعتماد صيغة لمتابعة المشتري الخاص لمعرفة مدى التزامه بتحقيق الاهداف التي انشىء المشروع من اجلها . وذلك يبعد سياسات التنشيط عن مضمونها وهدفها الاساسي الذي ينطلق من فكرة توزيع المسؤولية ونشرها وتهيئة مستلزمات نجاحها في ظل منافسة بدلا من الاحتكار وصولا الى جودة الخدمة وتقليل كلفتها وايصالها للمستفيد .

ب ــ وزارة الزراعة :

باعت وزارة الزراعة معظم مشروعات الدواجن والمجازر ومعامل العلف للقطاع الخاص خلال الفترة من ٨٨ ولغاية ١٩٩٠ وكما في الجدول (٥) .

جدول رقم (٥)

مشاريع الدواجن والمجازر ومحطات الابقار ومعامل العلف التي باعتها وزارة الزراعة للقطاع الخاص خلال الفترة من ١٩٨٨ ــ ١٩٩٠

	مشاريع انتاج افراخ دجاج البيض	مشاريع افراخ امهات بيض التفقيس	مشاريع بيض التفقيس لانتاج فروج اللحم	مشاريع انتاج بيض المائدة	مجازر الدواجن	محطات الابقار	محطة تربية الحيوان	معامل العلف	المجموع
بغداد	ـ	ـ	٢	ـ	٢	٣	ـ	٢	٩
واسط	ـ	ـ	ـ	٣	ـ	٤	ـ	٢	٩
ديالى	١	ـ	٢	١	١	١	ـ	١	٧
صلاح الدين	ـ	ـ	١	٣	١	١	ـ	ـ	٦
اربيل	ـ	ـ	٢	١	١	ـ	ـ	١	٥
القادسية	ـ	ـ	١	١	١	ـ	ـ	١	٤
بابل	ـ	ـ	ـ	١	ـ	١	١	١	٤
بقية المحافظات	١	١	٣	٧	٣	ـ	١	٧	٢٣
المجموع	٢	١	١١	١٧	٩	١٠	٢	١٥	٦٧

المصدر : تقرير وزارة الزراعة والجدول من اعداد الباحث .

من الجدول (٥) يتبين :ـ

(١) أن هناك اربع محافظات استقطبت المستثمرين في مجال الدواجن وتربية الابقار في القطر هي (بغداد ، وواسط ، وديالى ، وصلاح الدين) إذ بلغ مجموع المشاريع المباعة فيها (٣١) مشروع أي ما يقارب نصف المشاريع المباعة .

(٢) أن هناك تخلي أو انسحاب كامل من قبل الدولة في مجال توفير هذه الخدمة وانتاجها حيث اوكلت المهمة الى القطاع الخاص اللهم الا في مجال الاشراف والمتابعة الشكلية .

تشير التعليمات المتوافرة في وزارة الزراعة والتي اتيح الباحث الاطلاع عليها الى الاتي :ـ

(آ) بيعت المشاريع وبتسهيلات ميسرة (٢٠٪ من القيمة تدفع حال البيع والباقي يقسط لمدة ١٠ سنوات) .

(ب) يحق للمشتري ان يؤجر او يبيع على شخص ثالث بموافقة وزارة الزراعة .

(ج) كل المستلزمات التي كانت موجودة في مخازن الوزارة التابعة لهذه المشاريع بيعت بالقيمة الدفترية لمن ترسو عليهم المزايدة ، وكذلك المنتوج الجاهز .

(د) يحق للوزارة تفتيش السجلات والاطلاع على واقع الانتاج ومدى توفر المستلزمات الصحية .

وهذه التعليمات تتشابه في توجهاتها مع تعليمات البيع في وزارة الصناعة عدا صلاحية وزارة الزراعة في التفتيش والمراقبة .

من المستثمرين في مجال الانتاج الحيواني والذين اشتروا مشاريع الدولة في هذا المجال ؟.

تشير البيانات المتوافرة في وزارة الزراعة الى ان هناك ثلاث شركات استحوذت على ما نسبته ٢٥٪ من المشاريع التي تحولت ملكيتها للقطاع الخاص وكما يأتي :

شركة بابل للانتاج الحيواني اشترت (٧) مشاريع حكومية •

شركة الايمان للانتاج الحيواني اشترت (٦) مشاريع حكومية •

الشركة العراقية لتسويق اللحوم اشترت (٤) مشاريع حكومية •

أي أن هناك (١٧) مشروعا من مجموع (٦٧) مشروع احيلت ملكيتها لثلاث شركات وذلك يبعد التطبيق عن الهدف من سياسات تنشيط القطاع الخاص (نشر الملكية على اكبر عدد ممكن من المستثمرين) • وبالتالي يظل الاحتكار بيد جهة واحدة (القطاع الخاص هذه المرة) •

(ج) وزارة التجارة :

تفردت وزارة التجارة في تطبيقها لسياسات تنشيط القطاع الخاص بصيغة البيع الكامل وذلك لان عملية البيع صاحبتها تعليمات مشددة ورافقتها ظروف حولت المستثمر الذي اشترى المشروع الى منفذ للتعليمات وكأنه موظف رسمي بدلا من حالة التنافس التي اريد لها ان تكون حرة في حالة البيع الكامل طبقا لفلسفة النمط (٤) (التوفير والانتاج بيد القطاع الخاص) • فضلا عن ذلك فأن صيغة تنشيط القطاع الخاص من قبل هذه الوزارة إتخذ الصيغة الاتية :

اولا – بيع المطاحن والافران للقطاع الخاص وكما يأتي :

(١١) مطحنة موزعة على المحافظات بواقع مطحنة واحدة •

(١٨) فرن موزعة على المحافظات بواقع فرن في كل محافظة •

ثانيا – عدم شمول اربعة مطاحن كبيرة بعملية البيع لتبقى اداة لمنافسة القطاع الخاص عند الضرورة ولصعوبة فصلها عن مشاريع ستراتيجية انشئت بالقرب منها (سايلوات الحبوب) •

تشير هذه الصيغة الى الاتي :

آ ــ معظم التوفير والانتاج لهذه الخدمة يتولاه القطاع الخاص مع احتفاظ الوزارة بهامش منه .

ب ــ تشير البيانات المتوافرة في الشركة الى ان الاسس التي حددت مسار العلاقة بينها وبين القطاع الخاص لا تتعدى الاتي :ــ

١ ــ لا توجد قيود على شراء اكثر من مطحنة واحدة او فرن واحد .

٢ ــ الافضلية لاصحاب الاختصاص في الشراء .

٣ ــ محاولة الاحتفاظ بالموظفين الشباب من ذوي الخبرة للعمل في مطاحن الدولة الا ان معظمهم ترك العمل او استقال بعد بيع المشروع للقطاع الخاص او انه فضل العمل مع المشتري الجديد بسبب الرواتب المغرية* .

يتضح ان هناك سياسة عامة اعتمدتها الشركة في تعاملها مع القطاع الخاص في توفيره وانتاجه لهذه الخدمة تستطيع ان تلزمه بها طالما تحتكر المادة الاولية وتقوم بأستلام الانتاج وتوزيعه وتحديد سعره على وفق البطاقة التموينية . وعليه فهي حالة تفردت بها احدى تشكيلات وزارة التجارة اذ حولت الملكية الاشتراكية الى ملكية خاصة واحتفظت بحقها في الاشراف والتدخل بعمليتي التوفير والانتاج في آن واحد .

بعد ان سلطنا الضوء على واقع تطبيقات سياسات تنشيط القطاع الخاص في ثلاث وزارات عراقية نكون قد حققنا الهدف الرابع من اهداف البحث ، وأجبنا عن السؤال الثالث من اسئلته الذي مؤداه « كيف استجابت الادارات العراقية لهذه الظاهرة وكيف تفاعلت مع القطاع الخاص بغية تنشيطه ؟ » .

---

* مقابلة مع السيد عبدالمطلب محمد مدير التخطيط في الشركة العامة لتصنيع الحبوب بتاريخ ١٨/آب/١٩٩٧ .

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات :

من خلال ما تقدم يمكننا استنتاج الاتي :

١ ـ إن تنشيط القطاع الخاص Privatization لم يكن ظاهرة سياسية عابرة تزول بزوال الحجج المؤيدة لها إنما هي احد ابرز التحديات التي تواجه الادارة العامة من جهة ، والقطاع الخاص من جهة اخرى لكونها تنطوي على مفهوم واسع يرتبط بمسؤولية القطاعين الحكومي والخاص في مجال توفير الخدمة وانتاجها للمستفيد بأعلى جودة واقل سعر .

٢ ـ هناك اربعة انماط لتنشيط القطاع الخاص كل نمط منها يعبّر عن رؤية القطاع الحكومي لدوره في توفير الخدمة وانتاجها مثلما يعبر عن مدى ثقة الدولة بالقطاع الخاص وفلسفتها في التفاعل معه وما الى ذلك من الاعتماد على إمكانيات هذا القطاع وكيفية تنشيطه في هذا المجال او ذاك.

٣ ـ كل عملية تأجير او بيع جزئي او بيع كلي للمشروعات الحكومية تمثل توجها لتنشيط القطاع الخاص ، يترتب على هذا التوجه تخلي الحكومة عن فعالية من الفعاليات الموكلة لها ، وعليه فان عملية التخلي ترتبط بمبررات قد تزيد من حدة التوجه او إنكماشه تبعا للظروف المحيطة بالنشاط وبالدولة وبالتالي فان سياسات تنشيط القطاع الخاص مرتبطة بالظروف البيئية المحيطة ولا تمثل استجابة للحصول على موارد نتيجة البيع فقط ، وفي كل الاحوال فان هناك هامشا للاشراف الحكومي ولو في صيغة وضع معايير اساسية للادارة يلتزم بها المنتج والمستهلك .

٤ ـ تفاوتت عمليات التطبيق في قطرنا ما بين تنشيط القطاع الخاص بصيغة تتيح التدخل للبيروقراطية الحكومية وبين تنشيطه بعيدا عن تدخل الدولة وكما يأتي :

أ ــ وزارة التجارة تفردت في تفاعلها مع القطاع الخاص سواء من خلال تنشيطه وجذبه لتسهيل مهمتها في التوفير والانتاج من دون ان تبيعه او تؤجره اي نشاط . وبين بيعه مطاحن وافران بيعا كاملا لكنها ظلت مهيمنة على العملية الانتاجية (يستلم منها المادة الاولية وتستلم منه الانتاج لتتولى توزيعه).

ب ــ في حين ان وزارة الزراعة تبنت سياستي التأجير والبيع الكلي ولها الحق في الاشراف والمتابعة ، لكنها اغفلت مسألة تركز الملكية في ايدي بعض الشركات المستثمرة مما يعني ان حالة الاحتكار انتقلت من يد البيروقراطية الحكومية الى بعض المستثمرين في القطاع الخاص (في بعض الانشطة وليس جميعها) .

ج ــ أما وزارة الصناعة فقد اعتمدت اسلوبين في تنشيط القطاع الخاص اولهما ــ البيع لشركات مساهمة (قطاع مختلط) وذلك توجه لنشر الملكية ، هدفا من اهداف هذا النوع من السياسات ، وثانيهما ــ البيع الكامل للمستثمرين من دون ان تتابع مدى التزامهم بتحقيق الاهداف التي انشىء المشروع الحكومي من اجلها في ظرف غابت فيه المنافسة بسبب الظروف المعروفة التي احاطت بقطرنا العزيز مما يجعل من هذا التوجه بمثابة تخلي من قبل الوزارة بما يبعدنا عن الهدف والمضمون الذي نريده من سياسات تنشيط القطاع الخاص.

ه ــ كما يلاحظ ان الموارد البشرية التي كانت تعمل في المشاريع الحكومية التي طبقت عليها هذه السياسات لم تحظ بالرعاية المطلوبة وذلك يشكل هدرا لهذه الموارد وقد يخلق ردة فعل سلبية عند اقرانهم في مشاريع اخرى .

التوصيات :

في ضوء ما تبين لنا وبناءً على هذه التطبيقات التي اعتمدتها الوزارات المبحوث عنها فاننا نوصي بالاتي :

١ ــ حتى لا يظل الغموض يلف مفهوم تنشيط القطاع الخاص الـ " Privatization " ويؤخذ على انه مؤامرة كبيرة على القطاع الحكومي ، فإن على قسم الادارة العامة في كليتنا ان يوضح لطلبته ، خصوصا في الدراسات العليا ، بأن هذا النوع من السياسات ما هو الا مدخل ستراتيجي لتحسين اداء المؤسسات الحكومية او انه واحد من محاولات التغيير التي شهدتها الادارة العامة لتحسين ادائها (موازنة التخطيط والبرمجة PPBS ، والموازنة الصفرية ZBB ، والادارة بالاهداف MBO ، والتطوير التنظيمي OD ... وآخرها ادارة الجودة الشاملة TQM فهي بمثابة استجابات من اجل اداء افضل وكلفة اقل وصولا الى رضا المستفيد .

٢ ــ طالما ان تنشيط القطاع الخاص لا يدعو الى تخلي الدولة عن انشطتها بمجرد تأجيرها او بيعها للقطاع الخاص فان هناك ضرورة للشروع بدراسات اعمق تدعمها الوزارات المعنية للمقارنة بين واقع المشاريع قبل خضوعها للبيع او التأجير وبين واقعها بعد ذلك لتشخيص الايجابيات والسلبيات وايجاد الحلول الممكنة على اعتبار ان هذه المشاريع ثروة قومية لا يمكن التخلي عنها بمجرد تأجيرها او بيعها . وذلك يتطلب اتاحة البيانات وعدم حجبها عن الباحثين .

٣ ــ أن يُصار الى الاهتمام بالموارد البشرية العاملة في المشاريع التي تخضع الى مثل هذه السياسات حيث ينعكس التطبيق سلبا على المسار الوظيفي

للافراد ويجعل اقرانهم في حالة توجس وخشية من ان يكون مستقبلهم الوظيفي غير مضمون .

٤ ـ كما نوصي بأن يتم اللجوء الى إحالة ملكية المشروع الحكومي الى العاملين فيه كونها سياسة للتنشيط تحقق هدفين اولهما نشر الملكية على اكبر عدد ممكن من الناس وثانيهما تحفيز العاملين في هذا المشروع والمشاريع الاخرى في حالة نجاحها تحت اشراف حكومي مباشر .

٥ ـ الابتعاد عن اسلوب البيع الكامل للمشاريع الحكومية الا في حالة توافر سوق منافسة حرة بين القطاعين الحكومي والخاص من جهة وبين وحدات القطاع الخاص من جهة اخرى حتى لا يتحول المستثمر الخاص الى محتكر جديد يتحكم بالخدمة توفيرا وانتاجا .

المصادر العربية

١ ـ د. الجنابي ، طاهر : تحويل القطاع العام الى القطاع الخاص ، ورقة مقدمة الى جمعية الاقتصاديين العراقيين ، بغداد ، ١٩٩٤ .

٢ ـ د. الهندي ، وحيد احمد : التحويل الى القطاع الخاص في الدول الاشتراكية سابقا ، مجلة الادارة العامة ، ع٨١ ، الرياض ، ديسمبر ١٩٩٣ .

٣ ـ د. الكبيسي ، عامر ود. الرحيم ، صلاح : المؤسسات العامة في العراق بين الانشاء والالغاء ، ورقة عمل مقدمة الى المؤتمر العلمي الخامس ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، للمدة من ١٢الـ١٤/١٠/١٩٩٢ .

٤ ـ د. المؤمن ، قيس : الثورة الادارية والاقتصادية واتجاهاتها ومؤشراتها وبعض تطبيقاتها ، من بحوث ندوة الثورة الادارية التي نظمها المركز القومي للتخطيط والتطوير الاداري ، اب ١٩٨٩ .

٥ ـ سافس ، ي ، س : التخاصية مفتاح لحكومة افضل ، ترجمة سارة ابو الرب ، مركز الكتب الاردني ، عمان ، ١٩٨٩ .

٦ ـ د. عبدالصاحب ، صالح عبدالصاحب : الموارد البشرية العاملة في الخدمة المدنية في العراق : دراسة تحليلية لاثر البيئة في السياسات والاحصاءات اطرحة دكتوراه في الادارة العامة ، جامعة بغداد ، كلية الادارة والاقتصاد ، ١٩٩٦ .

٧ ـ عقراوي ، ليندا فضيل : التخصيصية : ما لها وما عليها ، مع التركيز على اهمية توظيفها لادارة نقل المواطنين في بغداد ، رسالة ماجستير ادارة اعمال ، جامعة بغداد ، كلية الادارة والاقتصاد ، ١٩٩٤ .

٨ ـ تيسير ، رضوان العمادي : التخاصية والاقتصاد الاردني ، رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية ، الجامعة الاردنية ، ٣ اب ١٩٩٣ .

المصـادر الاجنبيـة

1. Barakat, Nesreen, 1995 : Jordan's Move Towards Privatization durham Univeresity Business School.
2. Brudney, Jeffery L, 1990, (B.R.) : Moving Beyond Privatization Public Administration Review, Vol. 50, No. 3.
3. Champney, Leonard, 1988 : Public Goods & Policy Types, Public Administration Review, Vol. 48, No. 6.
4. Eaton, Joseph, 1989 : Bureaucratic, Capitalist & Popu list Privatization strategies, International Review of adninistrative sciences, Vol. 55, No. 3.
5. El - Naggar, said, 1989, Privatization & structural Adjustment : The Basic Issues, Papers Presented at aseminar held in Abu Dhabi, U.A. Emirates, Dec. 5-7, 1988.
6. Ferris, J. & Graddy, E, 1986 : Contracting out . For what ? with whom ? Public Administration Review, Vol. 46, No. 4.
7. Kolderie, T., 1986 : The Tow Different Concepts of Privatization Public Administration Review, Vol. 46, No. 4.
8. Morgan, D. & England R., 1988 : The Two faces of Privatization Public Administration Review, Vol. 48, No. 6.
9. Mol, Nico, 1989 : Contract - Based Management Control In Government organizations. International Review of Administrative Sciences, Vol. 55, No. 3.
10. Miranda, R. & Lerner, A. 1995 : Bureaucracy, organizational Redundancy. & the Privatization of Public services, Public Administration Review, Vol. 55, No. 2.
11. Prager, J., 1994 : Contracting out Government Services : Lessons From the Private sector, Public Administration Review, Vol. 54. No. 2.
12. Walters, Alan, 1989 : Liberalization & Privatization : An overview, Papers Presented at a seminar held in Abu Dhabi, U. N. Arab Emirates, Des. 5-7, 1988.
13. white, Louise., 1989 : Public Management In A Pluralistic Arena, Public Administration Review, Vol: 49, No. 6.

النساء الحاكمات في امبراطورية المغول
٦٣٩ ـ ٦٩٤ هـ / ١٢٤١ ـ ١٢٩٥ م

د. علاء محمود خليل قداوي
استاذ مساعد
قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل
الموصل ـ العراق

الملخص

سعت هذه الدراسة الى متابعة الدور الكبير الذي ادته النساء الحاكمات في امبراطورية المغول ، فقد ضَمِنَ العرف السياسي المغولي للمرأة من الاسرة الحاكمة حق مشاركة زوجها في تحمل مسؤولياته السياسية وحق زوج الخان المتوفى تصريف شؤون الامبراطورية لحين انتخاب خان جديد .

وبموجب هذا الحق مارست عدد من نساء الخانات الحكم خلال المدة الانتقالية بين وفاة الخان وانتخاب خان جديد ولم يكن دورهن في الحكم شكليا ، بل تصرفن وكأنهن الحاكمات المنتخبات في المجلس العام « القوريلتاي » وكن يوجهن مسار احداث بلادهن بما يتوافق مع رغبتهن في ضمان فوز مرشحيهن للخانية وكثيرا ما دخلن في صراعات سياسية لتحقيق هذا الهدف ، كما هو الحال مع الخانة توراكنه خاتون ، التي اثارت انقلابا سياسيا اوصلت بموجبه ابنها كيوك للخانية ، وكذلك الصراع السياسي الذي وقع بين الخانة اوغل قيمش وسيورقوقتيتي ونجاح الاخيرة في ايصال ابنها منكو لدست الحكم .

واتسم دورهن في تصريف شؤون الامبراطورية بالواقعية ، فأخذن بنظر الاعتبار واقع الكيان المغولي الواسع والتركيبة الاجتماعية غير المتجانسة ،

فعملن على المحافظة على وحدة البلاد من خلال التخلي عن التعصب والتمييز الديني بين السكان ، كما فعلت سيورقوقتيتي وكوكوجين .

وفي مجال السياسة الخارجية اثبتن قدرتهن على توجيهها بما يتوافق مع ظروف بلادهن ، وفي هذا يشار الى محاولات التحالف بين اوغل قيميش ولويس التاسع ملك فرنسا ضد المسلمين .

واخيرا ان دورهن السياسي لم يتوقف حتى بعد تسليمهن الحكم للخان المنتخب ، فكثيرا ما كن يقدمن استشارتهن للخان الجديد ، وبعض هذه الاستشارات ضمنت وحدة البلاد كما هو الحال في الاستشارة التي قدمتها كوكوجين لابنها تيمور خان فيما يخص مشكلة اسلام اننده حاكم ولاية تنكقوت ومحاربة قايدو .

المقدمــــة :

ظهرت دراسات تاريخية معمقـة عن تاريخ المغول في مختلف الجوانـب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، غير أن هذه الدراسات أغفلت مسـألة مهمة كان لها شأن كبير في تاريخ المغول ، ألا وهي دور النساء الحاكمـات في الامبراطورية المغولية ، ذلك الدور الذي كان يبرز بشكل جلي في المرحـلة الانتقالية بين وفاة الخان[1] وانتخاب خان جديد ، وبموجب العرف الذي كان سائدا لديهم فان زوج الخان المتوفى هي التي تتولى عرش الامبراطورية خلال المدة الانتقالية التي قد تمتد الى خمس سنوات

ان هذه المدة قـد وفرت فرصـة ذهبية للنسـاء في تحقيق اهدافهـن ومخططاتهن في حسم الامور لصالح بقاء السلطة في اقرب المقربين اليهن ، كمـا انها اظهرت كفاءة المرأة المغولية الحاكمة وبراعتها السياسية في حبك المؤامرات ضد الامراء الطامعين في السـلطة ، كما أظهـرت مقدرتهـن في حسن الادارة والحفاظ على وحدة بلادهن .

ان الدور السياسي للنساء الحاكمات المغوليات على وفق الصورة التـي رسمناها توضح أن زوج الخان المتوفى هي التي كانت ترسم الاتجاه السياسي للخان الجديد ، وان مراسيم انتخاب الخان الجديد في اجتماع مجلس الامراء « القوريلتاي » لم تكن الا ترجمة امينة لخطط الخانة الحاكمة في رسم الاتجاه السياسي للخان المنتخب .

ان دراسة من هذا القبيل تعمق التصور التاريخي للباحث في معرفة آليـة العمل السياسي في خلق الطبقة الحاكمة في الامبراطورية واسباب بقاء السـلطة

---

(1) خان : لقب اطلقه المغول على الرئيس الاعلى لدولتهم ، واصل الكلمـة خاقان ، اي الخان الاعظم ، وجرى اختصارها الى خان ، انظر : المقريزي، احمد بن علي : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه : محمد مصطفى زيادة ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ط٢ ، القاهرة ١٩٥٦م ، جـ١ ق٢ ص ٣٠٧ ، حاشية رقم ٤ .

في أسرة جنكيز خان ، كما انها في الوقت نفسه تساعد على زيادة المعرفة التاريخية عن المغول الذين ظلوا عدة قرون يحكمون امبراطورية شملت في اتساعها القصوى المدى الجغرافي الواقع ما بين كوريا الى هنغاريا ، فضلا عن معظم القارة الاسيوية والجزء الاعظم من شرق أوربا .

وقد تتبعنا الدور السياسي للنساء الحاكمات المغوليات على وفق العناوين الاتية :

اولا ــ الياسا ومشاركة المرأة المغولية في الحكم .

ثانيا ــ الخانة توراكنه خاتون وحسم الصراع على السلطة لمصلحة ابنها .

ثالثا ــ الصراع بين أوغول قيميش وسيور قوقتيتي على مرشح الخانية .

رابعا ــ الخانة اوغول قيمش ولويس التاسع ملك فرنسا : محاولات للتحالف .

خامسا ــ قوبلاي وخرقه العرف السياسي المغولي بتنصيب نفسه خانا .

سادسا ــ الخانة كوكجين : حسن الادارة والموقف المهادن من الاسلام .

اعتمدنا في اعداد هذه الدراسة على مصادر متنوعة ، ويأتي في مقدمتها ذلك السفر التاريخي « جامع التواريخ ــ من اوكتاي قان الى تيمور قان » الذي وضعه مؤرخ المغول رشيد الدين الهمداني (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م) ، وتكمن قيمة الكتاب في أن مؤلفه كان وزيرا لايلخانية فارس واتيحت له فرصة الاطلاع على أخبار المغول وأسرارهم ، فجاءت معلوماته شاملة واصيلة ودقيقة ، لاسيما ما يتعلق منها بموضوع البحث ، وباختصار لولا جامع التواريخ لما كان بالامكان كتابة هذا البحث لافتقادنا التام الى روايات المعاصرين باستثناء المعلومات القليلة التي جاء بها الجويني (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) في كتابه « تاريخ جهانكشاي » وابن العبري (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) في كتابه « تاريخ الدول السرياني » . كما استفدنا وبدرجات متفاوتة من دراسات تاريخية تخص تاريخ المغول ، ولا أجد ضرورة لذكرها فهي مسجلة في قائمة المصادر والمراجع .

اولا : الياسا ومشاركة المراة المغولية في الحكم :

كان للمغول على الرغم من بدائية حياتهم مجموعة من الاعراف والتقاليد التي لم تكن مدونة لجهلهم الكتابة ، وعندما وحدهم جنكيز خان اعاد النظر في هذه الاعراف فرد بعضها واضاف اليها بعض الاحكام والقواعد وجعل لها صيغة رسمية وأمر بتدوينها باللغة الاويغورية[٢] ، وأن يحتفظ بها في خزائن المغول واطلق على كل هذه الاحكام والقواعد تسمية الياسا أو الياساق وهي كلمة مغولية تعني حكم او قاعدة او قانون[٣] ، وقد أصدر جنكيز خان هذا القانون سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م عقب انتخابه خانا اعظم للمغول[٤].

وكانت دوافعه في اصدار هذا القانون جمع كلمة المغول القبليين المتعطشين للدماء حول قانون يلتفون حوله وينزلون جميعا عند حكمه ، ومواد هذا القانون مشتملة على عقوبات[٥] فيها جد وصرامة توقع على المذنبين بلا شفقة

---

(٢) عن اللغة الاويغورية ، انظر : بارتولد . و : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة : احمد السعيد سليمان ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٤٧ .

(٣) الجويني ، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد : تاريخ جهانكشاي ، تحقيق : محمد عبدالوهاب القزويني ، ليدن ١٩١١ ، جـ١ ، ص ١٦ـ١٩ . الصياد ، فؤاد عبدالمعطي : المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٣٣٨ .

Saunders, J,J : The History of the Mongol Conquests, London, 1971, P, 68 - 69 .

(٤) الجويني : تاريخ جهنكشاي ، جـ١ ص ٢٨ . رانسيمان ، ستيفن : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، جـ٣ ص ٤١٦ . جبران ، نعمان محمود احمد ، ومحمد حسن العمادي ، دراسة في المصادر الرسمية لتاريخ أسرة يوآن المغولية ، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية ، جامعة قطر ، العدد التاسع ، السنة التاسعة ، ١٩٩٧ ، ص ٣٢٢ .

(٥) عن ما تضمنته الياسا من عقوبات ، انظر التفاصيل ، ابن العبري ، غريغورس الملطي : تاريخ الدول السرياني ، نشر في مجلة المشرق اللبنانية ، بيروت ، العدد ٤٨ ، السنة ١٩٥٤ ، ص ٤١٩ـ٤٢١ . الجويني : تاريخ جهانكشاي ، جـ١ ص ١٦ـ٢٠ .

أو رحمة ، لان هؤلاء الاتباع ان تركوا وشأنهم يحيون حياتهم القديمة فستعم الفوضى والقتل حياتهم من جديد .

واذا كانت الياسا قد فضت النزاع والخصام بين المغول فانها حددت الحقوق والواجبات وما هو مقرر للحاكم والمحكوم والاب والابن والزوج والزوجة ، وبخصوص الزوجة ، فقد اقر جنكيز خان بأهمية مشاركة المرأة زوجها في شؤونه ، ومنها السياسية ، وان لا يقتصر دورها عند حدود الانجاب وتربية ابنائها واشار في الياسا بأنه يغضب اذا علم « بافتقار اعتماد الزوج على زوجته » ، وان تكون هي صاحبة الشأن في ادارة شؤون اسرتها او قبيلتها في أعقاب وفاة زوجها[٦].

وجنكيز خان بهذا لم يكن قد خرج على العرف الذي كان سائدا عند المغول اذ ان جدته أوجين اقا كانت تلقب بالملكة[٧] ، وتشارك زوجها شؤونه ، وكذلك والدته اولون ايكه التي قادت جند والده المتوفى عدة مرات وكانت تدبر شؤونهم وتحافظ عليها وترعاهم الى أن صار جنكيز خان قادرا على تحمل مسؤولياتهم وبفضلها كما يشير الهمداني استطاع جنكيز خان ان يحقق اهدافه[٨].

وبهدف تنظيم حق مشاركة المرأة في الحكم أعطى جنكيز خان الحق للخان اختيار خليفة له في الحكم « ولي عهد » على ان هذا لا يمارس سلطة الخان الا بعد عقد اجتماع عام تحضره الاسرة الحاكمة بما فيهم الخواتين

---

(٦) الرمزي . م : تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار ، اورنبورغ ، ١٩٠٨ ، جـ١ ص ٣٥٨ ، الصياد : المغول ، ص ٣٤٤-٣٤٥ . رانسيغان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ٣ ص ٤١٦-٤١٧ .

(٧) جبران : دراسة في المصادر الرسمية لتاريخ اسرة يوآن ، ص ٣١٦ .

(٨) الهمداني ، رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ « تاريخ خلفاء جنكيز خان من اوكتاي قا ان الى تيموقا ان » ، نقله الى العربية : فؤاد عبد المعطي الصياد ، دار النهضة العربية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص١٧٠.

وأمراء الاقاليم ، وهذا الاجتماع او المؤتمر الذي يسمى « قوريلتاي » يعقـد لتقرير الموافقة على هذا الاختيار او ايجاد البديل عنه . وخلال المدة الانتقالية التي تستغرق في العادة بضع سنوات جـرى العرف ان تتولى شـؤون ادارة الامبراطورية المغولية الزوج الاخيرة للخان المتوفى باعتبار ان لها معرفـة بالمشاكل الخاصة بالامبراطورية بحكم قربها من قلب الخان المتوفى ، فضـلا عن كونها صمام امـان للحيلولة دون تفاقم المشـاكل وانفجارها بين الامـراء الطامعين في السلطة .

وبموجب هذا العرف الذي جرى تطبيقه ، تقلد خلال المدة الانتقالية بين وفاة الخان وولاية ولي عهده عدد من نساء الاسرة الحاكمة منصب الخانيـة ، واثبتن جدارتهن في الحكم ، بحيث ان بعض اللواتي تبوأن عرش الخانية كـن سياسيات واداريات من الطراز الاول ، ودللن على ان المرأة لا تقل شأنا عـن الرجل في ادارة شؤون الدولة ، واذا كان بعضهن قد لجأن الى اثارة المؤامرات والدسائس لضمان خلافة ابنائهن لهن في الحكم ، فان ذلك كان مظهرا مـن مظاهر الصراع على السلطة تلجأ اليه المرأة مثل الرجل ليس حبا في ارتكـاب الجرائم ، وانما اعتقادا منها بأنها تدافع عن حقها في الحفاظ على مركزهـا وحقوق اسرتها .

ثانيا : الخانة توراكنه خاتون وحسم الصراع لمصلحة ابنها :

كان لجنكيز خان زوجات ومحظيات كثيرات ، ولكنه كان يفضل عليهـن جميعا زوجه المسماة « بورته فوجين » ويعز أبناءه منها ، واختار اربعة من بين ابنائه التسعة منها سـماهم « جهار كولوك » أي الاركـان الاربعة وهـم : جوجي ، وجغتاي ، واوكتاي ، وتولوي ، في ادارة امبراطوريته المتراميـة الاطراف ، وبولاية العهد لاوكتاي[٩].

وطبقا للعرف الذي اشرنا اليه آنفا كان يفترض ان تتولى بورته فوجـين منصب الخانية خلال الفترة الانتقالية والتي دامت عامين بين وفاة جنكيز خـان

(٩) المصدر نفسه ، ص ٧ ، ١٧ ، ٢٩ـ٣٠ ، ١٣٥ .

في رمضان سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م وانعقاد اجتماع الامراء العام « القوريلتاي » في ربيع سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م والذي نصب اوكتاي خانا اعظم[١٠] . والمصادر المتوفرة تسكت عن اي ذكر لبورته فوجين مما يجعلنا نفترض انها لم تمارس صلاحياتها اما لعجز اصابها او انها قد توفيت بعد وفاة زوجها بوقت قصير ومما يدعم هذا الافتراض تأكيد مؤرخ المغول رشيد الدين الهمداني بأن « العرش والملك ظلا خاليين قرابة سنتين ، واخيرا فكر الامراء خوفا من ان يحدث امر ما ، وليس هناك رئيس او ملك معين فيتطرق الفساد والخلل الى اساس الملك ، فمن المصلحة التعجيل بتنصيب خان للخانية »[١١] ، وقد استقر رأيهم في « القوريلتاي » على تنصيب اوكتاي خانا اعظما كما اشرنا الى ذلك آنفا .

كان لاوكتاي خان زوجات كثيرات ، كما كان له ستون محظية الا ان زوجاته المشهورات كن اربع اكثرهن سلطانا توراكنه خاتون التي رزق اوكتاي منها بخمسة اولاد من مجموع اولاده السبعة[١٢] ، وفي اعقاب وفاة اوكتاي سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م اتفق امراء البيت الحاكم على ان تتولى منصب الخانية توراكنه خاتون لحين انعقاد مجلس القوريلتاي لانتخاب خان جديد[١٣] .

---

(١٠) عن وفاة جنكيز خان وتنصيب اوكتاي خانا أعظم ، انظر : الهمداني : جامع التواريخ ، ص ٢٨ــ٣٠ . العريني ، السيد الباز : المغول ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٧ ، ص ١٤٣ ، ١٥٩ــ١٦٠ .

(١١) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ٢٨ . وانظر كذلك :
Saunders : op . Cit, P, 75

(١٢) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٧ــ١٨ .

(١٣) ابن العبري : تاريخ الدول السرياني ، ص ٧٤٩ . براون ، ادوارد جرانفيل: تاريخ الادب في ايران ، نقله الى العربية : ابراهيم امين الشواربي ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٤ ، ص ٥٧٤ . بارتولد ، فاسيلي فلاديمير وفتش : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم ، مطبوعات المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، ط١ ، الكويت ١٩٨١ ، ص ٦٧١ . القزاز ، محمد صالح داود : الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، مطبعة القضاء ، النجف ، ١٩٧٠ ، ص ٥٥ .

عرف عن توراكنه خاتون بانها لم تكن ذات جمال بارع ، ولكنها كانت ذات سلطان كبير ومصداقا لسيطرتها وتحكمها ، فانها لم تأبه بوصية جنكيز خان في وجوب من يتولى شؤون الحكم ان يستشير افراد الاسرة الحاكمة ، بل عمدت الى اثارة الفتن بين افراد الاسرة الجنكيز خانية تحقيقا لمآربها الخاصة[١٤].

وقد احاطت بمسألة اختيار وريث عرش اوكتاي صعوبات كثيرة ، اذ لم يكن من بين آل جنكيز خان من تلتف حوله القلوب ، فكان اوكتاي قد جعل ولاية العهد لابنه الثالث كوجو ، غير ان هذا لقي مصرعه قبل وفاة والده فجعل اوكتاي الملك لحفيده شيرامون بن كوجو الصغير السن ، غير ان هذا الاختيار اصطدم في اعقاب وفاة اوكتاي بمعارضة باتو حاكم بلاد القفجاق جنوب روسيا[١٥] وأحد كبار امراء اسرة جنكيز خان الذي لم يكن يميل الى ان يتولى عرش المغول احد من اسرة اوكتاي ، كما ان كوتان الابن الثاني لاوكتاي كان يسعى لحشد التأييد له للوصول الى منصب الخانية ، وينافسه في ذلك عم والده الامير اوتجكين الطامع بالملك[١٦] الذي استغل فرصة انشغال كيوك المرشح من والدته توراكنه لمنصب الخانية في فتوحاته في روسيا[١٧] ، بأن قاد جيشا مزودا بالعدة والعتاد الى معسكر الخانة ، وما ان علمت توراكنه بالامر حتى ارسلت رسولا الى اوتجكين تقول له : « نحن كنائنك مستظهرون

---

(١٤) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٨٠ . Saunders : op . Cit, P, 93

(١٥) عن مملكة القفجاق والمناطق التابعة لها ، انظر : الحجي ، حياة ناصر : العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق ، حولية كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية الثانية ، ١٩٨١ ، ص ١٠ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨٠-١٨١ . بارتولد : تركستان ، ص ٦٧١ .

(١٧) عن فتوحات كيوك في روسيا ، انظر : العريني : المغول ، ص ١٨٠-١٨١.

بك ، فما سبب قدومك بالجنود ، وبالعدة والعتاد ، اذ ان كافة الرعايا والجنود قد اضطربوا » ، كما ارسلت اوباتي بن اوتجكين الذي كان ملازما لهـا الى والده لاقناعه بالعدول عن هذا الامر ، وقد خجل اوتجكين بعد لقائه الرسولين وعلل قدومه بسبب وفاة اوكتاي خان وانه قدم لتقديم العزاء ، وبذلك مهـد السبيل للاعتذار ، ثم عاد الى موطنه[١٨].

وازاء هذه الاطماع ادركت توراكنه خاتون ان السبيل الوحيد لايصـال ابنها الى منصب الخانية هو اجتذاب قلوب الاقارب والامراء بانواع التحـف والهدايا حتى كسبت الاغلبية الى جانبها ومهدت السبيل للايقاع بكبار الامراء والوزراء والنواب المعارضين لسياستها واعتمدت في تنفيذ غرضها على حاجبتها المدعوة فاطمة التي كانت غاية في الذكاء والكفاءة وموضعا للثقة وكاتمـة لاسرارها ، وبناء على مشورة فاطمة اخذت توراكنه خاتون تعزل الامـراء واركان الدولة المعارضين لها والذين كانوا قد عينوا في المناصب الكبـرى في عهد اوكتاي ومن بين هؤلاء جينقاي الوزير الاعظم ومحمود يلواج صـاحب الديوان وحاكما الخطا اللذان افلتا من بطش توراكنه خاتون بالتجائهما الـى ابنها كوتان الذي رفض طلب امه بتسليمهما اليها اذ خاطبها قائلا : « ان بغاث الطير عندما تحتمي بالاشواك خوفا من مخالب الباز تجد الامان بها ، وهما قد استجارا بي وليس من شروط الهمة والمروءة وصفات الكرم والفتوة ان اسلمهما اليك » فشملهما بعطفه[١٩] ، وكان هدفه من وفادتهما تدعيم سعيه للخانيـة ، ولكن المرض الذي فاجأه حال دون ذلك[٢٠].

---

(١٨) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٧٨ .

(١٩) المصدر نفسه ، ص ١٧٦–١٧٧ . الجويني : تاريخ جهانكشـاي ، ص ٢٠٠–٢٠٣ . ابن العبري : تاريخ الدول السرياني ، مجلة المشرق اللبنانية، العدد ٥٠ ، السنة ١٩٥٦ ، ص ٣–٤ في حديثه عن فاطمة . واقبـال ، عباس : تاريخ مفصل ايران ، طهران ، ١٣١٢هـ ش جـ١ ص ١٥٢ .

(٢٠) بارتولد : تركستان ، ص ٦٧٥ .

اما باقي المعارضين فتخلصت منهم بسهولة ، فعزلت مستشاري اوكتاي وهما تشنكاي النسطوري وبي ليوتشو الصيني[٢١] ، واوقعت بالامير كوركوز حاكم خراسان الذي قتلته بعد ان الصقت به تهمة التشهير بها واحلت محله الامير أرغون المقرب اليها[٢٢] ، كما تمكنت من اقناع كل من الامير سعود بك حاكم التركستان وما وراء النهر والامير باتو حاكم القفجاق بالتخلي عن معارضتهما وتنصيب كيوك خانا للمغول لقاء احتفاظهما بمنصبهما[٢٣].

وبذلك تكون توراكنه خاتون التي ظل عرش الخانية تحت امرتها ما يقرب من خمسة اعوام (٦٣٩ ــ ٦٤٤هـ/١٢٤١ ــ ١٢٤٦م) قد هيأت الظروف لتحقيق هدفها فأرسلت الرسل الى كبار امراء اسرة جنكيز خان وحكام الاقاليم وقادة الجيوش لحضور جلسة المؤتمر « القوريلتاي » لتنصيب كيوك رسميا خانا اعظم للمغول ، كما ارسلت دعوات الى عدد من الملوك والسلاطين[٢٤].

انعقد القوريلتاي في صيف سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م عند منابع نهر ارخون قرب منغوليا وحضر الاجتماع جميع امراء المغول المدعوين باستثناء باتو الذي اعتذر لمرض اصابه ، لكنه ارسل خمسة من اخوته بدلا عنه ، كما حضر الاجتماع باروسلاف دوق روسيا وقلج ارسلان الرابع سلطان سلاجقة الروم والمطالبان بعرش مملكة الكوج داود نارين ، وداود لاجا ، وكند اسطبل سمباد

---

(٢١) العريني : المغول ، ص ١٨٨ .

(٢٢) **Spuler, Bertold : History of the Mongols Based on Eastern and Western Aceounts of the 13 and 14 Centuries, london, 1972, P 126, P 126-127.**

(٢٣) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٧٧ــ١٧٨ ، ١٨٠ــ١٨١ . بارتولد : تركستان ، ص ٦٧٦ .

(٢٤) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٨٠ . وانظر عن تحديد سنوات حكمها لين بول ، ستانلي : طبقات سلاطين الاسلام ، ترجمة عن الفارسية : مكي طاهر الكعبي ، دار منشورات البصري ، ١٩٦٨ ، ص ١٩٧ .

شقيق هيثيوم الاول ملك ارمينيا الصغرى ، ومندوبون عن الخليفة العباسي ببغداد وزعيم الاسماعيلية وأتابك كرمان وفارس والموصل[٢٥].

وأعلن المجتمعون بناء على طلب توراكنه خاتون انتخاب كيوك رسميا خانا اعظم للمغول ، ولم يقبل الخان الجديد الحكم الا بشرط بقاء الحكم وراثيا في سلالته ، فوافقه المجتمعون وتلقى منهم يمين الولاء والخضوع[٢٦].

أظهر كيوك خلال مدة حكمه ميلا نحو المسيحية بتأثير من والدته توراكنه خاتون التي كانت تدين بالمسيحية ، فقرب الى بلاطه الامراء المسيحيين حيث اسند الى جنيقاي منصب الوزارة وقداق الحجابة ، كما اقبل على رعاية القسيسين والرهبان ، وجعل بلاطه مفتوحا لهم[٢٧] على الرغم من كونه كان يدين بالشامانية[٢٨] ، وبسبب هذه الميول تشجعت البابوية ارسال سفارتين عنها الى كيوك ، الاولى برئاسة الراهب يوحنا دي بلان كاربيني الذي التقى بكيوك نهاية سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م ، والثانية برئاسة الراهب الدومنيكاني اسكلين اللومبادي الذي قابل القائد المغولي بايجو في سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م وقد حمل الراهبان الدعوة لخان المغول باعتناق المسيحية ومناقشة احتمال اقامة تحالف بينهما لشن حملة صليبية مغولية لتطويق المشرق العربي الاسلامي وتحطيمه ، ومن ثم اقتسامه . ومع ان هاتين السفارتين أخفقتا في تحقيق اهدافها

---

(٢٥) الجويني : تاريخ جهانكشاي ، جـ١ ص ٢٠٥-٢٠٦ . الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٨٠-١٨١ . الرمزي : تلفيق الاخبار ، جـ١ ص ٣٨٠ - ٣٨١ ، ٣٩٠ .
Supler : op, Cit. P, 66.

(٢٦) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٨٢ .

(٢٧) ابن العبري : تاريخ الدول السرياني ، ص ٣ . الهمداني : جامع التواريخ، ص ١٨٤ ، ١٨٨ . الصدفي ، وزق الله منقريوس : تاريخ دول الاسلام ، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر ، ١٩٠٧ ، جـ٢ ص ٢٧٨ . الرمزي : تلفيق الاخبار ، جـ١ ص ٣٩٧ . بارتولد : تركستان ، ص ٦٧٨-٦٩٤ .

(٢٨) عن الديانة الشامانية ، انظر : ارنولد : سير توماس : و : الدعوة الى الاسلام ، ترجمة : حسن ابراهيم حسن واخرون ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٥١ . الصياد : المغول ، ص ٣٣٥.

بسبب مطالبة كلا الطرفين ان تكون السيادة العليا له[٢٩] ، الا انهما فتحتا المجال لسفارات اخرى عقب وفاة كيوك .

ثالثا : الصراع بين اوغول قيميش وسيورقوقتيتي على مرشح الخانية :

توفي كيوك خان في ربيع سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م[٣٠] ، ففوض امراء المغول امر تصريف شؤون الحكم الى اوغول قيميش ارملة كيوك لحين انتخاب خان جديد طبقا لرسوم المغول السياسية[٣١].

وكان لاوغول قيميش ولدان هما خواجه اوغل وناغو ، وقد تخلت امهما عن دعم ترشيح احدهما للخانية لاسأتهما استخدام السلطة في اثناء حكمهما ولصغر سنهما وقلة تجربتهما[٣٢] ، ووافقت بناء على مشورة المقربين منها على دعم ترشيح شيرامون[٣٣] ، الذي سبق ان كان مرشحا للخانية والذي اغتصبت توراكنه خاتون حقه لمصلحة ابنها كيوك[٣٤] ، كما سبق الاشارة الى ذلك .

ولكن هذا الترشيح اصطدم بمعارضة باتو حاكم القيجاق وكبير اسرة جنكيز خان الذي وجد ان منكو اكبر ابناء تولوي بن جنكيز خان خير من يتولى الحكم لانه تجتمع فيه صفات القائد المحنك والاداري الحازم[٣٥] ، وهو في

---

(٢٩) عن هاتين السفارتين ، انظر : رانسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ٣ ص ٤٤٦-٤٤٧ . سعداوي ، نظير احسان : الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ، منشورات مكتبة النهضة العربية ١٩٦١م ، ص ١١٦ اشور ، سعيد عبدالفتاح : الحركة الصليبية ، مكتبة الانجلو المصرية ط٢ ، ١٩٧١ ، جـ٢ ، ص ١٠٩٨-١٠٩٩ ، العريني : المغول : ص ١٩٠ . أرنولد : الدعوة الى الاسلام ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٦ .

(٣٠) زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، دار الرائد العربي ، ص ٣٦٠ .

(٣١) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٨٦-١٩٧ ، بارتولد : تركستان ، ص ٦٨١ .

(٣٢) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٨٦ .

(٣٣) الصياد : المغول ، ص ٢٠٥ .

(٣٤) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٩٩ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ١٩٩-٢٠٠ . الرمزي : تلفيق الاخبار ، جـ١ ص ٣٩١ . بارتولد : تركستان ، ص ٦٨١-٦٨٢ .

ذلك يدعم جهود سيورقوقتيتي والدة منكو في ايصال ابنها الى الخانية ، ويرد لها الجميل ، حيث سبق لها ان نبهت باتو الى ما كان يخطط له كيوك لقتله قبيل وفاته لخلاف قديم بينهما[٣٦].

كانت سيور قوقتيتي قد ثبتت اقدامها في السلطة منذ عهد اركتاي الذي منحها امر تدبير حكم مقاطعة زوجها المتوفى تولوي شقيق اوكتاي والتي تشمل الشطر الشرقي من منغوليا « الموطن الاصلي لجنكيز خان » وجاء في امر التفويض « تفوض مصالح الاولوس » قبائل المقاطعة « وتدبير شؤون الجيش ... وان يكون الابناء والجنود طوعا لها وللاشراف على ابنائها وتنظيم شؤونهم وشؤون الجيش والرعية »[٣٧] ، وقد اثنى مؤرخ المغول رشيد الدين على مدة حكمها بالقول « اوجدت سيورقوقتيتي انظمة لم يكن في مقدور اي ملك ان يأتي بمثلها ، ولا يستطيع ان يقول بتنفيذها »[٣٨] . وبسبب هذه الكفاءة كان الخان يستشيرها في مهام الامور ومصالح المملكة ، ولم يكن يحيد عما تراه صالحا ، ولا يجيز التغيير والتبديل في كلامها ، وكان اتباعها يتمتعون اكثر من غيرهم بالحماية والاحترام ، كما ان سيورقوقتيتي كانت تحرص دائما على ان تكون جميع تصرفاتها صحيحة وسليمة خلال حكم

---

(٣٦) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٩٩ . وتعود اسباب الخلاف بين كيوك وباتو الى سنة ٦٣٣هـ عندما كان يقود باتو حملة على روسيا ومعه كيوك حيث تمرد كيوك على قيادة باتو ، وعندما عين كيوك خانا امتنع باتو عن حضور حفلة تتويجه مما اثار غضب كيوك وصمم على قتاله ، وسار بالفعل بجيشه لقتال باتو مدعيا بان الجو في بلاده لا يتناسب مع صحته ففطنة سيورقوقتيتي لهذه الخدعة وابلغت باتو بذلك تطلب منه الحذر فحمد لها هذا المسلك ، وكان الموت اسرع الى كيوك قبل تنفيذ مشروعه . عن هذه التفاصيل ، انظر : القزويني ، حمد الله بن ابي بكر : تاريخ كزيدة ، تحقيق ونشر : براون ، لندن ، ص ٥٧٨ . بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية : نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط٧ ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٣٨٨ .

(٣٧) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٩٧ .

(٣٨) المصدر نفسه والصفحة .

كيوك[٣٩] ، فعندما قام كيوك بفحص ما للاسرة المالكة من موارد مالية لاحظ مخالفات خطيرة ارتكبها اغلب الامراء اما سيورقوقتيتي وابناؤها فقد اتضح انهم وحدهم قد تصرفوا على اساس الامانة التامة[٤٠].

وبسبب هذه المزايا نالت اعجاب جميع الامراء على اختلاف ميولهم على العكس من اوغول قيميش التي كانت تقضي معظم اوقاتها مع السحرة وخرافاتهم تاركة امر شؤون الحكم لوزيرها جينقاي واولديها الذين تضاربت مصالحهم « فصار في المكان الواحد ثلاثة بلاطات للحكام » فاختلت الامور وافلت الزمام[٤١].

وقد استثمرت سيورقوقتيتي هذا الامر لمصلحة ايصال ابنها للخانية ، بان اغدقت الهدايا والتحف والاموال على الامراء والاقارب والجند الذين استجابوا لدعوتها ودعوة باتو لعقد مؤتمر « قوريلتاي » في مقاطعة القبجاق للنظر في اختيار خان جديد ، وعارض ذلك اوغول قيميش وابناء اوكتاي وجغتاي واتباعهم الذين اصروا على عقد القوريلتاي في قراقورم عاصمة المغول جريا على العادة المتبعة مستهدفين من ذلك دعم ترشيح شيرامون ، ولهذا لم يحضروا قوريلتاي القبجاق والذي فيه انتخب مانكو خانا للمغول ، وفي السنة التالية قاد منكو خان جيشا جرارا اتجه به الى قراقورم عاصمة المغول الواقعة في اقليم مغولستان واعلن رسميا انتخابه خانا على الرغم من انف المعارضين وذلك في ذي الحجة سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م[٤٢].

ولكن المعارضين لم يخضعوا لهذا القرار ، وحاولوا استخدام ما توفر لديهم من العساكر للاطاحة بالخان الجديد ، غير ان خطتهم لم تلبث ان انكشفت

---

(٣٩) المصدر نفسه والصفحة .

(٤٠) المصدر نفسه ، ص ١٨٣ . بارتولد : تركستان ، ص ٦٧٦ .

(٤١) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٨٦ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠–٢٠٣ .

وتعرض القائمون بها للقتل ومنهم اوغول قيميش وشيرامون وجينقاي ، وذلك في رمضان سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م[٤٣].

تأثر منكو خان بسياسة والدته سيورقورقتيتي التي كانت قد تجردت من التعصب الديني ، فكانت لا تفرق بين طائفة واخرى ، وعلى الرغم من تنصرها ، فقد عاملت المسيحيين والمسلمين والبوذيين على قدم المساواة ، وكانت تغدق الصدقات والعطايا على أئمة المسلمين ومشايخهم ، واقامت في بخارى مدرسة على نفقتها الخاصة واوقفت لها الضياع وولت عليها شيخ الاسلام سيف الدين الباخرزي ، واختارت لها المدرسين ورعت الطلبة وكانت تتصدق على الفقراء والمساكين من المسلمين واستمرت على هذا النحو الى ان توفيت في شهر ذي الحجة سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م[٤٤] . اما منكو ، فعلى الرغم من انه كان يدين بالشامانية ، فانه كان يرى ان جميع الاديان جديرة بالاحترام والتقدير ، فلم يسمح باضطهاد احد من الناس بسبب العقيدة ، كذلك لم يحس من نفسه اي دافع لقسر اتباع الديانات الاخرى على الالتزام بقواعد الياسا وكان يشهد اعياد البوذية والمسيحية والاسلام من دون تفرقة واعفى رجال الدين من الضرائب[٤٥].

رابعا : الخانة اوغل قيميش ولويس التاسع ملك فرنسا : محاولات التحالف :

في عهد اوغل قيميش (٦٤٧ ــ ٦٤٨هـ/١٢٤٩ ــ ١٢٥٠م) لم تنقطع محاولات الغرب المسيحي من التقرب من المغول ودفعهم باتجاه العمل ضد

---

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٥ـ٢١٢ . ابن العبري : تاريخ الدول السرياني ، ص ٨ـ٩ . بارتولد : تركستان ، ص ٦٨٣ . بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٣٨٩ .

(٤٤) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ١٩٨ . يوسف ، جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ ص ٢٧٧ـ٢٧٨ .

(٤٥) ابن العبري : تاريخ الدول السرياني ، ص ٩ رانسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ٣ ص ٥٠٩ . بارتولد : تركستان ، ص ٦٨٥ .

العالم العربي الاسلامي ، لاسيما بعد ان وصلت رسالة من القائد المغولي في القوقاز وفارس جغطاي الى لويس التاسع ملك فرنسا الذي كان قد نزل جزيرة قبرص سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م على رأس الحملة الصليبية السابعة وهو في طريقه لغزو مصر يعرب فيها عن استعداده لعقد تحالف عسكري مع الصليبيين ضد الخلافة العباسية في بغداد والايوبيين في الشام[٤٦] واذ فرح لويس بهذه الرسالة بادر بارسال سفارة من الرهبان الدومنيكان برئاسة اندريا لونجيمو واخيه للبحث عن صيغة تنفيذ التحالف ، وحملا معهما كنيسة صغيرة متنقلة على انها هدية تليق بالخان عند اعتناقه المسيحية وبعض الهدايا والتحف ، والتقى اندريا في رحلته بجغطاي الذي وجهه الى منغوليا حيث استقبلته الخانة اوغل قيميش بالترحاب وذلك سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م ، غير انها عَدَّت ما ارسله لويس التاسع من هدايا جزية يؤديها التابع للخان ، كما انها اعربت عن اسفها لعدم قدرتها على تنفيذ رغبات الملك لويس في ارسال حملة ضد العرب المسلمين لوقوع صراع سياسي بين افراد الاسرة المنغولية الحاكمة ، وحَمَّلت اندريا بعد ان مكث واخوه ثلاث سنوات في ضيافتها رسالة[٤٧] جاءت فيها : « ... اننا نطالب ان تدفعوا لنا الذهب والفضة في كل سنة لان هذا سيحافظ على صداقتنا ، واذا لم يحصل فاننا سنحطمكم كما حطمنا الاخرين »[٤٨].

---

(٤٦) عاشور : الحركة الصليبية ، جـ٢ ص ١٠٩٩ . يوسف : العدوان الصليبي ، ص ٢٦٢-٢٦٣ .

(٤٧) رانسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ٣ ص ٤٤٨ . بارتولد :تركستان، ص ٦٩٥ - ٦٩٦ .

(٤٨) جبران ، نعمان محمود ومحمد حسن عبدالكريم العمادي : محاولات المغول « ايلخانية فارس » للتحالف مع القوى الاوربية لاقتسام بلاد الشام ، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، العدد العشرون ، ١٩٩٧ .

وعلى الرغم من ارتياع لويس التاسع لهذه الصدمة ، لم ييأس مطلقا ، وتوقع انه سوف يحل الوقت الذي يتم فيه عقد تحالف مع المغول ، ولكن ما توقعه لم يحدث ، اذ أخفقت سفارته الثانية برئاسة وليم روبروق التي كان قد ارسلها سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م الى سيورقوقتيني والى منكو الذي كان قد وصل الى منصب الخانية بعد صراع مع اوغل قيميش وجدد منكو ذات المطاليب التي كان اسلافه قد طالبوا البابا وملوك اوربا بها وهي اعلان التبعية للخان اولا قبل الدخول في اي تحالف ، وهذا ما لم يقبل به ملك فرنسا ، لانها تحط من شأنه ومن شأن البابا الذي هو راعي المسيحية ولهذا غادر وليم روبروق قراقورم خائبا وذلك سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م[٤٩].

خامسا : قوبلاي وخرقه العرف السياسي المغولي بتنصيب نفسه خانا :

توفي منكو خان في اثناء حملته الكبرى على الصين سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، فتشغلت زوجه قوتو قتاي التي كانت مصاحبة له بأمر دفنه والتعزية ، فاستغل كل من شقيقي منكو اريق بوكا الذي كان منكو قد عينه نائبا عنه وابقاه في قراقورم في اثناء حملته على الصين ، وقوبلاي الذي كان يقود احدى الفرق المغولية ، في جنوب الصين بأن اعلنا نفسهما خانا اعظم على المغول[٥٠].

لم يكن من السهل على كبار امراء المغول ان يقرروا هذا التصرف الذي يتناقض مع العرف السياسي الذي درج عليه المغول والذي بمقتضاه تكون زوجة الخان المتوفى هي الحاكمة لحين انتخاب خان جديد للمغول .

(٤٩) بارتولد : تركستان ، ص ٦٩٥-٦٩٦ . رانسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ٣ ص ٥١٠ - ٥١١ . يوسف : العدوان الصليبي ، ص ٢٧٠-٢٨٣ .

(٥٠) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ٢٢٠-٢٢٦ ، ٢٤٧-٢٤٩ ، وانظر كذلك : ابن العبري : تاريخ الدول السرياني ، ص ١٣٩ . ماركوبولو : رحلات ماركوبولو ، ترجمها عن الانكليزية : توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٩ ، لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ص ١٩٤ ، رانسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ٣ ص ٥٣١ .

ومع ذلك تمكن اربق بوكا ان ينتزع بالتهديد موافقة عدد من هؤلاء الامراء المعارضين منهم اسوتاي واورنكتاش ابنا منكو خان المتوفي لعقد مؤتمر خاص « قوريلتاي » اعلن نفسه فيه خانا اعظم للمغول ، وفيه اشار عليه الامراء المقربون له استدعاء قوبلاي الى قراقوم بحجة اقامة العزاء للقبض عليه ، ولكن قوبلاي اكتشف في اثناء تجهزه لحضور العزاء بمؤامرة اربق بوكا[٥١] مما حدا به على قتاله ، فدخل الاثنان في حروب لا هوادة فيها ، انتهت بتمكن قوبلاي من دخول قراقورم واسره لاربق بوكا سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م ، وما لبث الاخير ان توفي في الاسر سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٤م[٥٢].

وبذلك انفرد قوبلاي بمنصب الخانية التي كان اتباعه قد اجلسوه عرش الخانية في مدينة مينك فو الصينية سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[٥٣] ، ثم ما لبث اتباع اربق بوكا ومنهم ابنا منكو ان اقروا بشرعية حكم قوبلاي في اعقاب هزيمة اربق[٥٤].

وفي هذه الاحداث ادت جابوي خاتون زوج قوبلاي المحببة له دورا كبيرا في تحقيق النصر لزوجها ، اذ كانت بمثابة عين له على اعدائه ، وكثيرا ما كانت تنبهه على المؤامرات التي كان يحيكها اربق بوكا ضده ، وكان يأخذ بارائها السديدة[٥٥] ، وقد توفيت جابوي خاتون في اثناء حياة زوجها وذلك سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م ، كما توفي ولدها البكر تورجي في اثناء حياة والده ، فنصب قوبلاي ابنه الثاني جيم كيم وليا للعهد ، ولكن جيم هو الاخر توفي اواخر حياة والده[٥٦] ، فأفسحت وفاته المجال لزوجه كوكوجين لان تؤدي دورا سياسيا مؤثرا في امبراطورية المغول ، كما سنلاحظ ذلك لاحقا .

---

(٥١) الهمداني : جامع التواريخ ، ص ٢٣٦ ، ٢٤٧–٢٤٨ .
(٥٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤٩–٢٦٢ .
(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤٩ .
(٥٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ .
(٥٥) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ ، ٢٤٤ ، ٢٣٧ .
(٥٦) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧–٢٣٨ ، ٢٩٤ .

سادسا : الخانة كوكجين : حسن الادارة والموقف المهادن من الاسلام :

كان لجيم كيم زوج عاقلة تدعى كوكجين ، وكان الخان راضيا عنها كل الرضا ، ويرجع اليها في الحكم ، ونظرا لهذه المكانة ، فقد اتفق الامراء على توليتها امر تصريف شؤون الحكم في اعقاب وفاة قوبيلاي خان سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م لحين انتخاب خان جديد للبلاد(٥٧).

وعلى الرغم من ان كوكجين كانت عازمة على اختيار احد ابنائها للخانية الا انها واجهت مشكلة نزاع بين ابنيها تيمور واخيه الاكبر كملا في ادعاء كليهما بأحقيته بالحكم ، وحلا للمشكلة اقترحت عليهما وامام عدد كبير من الامراء ان يوضحا قوانين جنكيز خان ، والافضل هو الذي يجلس على العرش ، وهنا تغلب تيمور لمعرفته وفصاحة لسانه على اخيه كملا وصاح الجميع « ان تيمور قا ان اكثر معرفة واحسن بيانا ، فهو الجدير بالتاج والعرش »(٥٨).

وهكذا وبعد مرور سنة على حكم كوكجين عقد المؤتمر العام « القوريلتاي » بحضور جميع الامراء ، وتم فيه تنصيب تيمور خانا اعظم للمغول وذلك سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م(٥٩).

بقيت كوكجين ملازمة لحكم ابنها وكانت تشير عليه النصح في معالجة شؤون الحكم من ذلك ان الامير اننده بن مينكقلان بن قوبيلاي حاكم ولاية تنكقوت الذي اعلن اسلامه . وترسخت العقيدة في قلبه واجاد كتابة الخط العربي وادخل غالبية جنده البالغ عددهم مائة وخمسين الف ومعظم سكان الولاية في الاسلام ، فأثار هذا العمل اعداء الاسلام من امراء المغول كالامير سرتاق الذي شكى للخان قائلا : « ان اننده يلزم المسجد دائما ويؤدي الصلاة والصوم ، ويعكف على قراءة القرآن ، وقد ختن اكثر اطفال المغول ، وادخل

---

(٥٧) المصدر نفسه ، ص ٢٩٤ ، ٢١٣ .
(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٣١٣-٣١٤ .
(٥٩) المصدر نفسه والصفحة .

اغلب الجنود في الاسلام » . فغضب الخان غضبا شديدا وامر بحبسه ، فظل اننده ثابتا على الايمان ، فاستدعاه الخان وسأله « هل رأيت رؤيا او سمعت الهاما ، او حدث لك شيء ، او ارشدك شخص الى طريق الاسلام ؟ افصح عن اسم هذا الشخص كي يهديني انا كذلك » فأجابه اننده « لقد هداني الله الاعظم الى معرفته » فقال الخان : « انما هداك الشيطان ذلك السبيل » فاجاب « اذا كان الشيطان قد هداني فمن الذي هدى غازان الذي هو اخي الاكبر » فلزم الخان الصمت ، وهنا تدخلت كوكجين خاتون وقالت للخان « لقد جلست على العرش منذ عامين ، ولم يستقر لك الملك بعد ، ولاننده جنود كثيرون وجميع هؤلاء الجنود ، وأهل ولاية تنكقوت مسلمون ، ويستنكرون منك هذا الموقف ، وربما يغيرون قلوبهم فنكون قريبين من بلاد الاعداء ، واذن فليس من المصلحة اجباره على ترك الاسلام ، فلندعه وشأنه لمذهبه ونحلته » . فأخذ الخان بنصيحة امه فخلى سبيل اننده وطيب خاطره وخلع عليه واعاده حاكما معززا على ولايته[٦٠] . كما انه استجاب لنصيحتها ايضا عندما اشارت عليه بتأجيل محاربة قايدو حاكم منغوليا الشرقية الذي كان قد اعلن انفصاله عنه لمدة سنة او سنتين لحين استكمال قواته ، وقد كانت مشورتها صائبة فبعد عامين من الاستعداد انزل الهزيمة بقايدو الذي اصيب بجرح بليغ توفي على اثرها[٦١] ، وذلك سنة ٧٠١/١٣٠١م[٦٢] .

وهكذا ادت كوكجين خاتون دورا سياسيا مهما وناجحا في تاريخ دولة المغول شأنها شأن بقية النساء المغوليات الحاكمات اللائي تحدثنا عنهن واللاتي اثبتن عدم تخلفن عن باقي بنات جنسهن الاخريات من الامم الاخرى في ادارة دفة الحكم .

---

(٦٠) المصدر نفسه ، ص ٣١٥–٣١٨ .

(٦١) المصدر نفسه ، ص ٣٢٢ . وانظر كذلك : فامبيري ، ارمينوس : تاريخ بخارى ، ترجمة : احمد محمود الساداتي ، شركة الاعلانات الشرقية ، ص ١٩٧ .

(٦٢) لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ١٩٣ .

قائمة المصادر والمراجع العربية والفارسية :

١ ـ ارنولد ، سير توماس : و : الدعوة الى الاسلام ، ترجمة : حسن ابراهيم حسن واخرون ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٠ .

٢ ـ اقبال ، عباس : تاريخ مفصل ايران ، طهران ، ١٣١٢ هـ ش .

٣ ـ بارتولد ، فاسيلي فلاديمير وفتش : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم ، مطبوعات المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، ط١ ، الكويت ، ١٩٨١م .

٤ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة : احمد السعيد سليمان ، مكتبة الانجلو المصرية .

٥ ـ براون ، ادوارد جرانفيل : تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي نقله الى العربية ، ابراهيم امين الشواربي ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٤.

٦ ـ بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية : نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط٧ ، بيروت ، ١٩٧٧.

٧ ـ الحجي ، حياة ناصر : العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق ، حولية كلية الاداب ، جامعة الكويت ، الحولية الثانية ، ١٩٨١ .

٨ ـ جبران ، نعمان محمود ومحمد حسن عبدالكريم العمادي : محاولات المغول « ايلخانية فارس » للتحالف مع القوى الاوربية لاقتسام بلاد الشام ، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، العدد العشرون ١٩٩٧ .

٩ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ : دراسة في المصادر الرسمية لتاريخ اسرة يوان المغولية: مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية ، جامعة قطر ، العدد التاسع ، ١٩٩٧ .

١٠ـ الجويني ، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد : تاريخ جهانكشاي ، تحقيق : محمد عبدالوهاب القزويني ، ليدن ، ١٩١١ .

١١ـ رانسيمان ، ستيفن : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت .

١٢ـ الرمزي ، م : تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار ، ارنبورغ ، ١٩٠٨ .

١٣ـ زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي دار الرائد العربي .

١٤ـ سعداوي ، نظير احسان : الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ، منشورات مكتبة النهضة العربية ، ١٩٦١ .

١٥- الصدفي ، رزق الله منقوريوس : تاريخ دول الاسلام ، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر ، ١٩٠٧ .
١٦- الصياد ، فؤاد عبدالمعطي : المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠ .
١٧- عاشور ، سعيد عبدالفتاح : الحركة الصليبية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط٧ ، ١٩٧١ .
١٨- ابن العبري ، غريغوريوس الملطي : تاريخ الدول السرياني ، نشر في مجلة المشرق اللبنانية ، بيروت ، العدد ٤٨ ، السنة ١٩٥٤ ، العدد ٥٠ ، السنة ١٩٥٦ .
١٩- العريني ، السيد الباز : المغول ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٧ .
٢٠- فامبري ، ارمنيوس : تاريخ بخارى ، ترجمة : احمد محمود الساداتي ، شركة الاعلانات الشرقية .
٢١- القزاز ، محمد صالح داود : الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، مطبعة القضاء ، النجف ، ١٩٧٠ .
٢٢- القزويني ، حمد الله بن ابي بكر : تاريخ كزيده ، تحقيق ونشر : براون ، لندن .
٢٣- لين بول ، ستانلي : طبقات سلاطين الاسلام ، ترجمة عن الفارسية : مكي طاهر الكعبي ، دار منشورات البصري ، ١٩٦٨ .
٢٤- ماركوبولو : رحلات ماركوبولو ، ترجمها عن الانكليزية : توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .
٢٥- المقريزي ، احمد بن علي : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه : محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
٢٦- الهمداني ، رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ « تاريخ خلفاء جنكيز خان من اوكتاي قا ان الى تيمور قا ان » نقله الى العربية : فؤاد عبد المعطي الصياد ، دار النهضة العربية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٣ .
٢٧- يوسف ، جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

المراجع الاجنبية :

28 - Saunders, J,J : The History of the Mongel Conquests, London, 971.
29 - SupLer, Bertold : History of the Mongols Based on Eastern and Western Aceounts of the 13 and 14 Centuries, London, 1972.

اختبار التمكن من أساسيات اللغة العربية

كلية المعلمين
الجامعة المستنصرية
ا. م. د. كاظم كريم رضا
ا. م. د. مهدي صالح الشمري

الملخص

قلما نجد باحثا يقيس ضعف طلبة الكليات في اللغة العربية ، قياسا موضوعيا عاما يتسع لمهارات اللغة كالفهم والضبط والتمييز والتطبيق وبناء المفردات والجمل . وفي هذا البحث أكثر من (١٢٠) فقرة عدلت الى (٨٧)فقرة استنادا الى رأي الخبراء والاختبار التجريبي . وقد وافقت نتيجة الاختبار (٤٤ر٥٦٪)الرأي الشائع بانخفاض مستوى تمكن الطلبة من اللغة العربية ؛ وقد اقترح بموجب هذه النتيجة اعادة النظر بالمناهج وطرائق التعليم واعداد المعلمين والمدرسين والتوسع في تطوير هذا الاختبار ليشمل مراحل التعليم العام واجراء الدراسات التتبعية للمختبرين به مرة اخرى .

اهمية البحث والحاجة اليه

تعد اللغة المنطلق الاساسي في الاتصال الانساني وثمرة من ثمار التطور والرقي، ونافذة الى الفكر والحياة، وبها يفهم الانسان افكار الاخرين ومنهم يتعلم ويحصل على الكثير من الخبرات والاسس والمبادىء في البناء الاجتماعي ليتواصل بها وليصبح جزءا من مجتمعه مشتركا معه ومعبرا عنه بصيغ موحدة، ولتأخذ اللغة أرقى انواع التعبير عن أبرز تجلياته في مجرى العلاقات الانسانية وحركة تطورها • وهي أداته في السيطرة على بيئته والتعبير عن كيانه ووسيلته في الارتقاء نحو حركة التغيير والانطلاق ، ومن أهم وسائل الارتباط الروحي وتقوية المحبة ومرآة يظهر على سطحها حال اي أمة وما هي عليه من نباهة وسمو أو خمول وركود[1] واللغة العربية الوعاء الفكري والمستودع الحضاري للامة العربية ، وقد كانت وستظل من العناصر الاساسية في الوجود العربي وفي تنمية الوعي القومي فيه ومن أهم مقاييس رقي الامة وصورة لحياتها ترقى برقيها وتضعف بضعفها ، لذلك ينبغي الحرص على سلامتها والشعور بالانتماء الى ثقافتها لان الحديث عن اللغة العربية لاينفصل عن الفكر القومي العربي ، فاللغة أداة التفكير الحضاري ووسيلة التعبير عنه وتأكيد خصائصه[6] ، فهي :

١ ــ تشد الروابط الوطنية بين أبناء الشعب الواحد •

٢ ــ وترتفع بوعي الافراد لتساعدهم على الرقي لمواكبة التطور والنمو الحضاري

٣ ــ وأداة المعرفة وكنز الحياة •

٤ ــ الافكار الغزيرة القيمة التي تنمي المواهب وتساعد على مواجهة الحياة •

وفضلا عما تقدم فان لغة العرب تشرفت بنزول القرآن وبه ضمنت الخلود والنماء والاتساع وصارت قرينة الرقي والتقدم • وأضحى تعليمها واجبـــا لان الشعائر الدينية تؤدى بها والمحافظة عليها واجب مقدس •

وقد حظيت اللغة باهتمام التربويين لكونها وسيلة التعليم وأداته ،ووسيط نقل العلوم ، ومادة حفظ التراث الثقافي ونقله من جيل الى جيل[٢٤] ،يدرسها الطلبة في كل مرحلة من مراحل التعليم وعاء يتضمن مناحي المعرفة ويلبي حاجة الانسانية من سياسة وادب وصحافة واقتصاد••الخ[٢٩]• وهي عدة رقي الطالب الى النجاح في تعرف ما حوله والاطلاع على تجارب الاخرين سابقين ومعاصرين واستشراف ماسيكون •• في التعلم والتبصر والاتعاظ والتجديد والاغتراف من كل نافع ومفيد •

وكلما كانت لغة التلميذ مكتملة غزيرة سهلة الاداء أمكنته من العلـــوم التي يتصدى لها اذ التمكن من اللغة يعني الاستعداد المناسب لتقبل الافكـــار واستيعاب الكليات والجزئيات والعكس هو الصحيح ، اذ تثقل اللغة كاهـــل المتعلم وتشق عليه وتعنته ان لم يكن قد أتقنها[٣٣]

واستنادا الى ماتقدم ، فاللغة من أهم المواد الدراسية ومن ضمن أساسيات أهداف التعليم العام في جميع دول العالـــم المتقـــدم فهي مفتاح عملية التعليم ويتوقف عليها النجاح ، وتضع بعض دول العالم كاليابان مثلاشروطا صارمـــة للقبول في كليات المعلمين فمن بين خمسة متقدمين لايقبل منهم الا اثنان ومن الشروط الصارمة القدرة اللغوية العالية نطقا وكتابة واستخداما مرنـــا في المواقف المختلفة •

ومن أهداف تعليم العربية في العراق : (تمكين التلامذةالمتعلمين من الطلاقة والسرعة في القراءةالصامتة مع فهم المقروء،والتفاعل معه والاستجابة له ،والانتفاع به في الحياة العامة ، والتعبير عنه باسلوب خاص ، فضلا عن صحة النطق)[٩] ، أو (أن يكتسب التلميذ القدرة على جودة النطق وحسن الاداء مع فهم المعنى،

وافهام السامع ما يقرأ) ، لذا يجب على التلامذة ولاسيما في المراحل المتقدمة من الابتدائية تحري الدقة في نطق الكلمات ، واخراج الحروف من مخارجها الصحيحة ومراعاة الوضع الاعرابي للكلمات بما يناسب المعنى وطرائق العرب من الرفع والنصب والجر والجزم ، وفهم السبب الذي يجعل الكلمة نفسها تنطق هنا بكيفية وبكيفية أخرى في موضع اخر[٨] .

وبما أن اللغة تقوم على مجموعة من المهارات فلابد من تنميتها جميعا بالدقة المناسبة ، كضبط القراءة وفهم المقروء ووضوح الكتابة وصحتها من المهارات الاساسية التي ينبغي أن نعنى بتحقيقها[١٠]

ولم تعد وظيفة المدرسة تقتصر على تعليم القراءة والكتابة بل اتقان المهارات بما يناسب ظروف الحياة المعاصرة وتنمية مايحتاج اليه المتعلم وتعزيز ذلك بالتدريب والاختبارات المتطورة لتحقيق أقصى نجاح ممكن[٣٨] .

وقد شعر الباحثان بضرورة مثل هذه الدراسة للاسباب الاتية :

١ ــ ضعف الطلبة في اللغة العربية ولاسيما النحو وعقم المحاولات السائدة لتحقيق المطلوب .

٢ ــ انتقال الضعف في العربية الى الدروس الاخرى وانعكاس الامر على التعليم والمتحقق منه .

٣ ــ استشراء الضعف يوجب سلوك الطريق العلمي من دراسات تجريبية والتجزئة بما يناسب كل قضية لتحديد ما يوجب الاعادة في المراحل اللاحقة أوطريقة العرض وتجنب التسليم للمناهج والطرائق السائدة وما هذا البحث إلا محاولة في هذا النهج .

٤ ــ تنمية البحوث المشتركة بين المختصين بالتربية والمختصين باللغة .

٥ ــ الكشف عن إمكانية طلبة الكلية في موضوع يعد من اهم مواضيع الدراسة ومنه يستطيع الطالب اتقان العلوم المختلفة وفهمها .

٦ ـ وقد يكون الاختيار مهما في اختبار الطلبة المتقدمين الى كليات التربية والمعلمين ولاسيما أقسام اللغة العربية •

مشكلة البحث

طال الحديث وكثرت الشكوى من ضعف الطلبة في اداء مهارات اللغة العربية ولاسيما في العقد الاخير من هذا القرن وفي المراحل الجامعية حتى صارت عقدة مصحوبة بسخرية مرة يصعب ان تقنع أحدا بجدوى ما تقوم او تدعو لتغيير وقد انغرست الصعوبة في نفوس المتعلمين وان قدمت أعظم الادلة على بطلان الصعوبة ما ظفرت بمن يؤيدك منهم(٣٥) • والسبب فيما يبدو اصطدام مناهج واختلاف رؤى واصطراع مفاهيم وتناقض غايات ؛ فان بعض المحدثين يهرفون بما لايعرفون ولا يحرصون على مراعاة الخصوصيات اللغوية وخصوصيات المجتمع وينقلون من دون روية وقد سلموا لما ترجموا من الغرب وعندهم أن ما ترجموا لا يحتمل النقاش ولا التعديل ونستشهد لما نزعم بالنص الآتي:«إن التطور الذي حصل في أنظمة التربية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين تناول جوانبها الكمية أكثر مما تناول جوانبها النوعية فلا يخفى ان تلك الانظمة جاء انشاؤها منقولا عن انظمة التربية الغربية متأثرا بها ، وكان للنزعات الاجنبية تأثير في نشأتها من حيث أهدافها ومن حيث محتوياتها ومن حيث عزلتها عن مجتمعها ، على الرغم من الجهود الجزئية التي يعوزها الشمول وقد اعتمدت على الخبرات الشخصية في التربية واساليبها أكثر مما تعتمد على البحوث العلمية الدقيقة في مناهجها المحصة في نتائجها ، فلا جرم ان تظل أنظمة التربية العربية عامة تشكو من نقص كفايتها وغلب عليها الاساليب التقليدية، ويتجلى ذلك من غموض أهدافها وفي ضيق محتوياتها وفي ضعف طرائقها ووسائلها وأساليب تقويمها وللغة العربية نصيب ملحوظ من هذه الجوانب

السلبية ، بحكم سعة موقعها وخصوصيتها وبحكم الصعوبات المتصلة بتكييف تعليمها لمستويات المتعلمين وحاجاتهم إليها ، والمتصلة بإعداد معلميها ومدى كفايتهم بها..) [1] .

ونسوق بالجانب الاخر نموذجين صالحين لم يتنبه للاخذ بهما ؛ أحدهما حديث والاخر قديم ، الاول : حفظ فقرات كلامية لمواقف من الحياة يدعونه في الانكليزية (Dialogue) ، يكاد يلازم المتعلم في كل مرحلة من مراحل تعلم الانكليزية ؛ وفيه فضلا عن الحفظ محاكاة أهل اللغة في طرائق نطقهم .

والثاني قول ابن خلدون : (ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة اللسانية ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه ، بحفظ كلام ـ العرب ـ القديم الجاري على أساليبهم من القرآن الكريم والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم ، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظور والمنثور منزلة من نشأ بينهم . ولقن العبارةعن المقاصد منهم ، ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب الفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال .. وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظما ونثرا)[٣٥].

وقبل الحفظ لابد من معرفة الحروف وعلامات الضبط ابعادا للغلط ورفعا للبس ، وتعود كتابة الكلمات بتحريك أولها ووسطها وآخرها وابتداء من السنة الدراسية الأولى ومن دون تأخير ، لأن الكتابة العربية لاتكون صحيحة ودقيقة ما لم تتضمن الضبط الصحيح للكلمة ؛ وقراءة الكتابة غير المضبوطة بالشكل يسبب الوهم ويعسر على المتخصصين فكيف بالطلبة والمبتدئين !! في حين ييسر الضبط قواعد اللغة ويقوي السليقة ويجعل المعلم والمتعلم على ثقة مما يقرؤون ؛ وترك الضبط اهمال لقياس دقيق ، فلابد من العودة اليه وتعوده لا اهماله .

والوقع أن كثيرا من البحوث الحديثة لم تدخل في صميم مشكلات تعليم العربية من مثل الدوران في حلقة أي الطريقتين أفضل الاستقرائية او الاستنباطية في عرض القواعد اللغوية ، وتجد الغلبة لهذه الطريقة عند هــذا الباحث والاخرى عند باحث آخر ، أو الجـدل في انفـع الطرائق الكلية أو الجزئية أو التوسط بينهما ، ولا تظفر من الثلاث إلا اهمال المقطع والحركات والتهجئة التي تتميز بها العربية .

كلام كثير لا يخلو من المنطق ولا تعوزه الادلة النظرية لكنه محدود الفائدة والتأثير ، لغياب صلب القضايا اللغوية واساسياتها وضرورة تمكن الطالب منها، وقد اختلط الدرس اللغوي بغيره ، إذ الطالب يضيع بين نصوص لا نهاية لها ، وعليه في السنين الاولى من تعلمه وعلى معلمه أن يكونا قادرين وجادين في أن يستنبطا أسرار اللغة وقواعدها في القراءة الصحيحة والكتابـة الصحيحة والفهم الصحيح من دون عرض مناسب لما ييسر كـل ذلك ؛ فقواعد الكتابة لا تكتمل الا في نهاية المرحلة المتوسطة ومع تأخرها غـير المعقـول لا تنهي مشكلات الكتابة وكثرة الاغلاط ، وأضحى ضعف الطلبة مشكلة من المشكلات المستعصية . وقد كشفت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٧٤ من نتائج الاستفتاء الذي وجهته الى جهات مختصة في الدول العربية ضعف الطلبة في التعبير الشفوي والتحريري في المراحل الدراسية كاملة .[٣٦]

وأشار الركابي ١٩٧٣ ، الى قصور نتائج تعليم العربية ولا سيما التعبير الذي لا ينفصل من النحو والاملاء والمواد الاخرى .[١٥]

ونبه الدكتور طه حسين على هذا القصور في قوله : (إن لغتنا العربية لا تدرس في مدارسنا إنما يدرس شيء غريب لا صلة بينه وبين الحياة ، ولا صلة بينه وبين عقل التلميذ وشعوره وعواطفه).[٣٦]

ويؤكد ما تقدم ضعف نتائج التعليم العام وذلك ما نلمســه في المرحلة الجامعية ، اذ تزداد المشكلة حدة عاما بعد آخر ، ويتحمل المعلمون والطلبة

وأولياء أمورهم والنظام التربوي مسؤولية ذلك ؛ ولا شك في أن هبوط مستوى تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية ينعكس على المراحل اللاحقة، وكذلك تراجع مستوى المعلم في الاداء اللغوي في العقود الاخيرة من هذا القرن ، اذ لا ينافس معلمنا الحاضر معلم العربية القديم ولا يدانيه في اتقان المهارات الاساسية للغة ، ولابد أن يكون وراء ذلك أسباب لان المعقول والمتوقع أن يتقدم المتأخر على المتقدم .

ويشعر الباحثان بمشكلة البحث من مدة مديدة استنادا الى خبرتهما في مجال التدريس الجامعي ، فضلا عن اطلاعهما على كثير من الدراسات التي أيدت ما يشعران به من ضعف خريجي الاعدادية من التحدث بالفصيحة أو الكتابة من دون اغلاط ، او القراءة بلا تردد او توهم .

وتنطلق أهمية هذا البحث من تفاقم المشكلة يوما بعد اخر مما حفزهما الى :

١ ـ محاولة تحديد أبعاد المشكلة وصولا الى نتائج قد تفيد :

أ ـ وزارة التربية كي تعيد النظر في برامجها ومناهجها في تعليم العربية .

ب ـ وزارة التعليم العالي للبحث في تطوير اعداد المعلمين والمدرسين والتركيز على النواقص .

٢ ـ ان هذه الدراسة أول محاولة من نوعها بحسب علم الباحثين في الجمع بين المختصين باللغة والتربية وردم الهوة بين الفريقين واحترام خبرة القدماء والمحدثين لان الحل الذي يقترب من الكمال لابد من أن يسبر الاغوار في جانب المادة التعليمية للغة من حيث هي لغة ومن جانب القدرات العقلية وتنميتها بما يناسب ، والنظر من داخل المشكلة والتدقيق في تفصيلاتها ، من خلال التجريب وبناء الاختبار العلمي .

اهداف البحث

يهدف البحث الى اختبار طلبة كلية المعلمين في مادة اللغة العربية •

فرضيات البحث

لا فروق ذات دلالة معنوية بين اجابات الطلبة على اختبار التمكن مـــن اللغة العربية بحسب الجنس •

حدود البحث

يتحدد البحث الحالي بما يأتي :

١ ــ طلبة كلية المعلمين في بغداد ــ الجامعـــة المستنصريـــة الذين نجحوا من المرحلة الثانيـــة والذيـــن تقدموا الى فرع اللغة العربيـــة ليصبحوا معلمين باختصاص قريب الى مادة اللغة العربية •

٢ ــ العام الدراسي ١٩٩٧ / ١٩٩٨ •

٣ ــ الاختبار مصمم لمادة اللغة العربية فقط •

تحديد المصطلحات

أولا : الاختبار Test :

١ • عـودة ١٩٩٣

أنه قياس يعد على وفق طريقة منظمة من عدة خطوات تتضمن مجموعة من الاجراءات التي تخضع لشروط وقواعد محددة لتحديد درجة امتلاك الفرد لسمة أو قدرة معينة من اجاباته عن عينة من المثيرات التي تؤلف السمة أو القدرة المرغوب في قياسها •

٢ ــ تعريف Good 1973 (٤١)

مجموعة من الاسئلة أو المهمات التي يطلب من الطلبة الإجابة عنها ، الغاية منها الحصول على عرض نوعي لتأثير التلاميذ التي صممت لقياسها المجموعة •

التعريف الاجرائي

هو مجموعة من الفقرات صممت بطريقة منظمة ومخططة بغية قياس تمكن الطلبة من مادة اللغة العربية •

ثانيا : كلية المعلمين

وهي كلية من مجموعة كليات تعد معلمين يحملون شهادة البكالوريوس في التربية بعد مضي أربع سنوات من الدراسة وفيها (١١) فرعا يقبل فيها الطلبة الذين أنهوا الدراسة الإعدادية •

ثالثا : فرع اللغة العربية

هو أحد فروع كلية المعلمين الـ (أحد عشر) يقبل فيه الطلبة الذين نجحوا من المرحلة الثانية بعد اجتياز اختبار خاص بالقبول في اللغة العربية ويكون التخصص انحيازاً ، هذا على النظام القديم الذي جدد هذا العام بأن يكون التخصص من السنة الثانية بعد السنة الدراسية الأولى ومن هذا العام ١٩٩٨/١٩٩٩ •

الدراسات السابقة

لم يعثر الباحثان على دراسات مباشرة تخص قياس التمكن من أساسيات اللغة العربية بالسعة التي وضعا فيها بحثهما والأهداف التي يرجوانها لهذا البحث ، وقد وجدا دراسات قريبة هي :

ـ دراسة لطفي ١٩٦٥ (٣٢)

تشخيص التأخر في القراءة وعلاجه في المدرسة الابتدائية ، وهدفه قياس المهارة الاساسية للقراءة الصامتة في الصف الرابع الابتدائي بعد تشخيص التلاميذ وتدريبهم وكانت العينة من (٢٠٠) تلميذ من مصر • وبنى اختباراً تألف من مجموعة منفصلة تقيس السرعة والفهم وتكون الاختبار نفسه من (١٢) سؤالا في فهم قطع مقروءة سهلة • واعتمد الوسائل الإحصائية الأتية : (١) معادلة سهولة الاختبار (٢) معادلة حساب سرعة القراءة للاختبار

(٣) متوسط الفهم للاختبار (٤) متوسط الزمن المناسب لإجراء الاختبار (٥) الاختبار الثاني (test) أهم النتائج : (١) بلغ متوسط سرعة الأخرى (١٠ر٨٦) كلمة / دقيقة بلغت درجة الفهم ٢٥ر٩ •

ـ دراسة شلبي ١٩٦٠ (٢٥)

عرض عبدالفتاح شلبي وزملاؤه مسحاً للاغلاط الاملائية الشائعة واسبابها في امتحانات المرحلة الابتدائية والاعدادية والثانوية ، ثم وضعوا اختبارا في بعض القواعد الاملائية استنادا الى وضع قطع تناسب الصفين الخامس والسادس الابتدائيين والصفوف الاربعة من المرحلة الاعدادية والصفين الاول والثاني من معاهد المعلمين والمعلمات ، وقد روعي فيها التدرج الفكري واللغوي ، واختير (٣٢) مدرسة موزعة على مناطق القاهرة والجيزة وأملى القطع أعضاء ادارة البحوث الفنية ، ومن نتائج البحث مايأتي :

أ ــ اختلاف الاخطاء الاملائية كما ونوعا باختلاف الصفوف الدراسية •

ب ــ قلة أخطاء البنات قياسا بالبنين في كل الصفوف الدراسية •

جـ ــ اخطاء طلاب معاهد المعلمين والمعلمات لم تكن متوقعة وفي مواضع لم يتصور أن يقعوا فيها •

د ــ بتر بعض الكلمات خوفا من الغلط وفرارا من صعوبة الهجاء •

ـ دراسة مرسي ١٩٦١ (٣٤)

قياس المهارات الاساسية للقراءة الصامتة في المرحلة الاعدادية ، وقد هدفت الى بناء اختبار مقتن لقياس المهارات الاساسية في القراءة الصامتةوهذه المهارات هي (الثروة اللغوية ، وفهم الفكرة العامة ، وفهم المعنى القريب ، وفهم المعنى البعيد ، والحكم على المقروء) • وكانت عينة الدراسة مؤلفة من طلبة الصفوف الاولى والثانية والثالثة الاعدادية •

ومن أهم نتائج الدراسة :

انها لم تظهر فروقا احصائية دالة بين البنين والبنات في الصفوف الاولى والثانية في فهم المفردات وكذلك في المهارات الاساسية الخاصة وفي فرق السرعة

ـ دراسة عرقسوس ١٩٦٥ [٢٠]

قدم اختبارا في الاملاء (ذكره محمود السيد) طبق على طلبة دبلوم معهد التربية للمعلمين وطالبات دبلوم معهد التربية للمعلمات في عام ١٩٧٥/١٩٧٦ ، وقد أظهر الاختبار الضعف الكبير في مهارات الاملاء ولاسيما عند الطلاب ، وكان اختباره مؤلفا من (١٩٢) فقرة استخدم فيها الصحيح والغلط وكان الاختبار يقيس صحة رسم الكلمات المفردة أو في الجملة ولم يذكر أكان للاختبار صدق أو ثبات أو معيار أو مفتاح للتصحيح .

ـ دراسة حنودة ١٩٨٤ [٩]

مقياس التمكن من القدرات والمهارات الاساسية للغة العربية (مستوى المثقفين وطلاب الجامعات) . وقد تألف المقياس من ثلاث مجموعات من الاختبارات :

أ ـ مجموعة اختبارات الفهم واشتملت على (٦٦) فقرة .

ب ـ مجموعة اختبارات الصحة اللغوية (القواعد النحوية) وتشمل خمسة اختبارات وهي : أولا : اختبار التعرف (٢٥) فقرة وثانيا :التمييز(٢٥) فقرة والاختبار الثالث التطبيق (٢٥) فقرة والاختبار الرابع التكوين (٢٥) فقرة .

جـ ـ مجموعة اختبارات الجودة وتتضمن أربعة اختبارات من الادب والبلاغة والنقد ، الاول : التعرف (٢٥) فقرة والثاني التمييز (٢٥) فقرة والثالث التطبيق (٢٥) فقرة . والرابع التذوق (٢٥) فقرة .

وقد استخدم في جميع هذه الاختبارات الاختبارات الموضوعية مثل: الاكمال والبدائل والصحيح والغلط ... الخ)

ـ الدليمي ١٩٩٧ [١٣]

أثر القراءة الصامتة في تحصيل بعض المهارات اللغوية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي والبحث رسالة دكتواره عام ١٩٩٧ ، واستخدم الباحث الطريقة التجريبية على عينة مؤلفه من (٣٦) تلميذا وتلميذة ألفوا مجموعة التجربة و(٣٦) تلميذا وتلميذة ألفوا المجموعة الضابطة ، وأعد الباحث ثمانية اختبارات تحصيلية لمهارتي فهم المقروء والاملاء وتوصل الباحث الى وجود فرق احصائي دال في الموضوعات التي درسها لمصلحة المجموعة التجريبية التي درست بأسلوب القراءة الصامتة في تحصيل المهارات اللغوية مجتمعة والى الخلو من الفروق الفردية الدالة احصائيا بين متوسط تحصيل تلامذة المجموعة التجريبية في المهارات مجتمعة .

اجراءات البحث

بغية تحقيق اهداف البحث والحصول على البيانات المناسبة ؛ اعتمد الباحثان الاجراءات الآتية :

اولا : مجتمع البحث Population

تألف مجتمع البحث من طلبة كليات المعلمين ، وبغية حصر هذا المجتمع وتضييقه اختيرت كلية المعلمين / بغداد / الجامعة المستنصرية ، للعام الدراسي ١٩٩٧/١٩٩٨ ، وكان عدد الطلبة المختبرين (١٢٠) طالباً وطالبة ، ويوضح الجدول (١) ذلك .

جـدول (١) يوضح توزيع مجتمع البحث

المرحلة	الذكـور	الانـاث	المجموع
الاولـى	٤٢٤	٥٠٢	٩٢٦
الثانيـة	٤٣٧	٦٥٥	١٠٩٢
الثالثـة	٢٩٦	٥٣٥	٨٣١
الرابعـة	١٩٧	٧٨٠.	٩٧٧
المجمـوع			

ثانيا : عينة البحث Sample

اختيرت عينة البحث بطريقة عشوائية بسيطة وكانت المرحلة الثانية من طلبة الكلية من الذين يوزعون على فروع الكلية الاحد عشر واختير المتقدمون الى فرع اللغة العربية والذين يُعدُّ لهم اختباراً خاصاً استنادا الى نتائج هذا الامتحان يقرر قبولهم في هذا الفرع وكانوا (١٢٠ طالبا وطالبة) منهم (٣٧) طالباً و(٨٣) طالبة وهي النسبة الاعتيادية في الكلية لعدد الذكور مقارنة بالاناث حيث يقبل سنوياً (١٠٠٠) طالب وطالبة منهم بحدود الخمس (١/٥) ذكور والباقي اناث •

ثالثا : اداة البحث

ولما كان البحث لا يهدف الى بناء اختبارات تحصيلية مقننة بقدر ما يسعى الى اعتماد اختبارات يمكن بها اختبار تمكن الطلبة من اللغة العربية ، لذلك اعدَّ الباحثان اختبارا ، وقد تدرج من اليسر الى الصعوبة اذ يستطيع الطلبة الاجابة عن بعض الاسئلة ابتداء بما يناسب المرحلة المتوسطة ثم الاعدادية

تدرجا الى الكلية ، ولتحقيق ذلك اتخذ الباحثان سلسلة من الاجراءات التي تهدف الى بناء اختبار سليم للتمكن من اساسيات اللغة العربية ، ولتحقيق ذلك اتخذ الباحثان ما يأتي :

١ ـ اعداد الفقرات الاولية للاختبار :

أ ـ الاطلاع على الدراسات السابقة التي تتصل بالبحث والإفادة من بناء الاختبارات والمقاييس اللغوية عامة واللغة العربية خاصة •

ب ـ دراسة كتب تعليم اللغة العربية التي مرت بالطلبة لمعرفة مستوى ما قدم لهم بدءا من المرحلة الابتدائية وانتهاء بالكلية ، وقد تكامل النظر في مناهج هذه الكتب إذ إن تخصص احد الباحثين باللغة والاخر بالتربية ، وكان الهدف من دراسة الكتب اشتقاق الفقرات المناسبة من المستويات كافة ، لمعرفة مدى استجابة الطلبة لما قدم لهم في مواد اللغة العربية للمراحل جميعها •

٢ ـ صياغة الفقرات :

استناداً الى المعلومات التي جمعت من الادبيات والدراسات السابقة واستطلاع آراء المختصين باللغة العربية وعلم النفس صيغ (٢٤٧) سؤالٍ متنوعٍ صنفت الى مجموعات وضعت تحت مجالات معينة ، وبعد مراجعتها وتدقيقها دمج بعضها ببعض بسبب التكرار او التشابه او الغموض او غير المناسبة او اختلاف الانتماء الى المجال الذي وضعت فيه ، الى ان استقرت الفقرات بعدد (١٢٠ فقرة) وقد وضع أمام كل فقرة عدة بدائل تختلف باختلاف الهدف الذي تقيسه الفقرات ، ففي اختبار الفهم اللغوي ـ المجال الاول ـ واختبارات القواعد الاساسية ـ المجال الثاني ـ وضعت اربعة بدائل أمام كل فقرة من فقراتهما ، أما اختبار التمييز ـ المجال الثالث ـ فقد اعتمدت الاجابة عن ضبط حركات احرف الكلمات التي تحتها خط ، وفقرات

ثانية لتمييز الفاعل من المفعول وفقرات ثالثة لتمييز مقاطع الكلمات المتشابهة ، اما اختبار التطبيق ـ المجال الرابع ـ فكان على اربع مجموعات من الفقـرات المختلفة : المجموعة الاولى : تقيس جودة القراءة في تمييز المقاطع الصوتية ، المجموعة الثانية : للدقة في تمييز مواضع التشديد بوضع اربعة بدائل امام كل فقرة والمجموعة الثالثة في تمييز التنوين بوضع أربعة بدائل أمام كل فقـرة من الفقرات والمجموعة الرابعة لتصحيح الغلـط في العبـارات ، أما اختبـار الضبط ـ المجال الخامس ـ فمجموع فقراته في ضبط ما تحته خط ، امـا اختبار تكوين الجمل وتحويلها ـ المجال السادس ـ ففيه سبع مجموعـات للاختبار الاولى : اتمام جمل ناقصة والثانية : تغيير بناء الافعال والثالثـة : توكيد الافعال بمفاعيل مطلقة والرابعة : تحويل الجمل الاسمية الى فعليـة والخامسة : تحويل الجمل الماضية الى أمرية والسادسة : اكمال الجمل بملاحظة الضمائر والسابعة : انشاء جمل مترابطة تناسب الموقف الكلامي للفقرات .

وقد روعي في اختبار الفقرات التدرج من اليسر الى الصعوبة واكثرهـا الاختيار من متعدد لانها تحقق الاهـداف التربويـة والمحتـوى الاكثـر صدقاً وثباتاً(٣١) .

وقد صنفت الفقرات الى ستة مجالات كما ذكرنا مستفيدين من تطبيـق بلوم للاهداف التربوية لقيـاس جوانب متعـددة من الاهـداف التربويـة والسلوكية .

٣ ـ صدق الاختبار :

لابد للاختبار كي يكون صادقاً ان يتمكن من قياس ما وضـع لـه اي (قدرة الاختبار على قياس ما وضع من اجله) (٤٢) .

ومن انواع الصدق الشائعة صدق المحتوى الذي يعبر عنه الثقـات في مجال القياس وهو يتمثل بمجموعة من الخبراء يعرض عليهم الاختبار ليتحققوا من كون القياس يمثل الاداء في محتواه وصفته المراد قياسها ، ويتم تحقيـق

ذلك عن طريــق عرضــه علــى مجموعــة مــن الخبراء في المجــال المــراد قياســه (٣٣ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٤) •

وقد عرض الاختبار اول بنائه على مجموعة من الخبراء(*) في اللغــة العربية والتربية وعلم النفس بعد وضع مقدمة بينت الهدف والمطلوب مــن الخبراء على النحو الاتي :

١ ــ وضوح الصياغة اللغوية لكل فقرة من فقرات الاختبار •
٢ ــ انتماء كل فقرة للهدف او المجال الذي وضعت فيه •
٣ ــ تقدير صلاحية كل فقرة بعد فحصها منطقياً ومدى قياسيتها لما اعدت له •

وقد أخذنا بملحوظات الخبراء في تصميم الاختبار للمراحل اللاحقــة إذ حذفنا قسماً منها وعدلنا قسماً آخر • وكانت نسبة موافقة الخبراء ٧٥٪ وأكثر من مجموع آراء الخبراء للاستدلال على صلاحية الفقرة واصبح عددهــا (١٠٠) فقرة موزعة على ستة مجالات والجدول (٢) يوضح تقسيم الفقــرات على المجالات الستة •

---

* **الخبــراء :**

١ ــ أ. د. حسام النعيمي جامعة بغداد / كلية الاداب .
٢ ــ أ. د. حاتم الضامن جامعة بغداد / كلية الاداب .
٣ ــ أ. د. فاضل بنيان جامعة بغداد / كلية التربية .
٤ ــ أ. د. هادي نهر الجامعة المستنصرية / كلية الاداب .
٥ ــ أ. د. هاشم طه شلاش جامعة بغداد / كلية التربية .
٦ ــ أ. د. كامل ثامر الكبيسي / جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد .
٧ ــ م. د. كاظم كريدي خلف / الجامعة المستنصرية / كلية المعلمين .
٨ ــ م. د. صباح خلف / الجامعة المستنصرية / كلية المعلمين .
٩ ــ م. د. عبدالله احمد خلف / الجامعة المستنصرية / كلية المعلمين .

جدول (٢) يوضح تقسيم فقرات الاختبار على المجالات

رقم المجـال	المجـــال	عدد الفقرات
الاول	اختبار الفهـم	١٨
الثاني	اختبار القواعد الاساسية	١٦
الثالث	اختبار التمييز	١٠
الرابع	اختبار التطبيق	١٥
الخامس	اختبار الضبط	١٩
السادس	اختبار تكوين الجدل وتحويلها	٢٢
المجموع الكلي للفقرات		١٠٠ فقرة

٤ ـ اعداد تعليمات الاختبار

اعد الباحثان تعليمات توضح كيفية الاجابة عن فقرات الاختبار جـزءاً من تمام صيغة الاختبار الاولية ولا غنى للباحث عنها لاهميتها ، دليلا لفهـم الاختبار وتيسيراً للوصول الى الاجابات الصحيحة ، كما اشار (سـمارة ١٩٨٩) الى اهميتها في زيادة صدق الاختبار وثباته ، وقد طاب من المجيب كتابه اسمه وجنسه على ورقة الإجابة (Answer Sheet) وهي ورقـة مستقلة ألحقت بالاختبار تكون عليها الاجابة (ينظر ملحق ٢) .

٥ـ التطبيق الاول للاختبار

كان الهدف من هذا التطبيق التأكد من وضـوح الفقرات والتعليمـات وتهيئة المعلومات الاحصائية لتحليل الفقرات ، وقياس الزمن الذي يكفي لانجاز الاجابة وقد كان بين ساعة وساعتين اجيز فيها للمختبر الاستفسـار عـن اي

غموض وإبداء الرأي بغية الكشف عن مواطن السهولة والصعوبة والفقرات الملبسة . ووصفوا هذه الخطوات بالضرورية للكشف عن القدرة في التمييز بين المستجيبين بغية تعديل الفقرات او استبعادها من الاختبار Scannell .

وزعت (٥٠) استمارة اختبار على عينة استطلاعية من غير العينة الاساسية ومن طلبة المرحلة الثانية ثم أخذت نسبة ٥٠٪ من الدرجات العليا و٥٠٪ من الدرجات الدنيا لتمثل مجموعتين متمايزتين ، ففي العينات الصغيرة اخذ نسبة ٥٠٪ من المجموعتين (عودة)[٢٨] وبذلك اصبح عدد استمارات المجموعة العليا (٢٥) استمارة وكذلك المجموعة الدنيا اما حدود الدرجة لكل من المجموعة العليا فقد تراوحت بين (٧٢ـ٤٦) والمجموعة الدنيا بين (٢٠ـ٣١) ولتحليل الفقرات الاحصائية قام الباحثان بما يأتي :

١ ـ صعوبة الفقرات

كما يشار الى الصعوبات في الكثير من الادبيات على انها نسبة الطلبة الذين أجابوا إجابة مغلوطة عن الفقرة (١) ومعامل الصعوبة بأخذ أية قيمة من صفر الى ١٫٠٠ أي ان السهولة = صفراً وأعلى قيمة للصعوبة = ١٫٠٠ وان الغاية من استخراج الصعوبة هي إعطاء مؤشر عن مستوى الاختبار تصاعديا ، اي الفقرات السهلة الى الفقرات الصعبة ، فقد قام الباحثان بتطبيق معادلة صعوبة الفقرات على كل فقرة من فقرات الاختبار مع الاخذ بنظر الاعتبار الاعتماد على نتائج التحليل المنطقي الى جانب التحليل الاحصائي لضرورة وجود فقرات سهلة وفقرات صعبة فهي تعطي مرونة في الاحتفاظ ببعض الفقرات ذات التميز المنخفض الموجب وان افضل معامل للصعوبة يقترب من ٠٫٥٠ فأن اي فقرة ضمن توزيع لمعاملات الصعوبة تتراوح بين ٠٫٢٠ الى ٠٫٨٠ بمتوسط مقداره ٠٫٥٠ ويمكن ان تكون مقبولة (عودة)[٢٨] ومع هذا حذف بعض الفقرات ذات الصعوبة العالية وذات التميز السالب ويلخص الجدول الاتي مديات صعوبة فقرات كل مجال من المجالات .

فقرات ذاك المجال ثم معاملة الارتباط بين الدرجة الكلية للاختبار وعلاقتــــه بالدرجة الكلية لكل من مجالات الاختبار الستة فكانت معاملات ارتباطهـــا ضعيفة (٢٠٪)[٢] • وقد استبعدت الفقرات الاتية من الاختبار وحســـب المجـــالات •

جدول (٤) يوضح عدد الفقرات المستبعدة في كل مجال

المجـــال	عدد الفقرات المستبعدة	رقم الفقرة في المجال
الاول	٥	٨ ، ٥ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨
الثاني	٢	٢ ، ٦
الرابع	٣	٢ ، ٣ ، ٤
الخامس	١	١
السادس	٢	٢ ، ٢٠
مجموع الفقرات	١٣	—

وأصبح عدد فقرات الاختبار (٨٧) فقرة بعد أن كانت (١٠٠) فقـــرة والجدول (٥) يوضح ذلك ، اظر الى الاختبار بصورته النهائية في الملحق (١) اما معاملات الارتباط بين كل مجال والمجموع الكلي للاختبار وقد كانـــت جميعها عالية والجدول (٥) يوضح ذلك •

جدول (٣) يوضح مدى صعوبة فقرات الاختبار

المجال	المدى	المجال	المدى
الاول	٢٠ر٠ ـــ ٧٨ر٠	الرابع	١٨ر٠ ـــ ٦٥ر٠
الثاني	١٨ر٠ ـــ ٥٨ر٠	الخامس	٢٧ر٠ ـــ ٧٧ر٠
الثالث	٢٣ر٠ ـــ ٧١ر٠	السادس	٢١ر٠ ـــ ٦٣ر٠

ب ـ القوة التمييزية

تحدد القوة التمييزية من الفرق بين عدد الذين اجابوا اجابة صحيحة من المجموعتين العليا والدنيا مقسوماً على احد المجموعتين وتنحصر قيمها بين (+ ١ ، صفر ، — ١) وافضل تميز للفقرات ما كان موجباً عالياً والصعوبة تترادف عكسيا مع التميز فكلما كانت الفقرات صعبة وسهلة ضعف تميزها ، وقد حذفت بعض الفقرات كما اشرنا في الصعوبة لعدم تميزها وصعوبتها العالية جداً أو السهلة جدا وبذلك ضمنت الصعوبة والتميز لفقرات الاختبار .

٦ ـ طريقة تصحيح الاختبار :

أفاد الباحثان من بدائل الاختبار المختلفة ومن إمكان حذف بعض الفقرات والتغيير من مجال الى آخر لتقنين الاختبار وجعله يصل الى تغطية اكبر عدد من الموضوعات في اختبار التمكن من اللغة العربية . وكانت اعلى درجة لكل فقرة (درجة واحدة) وادنى درجة (صفر) وبموجب هذا احتسبت الدرجة الكلية بعد جمع درجات الفقرات جميعاً .

٧ ـ الاتساق الداخلي

استنادا الى الدرجة الكلية محكاً وعلاقة بدرجة الفقرة ، وقد استخرج الباحثان معامل الارتباط بين الدرجة الكلية لكل مجال وعلاقته بكل فقرة من

جـــدول (٥)

معامل ارتباط بيرسون يوضح العلاقة بين المجموع الكلي للاختبار وكل مجال على حدة

رقم المجال	معامل الارتباط
١	٥٤٢ر٠ (*)
٢	٦٩٩ر٠ (*)
٣	٦٩٥ر٠ (*)
٤	٦١٣ر٠ (*)
٥	٦٧٩ر٠ (*)
٦	٧٧٦ر٠ (*)

٨ ـ ثبات الاختبار :

وقد حسب بطريقة التجزئة النصفية وهي انسب الطرائق في ظن الباحثين لهذا النوع من الاختبارات ، وقد صمم الاختبار ليسمح بالتكافؤ بين الاسئلة الفردية والزوجية وبعد إدخال البيانات في جهاز الحاسوب (Computer) قسمت فقرات الاختبار الى قسمين متساويين يحتوي القسم الاول الفقرات الفردية والقسم الثاني الفقرات الزوجية وبعد ذلك حسب معاملة الارتباط (بيرسون) بين فقرات الاختبار الزوجية وفقرات الاختبار الفردية وقد بلغت ٩٠٦ر٠ بمستوى دلالة ١٠ر٠ وبعد تصحيحها بمعادلة (سبير مان براون Sperman - Brown) اصبحت (٩٥٠ر٠) وهو معادل ارتباط عالٍ ومقبول ويطمئن الباحثان الى تصميم الاختبار من حيث طوله وعدم تجانس المجموعة ومناسبته سهولة وصعوبة ، مما ادى الى ارتفاع نسب الثبات .

* ذات دلالة احصائية عند مستوى ١٠ر٠ .

عرض النتائج وتفسيرها

اختبر في هذا البحث تمكن طلبة كلية المعلمين المتقدمين الى فرع اللغة العربية لمعرفة مدى تمكنهم من اللغة العربية بعد ان مروا باربع عشرة سنة دراسية ، منها ست سنوات في الدراسة الابتدائية وست سنوات للدراسة المتوسطة والاعدادية وسنتان من الدراسة في الكلية حصلوا فيها على برامج مستمرة في اللغة العربية فضلا عن كونهم قد تقدموا للانضمام الى فرع اللغة العربية كي يصبحوا معلمين للغة العربية ليضمنوا التمكن من مادة العربية موازنة بزملائهم في الفروع الاخرى • إذ سيكون عرض النتائج وتفسيرها في ضوء اهداف البحث ، إذ تتحقق معرفة (المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات افراد العينة) والجدول (٦) يوضح المؤشرات الاحصائية لدرجات أفراد العينة •

جـــدول (٦)

يوضح المؤشرات الاحصائية لعينة البحث مع كل مجال من مجالات الاختبار

ن = ١٢٠

تسلسل المجال	الوسط الحسابي	الانحرافات المعيارية
١	٨ر٢٤	٢ر٣٣
٢	٦ر٠٥	٢ر٧٧
٣	٥ر٣٢	٣ر٤٤
٤	٤ر٣٩	٢ر٠٨
٥	١١ر٠٤	٣ر٨٣
٦	٩ر٥٢	٣ر٩٧
المجموع الكلي للاختبار	٤٤ر٥٦	١١ر٥٠

من ملاحظة جدول (٦) نجد ان المتوسطات الحسابية للمجالات الاربعةالاولى منخفضة ، في حين تكون المتوسطات الحسابية للمجالين الخامس والسادس أعلى بقليل من المجالات الاربعة الاولى وذات انحرافات معيارية قدرها (٣ر٨٢) و (٣ر٩٧) على التوالي ، واجمالا فأن المتوسط الحسابي للاختبار عامة منخفض ومقداره (٤٤ر٥٦) وبانحراف معياري مقداره (١١ر٥٠) وهذا يشير الى ان مستوى تمكن الطلبة من مادة اللغة العربية بمقتضى الاختبار الحالي ضعيف ودون المستوى واقل من مستوى تحقيق الاهداف التربوية ، وهذا ما يشير اليه الكثير من اساتذة الجامعات ومدرسو المدارس الاعدادية ودراسات كانت في هذا المجال ، من أن نسبة عالية من طلبة الجامعات ولمختلف المستويات والاختصاصات تعاني ضعفاً في التعبير اللغوي وكثرة الاخطاء الإملائية ، وضعف الخط ... إلخ من جوانب اللغة العربية ، ويعتقد الباحثان بأن الاسباب التي تؤدي الى انخفاض مستوى الطلبة في مادة العربية تعود الى أنه :

١ ــ المناهج دون المستوى المطلوب موازنة بالمناهج القديمة ، في طرائق عرض مادة الكتب ، وكذلك المحتويات .

٢ ــ اعداد المعلمين والمدرسين دون المستوى المطلوب ويظهر على أغلب المتخرجين ضعف في القواعد والاملاء والتعبير ، حتى أن بعضهم لايكتب جملة يسيرة خالية من الغلط ، ولم يكن ذلك كذلك في أجيال المعلمين السابقين الذين يتميزون باتقان مهارات اللغة فضلا عن حماستهم واندفاعهم واخلاصهم في أداء واجبات مهنتهم .

٣ ــ طرائق تدريس اللغة العربية لاتواكب التطور ولاتحقق المطلوب ، من الابتدائية الى الاعدادية ، يميزها الجمود في التعامل مع مادة اللغة ، وبعيدة عن استخدام التقنيات الحديثة .

وللتحقق من فرضية البحث الوحيدة ، والتي افترضت أن لافروق ذات دلالة معنوية بين أفراد عينة البحث حسب الجنس (ذكور ،اناث) أي أن مستوى تمكن الطلبة من مادة اللغة العربية لايتأثر بالجنس اذ ليس للجنس أثر في نتائج الاختبار الحالي • فقد حسبت المتوسطات والانحرافات المعيارية ، والاختبار لتعرف معنوية الفروق ، وبدرجة حرية (١١٨) ولحساب الاختبار التائي t - test لمجالات الاختبار الستة والاختبار عامة أظهر أن لا فروق ذات دلالة معنوية بحسب الجنس (ذكور ، اناث)، أي أن تمكن الطلبة في مادة اللغة العربية لا يتأثر بالجنس والجدول (٧) يوضح ذلك •

وعند موازنة نتائج درجات الطلبة عن الاختبار بحسب الجنس ، وقد جسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ، ظهر أنها قريبة جدا من نتائج الاختبار عامة ، كما ورد في الجدول (٧) ، وعلى الرغم من اختلاف عينة الذكور (٣٧) طالباً والاناث (٨٣) طالبة ، وهذا يعزز ما توصل إليه البحث من نتائج ، والجدول (٨) يوضح أن المتوسطات الحسابية منخفضة على الرغم من اختلاف الجنس ، وأن الانحرافات المعيارية لكل مجال لا تختلف كثيرا فيتركز معظمها بحدود انحرافين معياريين عن المتوسطات للمجالات الاربعة الاولى، عدا المجالين الخامس والسادس فيتحددان بحدود (٤) انحرافات معيارية الى (٣ر٨٤) • أما المجموع الكلي للاختبار عامة ، فكان المتوسط الحسابي للذكور بحدود (٤٣ر٧٣) بانحراف معياري قدره (١٣ر٠٧) ، أما الاناث فكان المتوسط الحسابي لهن (٤٤ر٩٠) بانحراف معياري مقداره (١٠ر٨٠) ، وهذا يشير كما أشرنا الى أن مستوى تمكن الطلبة من اللغة العربية لا يختلف (أي منخفض) وهو دون المستوى المطلوب •

جـــدول (٧)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات افراد البحث

حسب الجنس مجموع العينة (١٢٠)

المجـال	الجنس		العينة	المتوسط	الانحرافات المعيارية
١	ذكــور	M	٣٧	٨ر٥١	٢ر٢١
	انـــاث	F	٨٣	٨ر١٢	٢ر٣٩
٢	ذكــور	M	٣٧	٥ر٤٦	٢ر٨٥
	انـــاث	F	٨٣	٥ر٣١	٢ر٧٣
٣	ذكــور	M	٣٧	٥ر١١	٢ر٥١
	انـــاث	F	٨٣	٥ر٤١	٢ر٢٧
٤	ذكــور	M	٣٧	٤ر١٧	٢ر٠٤
	انـــاث	F	٨٣	٤ر٤٨	٢ر١٠
٥	ذكــور	M	٣٧	١٠ر٤٨	٤ر٥١
	انـــاث	F	٨٣	١١ر٣٧	٣ر٤٨
٦	ذكــور	M	٣٧	١٠ر٠٨	٤ر٢٦
	انـــاث	F	٨٣	٩ر٢٧	٣ر٨٤
المجموع الكلي للاختبار	ذكــور	M	٣٧	٤٣ر٧٣	١٣ر٠٧
	انـــاث	F	٨٣	٤٤ر٢٠	١٠ر٨٠

جدول (٨) يبين نتيجة الاختبار الثاني لعينة البحث موزعة حسب المجالات

ن = ١٢٠

المجـال	الاختبار الثاني	درجة الحرية
الاول	٨٥ر٠	١١٨
الثاني	- ٥٦٠ر١	١١٨
الثالث	- ٦٥ر٠	١١٨
الرابع	- ٧١ر٠	١١٨
الخامس	- ٦٩ر١	١١٨
السادس	٠٤ر١	١١٨
المجموع الكلي	- ٠٤٩ر٠	١١٨

التوصيات

يوصي الباحثان بما يأتي :

١ ـ اعادة النظر في بناء مناهج مراحل التعليم العام باتباع ما يناسب تعليم العربية ، بدءاً من ضبط القراءة والكتابة بمعرفة علامات الضبط ، وتمييز المقاطع ، الى التمكن من القواعد التي تقوى السليقة في التعبير عن كل المواقف بلغة سليمة خالية من الاغلاط ومن دون تردد ، وبلوغ مرحلة التمكن من الاساسيات في نهاية المرحلة الاعدادية بتعود صيغ اللغة وأساليبها وقواعدها ، واستخدامها من غير جهد ولا عنت .

٢ ـ اعادة النظر في طرائق تدريس اللغة العربية ، باتباع طرائق التدريس الحديثة ، واستخدام التقنيات المتطورة، وربط نجاح الطرائق بمستوى نتائج التعليم العام في أداء المهارات اللغوية من قراءة وكتابة وفهم وتعبير .

٣ ـ اعادة النظر ببرامج إعداد المعلمين والمدرسين في الكليات والمعاهد بما يناسب الحاجة والتطلعات ، كمعرفة مشكلات تعليم اللغة وتحديث اختباراتها والطرائق الصحيحة للتغلب على مواطن القصور في تعليمها ، وقد يساعد اختبارنا هذا في الكشف عن مستوى المتقدمين لمهنة تعليم اللغة العربية وجعله مؤشرا للقبول .

المقترحات

يقترح الباحثان ما يأتي :

١ ـ اجراء دراسات مماثلة في كليات المعلمين الاخرى تشمل عينات أكبر .

٢ ـ اجراء دراسات مماثلة على عينات من كليات التربية .

٣ ـ اجراء دراسات على عينات لطلبة من كليات ذات تخصصات علمية كالطب والهندسة والعلوم .

٤ ـ الافادة من هذا الاختبار في استخراج معايير لاختبار طلبة كليات المعلمين .

٥ ـ إجراء دراسات موسعة لتطوير هذا المقياس ليشمل المراحل العامة الثلاث ، الابتدائية والمتوسطة والاعدادية طبقاً لما يناسب أهداف تعليم كل مرحلة .

٦ ـ إجراء دراسة تتبعية للطلبة الذين اختبروا هذا الاختبار بعد إنهائهم السنة الثالثة في كلية المعلمين لتعرف اثر البرنامج الذي قدم لهم في سنة ما بعد الاختبار .

المصــادر

المصادر العربية

١ ــ الابراشي ، محمد عطية ، لغــة العــرب وكيف ننهض بها ، مكتبة النهضة المصرية ،١٩٤٧ ، ص ٦ .

٢ ــ ابو علام ، العادل محمود ، قياس الثقــة بالنفس عند الطالبات في مراحل الدراسة الثانوية والجامعة ، مؤسسة علي الجراح ،الكويت ، ص ٦٦ .

٣ ــ احمد ، حامد عبدالقادر ، طرق تعليم العربيــة ، ط٥ ، مكتبــة النهضة المصرية ، ١٩٨٦ .

٤ ــ البسام ، عبدالعزيز ، اللغة والوعي الاجتماعي ، بغداد ،١٩٨٤ .

٥ ــ بلوم ، بنجامين واخرون ، نظام تصنيف الاهداف التربوية ، الكتاب الاول ترجمة محمد محمود الخوالدة ، دار الشرق للنشر والتوزيع والطباعة ، جدة ١٩٨٥ .

٦ ــ البيان الختامي لندوة اللغة العربية والوعي القومي ، المجمع العلمي العراقي بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية ومعهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٤ .

٧ ــ جمهورية العراق ، وزارة التربية ، الاهداف التربوية العامة للمناهــج في المرحلة الابتدائية ، بغداد ، ١٩٨٥ .

٨ ــ جمهورية العراق ، منهج الدراسة الابتدائيــة ، مطبعــة وزارة التربية ، ط٥ ، ١٩٧٤ .

٩ ــ حنودة ، احمد حسن ، مقياس التمكن من القدرات الأساسية للغة العربية، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٨٤ .

١٠ــ خاطر ، محمود رشدي وآخرون ، طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة ، ط٤ ، دار المعرفة ، ١٩٨٩.

١١ــ خاطر ، محمود رشدي وآخرون ، تطور مناهج تعليم القــراءة في مراحل التعليم العام في الوطن العربي ، ط٢ ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٨٦ ، ص ٢٣ــ٢٤ .

١٢ــ خليفة ، عبدالكريم ، دور المجامع العربية في ترقية رسائل التعبير ، مجلة التربية والثقافة والعلوم ، العدد ٢٢ آذار ١٩٩٢ ، تونس ص٨٧ .

١٣ ـ الدليمي ، محسن حسن ، أثر القراءة الصامتة في تحصيل بعض المهارات اللغوية لدى تلامذة الصف الخامس الابتدائي ، رسالة دكتواره ، جامعة بغداد ـ كلية التربية ١٩٩٧ .

١٤ ـ الربيعي ، جمعة رشيد ، أثر أسئلة المناقشة المعدة على وفق تصنيف بلوم الاداء التعبيري لطلبة الصف الثاني المتوسط ، رسالة دكتوراه/جامعة بغداد ـ كلية التربية ١٩٩٧ .

١٥ ـ الركابي ، جودت ، طرق تدريس اللغة العربية ، دار الفكر ، دمشق١٩٧٣، ص ١٣٤ .

١٦ ـ السامرائي ، هاشم واخرون ، طرائق التدريس العامة وتنمية الفكر ، دار الامل للنشر والتوزيع ، الاردن أربد ١٩٩٤ ، ص ٩٩ .

١٧ ـ سمارة عزيز ، مبادىء القياس والتقويم في التربية ، عمان ، ١٩٨٩ .

١٨ ـ سمك ، محمد صالح ، في تدريس اللغة العربية وانطباعاتها المسلكية وانماطها العملية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥ .

١٩ ـ السيد ، محمود احمد ، تعليم اللغة العربية بين الواقع والطموح ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ١٩٨٨ ، ص ١٩٢ .

٢٠ ـ السيد ، محمود احمد ، الموجز في طرائق تدريس اللغة العربية وادابها ، دار العودة بيروت ١٩٨٠ ، ص ١١٢ ـ ١١٥ .

٢١ ـ شبر ، عفاف حسن محمد ، أثر القراءة الصامتة والجهرية في تحصيل تلامذة الصف الثالث الابتدائي في الاملاء ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ـ كلية التربية ، ١٩٨٧ .

٢٢ ـ شحاتة ، حسن ، أساسيات في تعليم الاملاء ، معالم تربوية ، مؤسسة الخليج العربي ، القاهرة ١٩٨٤ .

٢٣ ـ شرف ، عبدالله السيد ، العربية لغة الجمال ، المجلة العربية ، المملكة العربية السعودية العدد ١٠٧ ، السنة العاشرة اب ١٩٨٦ ، ص ١٠٤ـ ١١٠

٢٤ ـ شلبي ، عبدالفتاح اسماعيل ، تيسير قواعد الاملاء ، منشور في أساسيات تعليم الاملاء ، أعداد الدكتور حسن شحاته ، من سلسلة معالم تربوية ، مؤسسة الخليج العربي ، القاهرة ١٩٨٤ .

٢٥ ـ طه حسين .

٢٦ ـ عليان ، احمد واخرون ، مدى اتقان طلبة الثامن الاساسي في عمان لمهارات اللغة العربية ، رسالة المعلم ، العدد الثالث ، المجلد السادس والثلاثون ، الاردن ـ عمان ، ١٩٩٥ .

٢٧ ــ عودة ، احمد سليمان ، القياس والتقويم في العمليــة التدريسية ، دار الامل ، الاردن ، ١٩٩٣ ، ص ٥٢ .

٢٨ ــ عيسوي ، عبدالرحمن محمد ، القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار النهضة ، بيروت ١٩٧٤ .

٢٩ ــ فيركسون ، جي ، اي ، التحليــل الاحصائــي في التربية وعلم النفس ؛ ترجمة هناء محسن العكيلي ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ١٩٩٠ ، ص (٦ ــ ٥) .

٣٠ ــ لاندي ، فرانك جي زوال ، قياس اداء العمل الاساليب والنظرية والتطبيق، ترجمة محمد الحسن ، المملكة العربية السعودية ، معهد الادارة العامة ، ادارة البحوث ١٩٨٧ .

٣١ ــ لطفي ، محمد قدوري ، التاخر في القراءة ، تشخيصه وعلاجه في المدرسة الابتدائية ، مكتبة مصر ، ١٩٥٧ .

٣٢ ــ مجاور ، محمد صلاح الدين ، دراسة تجريبية لتحديد المهارات اللغوية في فروع اللغة العربية ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٧٤ .

٣٣ ــ مرسي ، محمد منــير ، قياس المهــارات الاساسية للقراءة الصامتة في المرحلة الاعدادية ، رسالة ماجستير ، عين شمس ، كلية التربية ١٩٦١ .

٣٤ ــ المقدمة ــ لابن خلدون ، ص ٥٥٩ .

٣٥ ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ادارة التربية ، تطوير مناهــج القواعد النحوية واساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي، تونس ١٩٨٣ ، ص ٥ .

٣٦ ــ وطفة ، علي ، اللغة والاتصال الاجتماعي ، مجلة التربية ، العدد الحادي عشر بعد المئة السنة الثالثة والعشرون ك اول ١٩٩٤ ، المطبعة الاهلية ، قطر .

٣٧ ــ يونس ، فتحي علي ، العربية والدين الاسلامي في رياض الاطفال والمدرسة الابتدائية (تقنيات تدريبية) ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٤

المصادر الاجنبية

38. Ebel, R.L., Essentials of Educational Measurement, 2nd. ed., New York, Englewood Cliffs, New Jersey, Prentice-Hall, 1972.

39. Gronlund, N.E., Measurement and Evaluation Teaching, 3rd, New York, Macmillan Publishing Co., 1976.

40. Lewis, D.G., Statistical Method in Education, Open University Book, London, 1973.

41. Scannell, D. Testing and Measurement in the Classroom, Houghtn, Bosting, 1975, P. 214.

ملحق (١)

اختبار اساسيات اللغة العربية
اختبـــار الفهـــم اللغـــوي

اولا : ما المعاني لما تحته خط فيما ياتي :

١ ـ « إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَر » أ ـ من لا مـال له ب ـ لا ولد له ج ـ لا يد له د ـ لا عشيرة له .

٢ ـ « لا أقْسِمُ بهذا البَلَدِ » أ ـ مكة المكرمة ب ـ المدينة المنورة ج ـ بيت المقدس د ـ اي مدينة .

٣ ـ « وَيلٌ لكُلِّ هُمَزَةٍ » أ ـ العيّـاب ب ـ الطمـاع ج ـ الحاسد د ـ الكافر .

٤ ـ كان حموكِ مؤدباً أ ـ الصـديق الحميـم ب ـ من يحميـك ج ـ والدك د ـ شقيق الزوج .

٥ ـ قاظ يومُنا أ ـ طال ب ـ اشتد برده ج اشتد حره د ـ طاب

٦ ـ إنما الميت ميت الاحياء أ ـ موت الهمم ب ـ مصـير الاحيـاء ج ـ نسيان الموت د ـ الموت راحة .

ثانيا : ما المناسب للجمل والعبارات الاتية :

١ ــ وسيق المتقون زمراً أ ــ الجملة فعلية وفعلها مضارع
ب ــ فعلها ماض ج ــ ليست فعلية د ــ فعلية فعلها مقدر .

٢ ــ الزراعة نفط دائم أ ــ في الماضي ب ــ الحاضر ج ــ الحاضر والمستقبل د ــ لا زمن لهذه الجملة .

٣ ــ عيوبي إنْ سألتَ بها كثير وأيٌّ الناس ليس له عيوب
أ ــ عيوبه اكثر من عيوب الناس ب ــ عيوب الناس اكثر
ج ــ عيوبه كعيوب الناس د ــ لا عيوب له .

٤ ــ جاء أخي مستبشراً عصراً أ ــ أخبار وهيأة وظرف ب ــ اخبار وظرف ج ــ اخبار وهيأة د ــ هيأة وظرف .

٥ ــ كأن على رؤوسهم الطير أ ــ لسرعتهم ب ــ لترددهم
ج ــ لتوقفهم عن الحركة د ــ لتعلقهم بها .

٦ ــ أولئك آبائي فجئني بمثلهم أ ــ لي آباء ولك كذلك
ب ــ آبائي أكثر ج ــ آبائي أقل د ــ ليس لك مثل آبائي.

٧ ــ ما اسعد أباكَ ! ــ علاقة الترقيم المناسبة هي النقطة
ب ــ الاستفهام ج ــ النقطتان الرأسيتان د ــ التعجب .

اختبار القواعد الاساسية

اولا : عين المناسب لما ياتي :

١ ــ « يَومَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بإمامِهِم » أ ــ الفعل مرفوع بالواو ب ــ بالضمة المقدرة جـ ــ بالضمة الظاهرة د ــ ليس مرفوعاً .

٢ ــ هاأنذا ــ يمكن أن تكون جوابا لـ أ ــ من انت ؟ ب ــ اين انت ؟ جـ ــ متى جئت ؟ د ــ أين كنت ؟ .

٣ ــ الحر لايخاف في الحق لومة لائم أ ــ الفعل المضارع منصوب ب ــ مجزوم جـ ــ مرفوع بضمة ظاهرة د ــ بضمة مقدرة .

٤ ــ الفعل الماضي أ ــ مبني دائماً ب ــ مبني وقد يعرب جـ ــ يبنى على حذف حرف العلة د ــ على حذف النون .

ثانيا : عين الغلط فيما ياتي :

١ ــ « إياك نستعين » أ ــ تقدم المفعول على فعله ب ــ الفاعل محذوف جـ ــ الكلمة الثانية مبنية على السكون د ــ الضم

٢ ــ « أن تصوموا خير لكم » أ ــ شرطية ب ــ مصدرية جـ ــ والجملة مكونة من مبتدأ وخبر د ــ خبرها (خير).

٣ ــ قد ينوب عن الفتحة أ ــ الياء ب ــ الالف جـ ــ الضمة د ــ الكسرة .

٤ ــ إحدى هذه الجمل غير تامة أ ــ صديق صادق ب ــ السلام عليكم ج ــ يا صاحبي د ــ اهلا وسهلا •

٥ ــ التعريف يكون بـ أ ــ الالف واللام ب ــ بالوصف ج ــ بالتكرار د ــ بالاضافة •

٦ ــ الخبر قد يرفع أ ــ بالضمة ب ــ بالواو جـ ــ الكسرة بدل الفتحة د ــ بالالف •

٧ ــ الاحرف المشبهة بالفعل أ ــ تؤثر في معاني الجمل ب ــ تنصب وترفع ج ــ لكل منها معنى لا يتغير د ــ تتغير معانيها بحسب ما دخلت عليه •

٨ ــ الالف علامة أ ــ نصب الاسماء الستة ب ــ ورفع المثنى ج ــ ورفع الفعل المضارع د ــ رفع (كلا) و(كلتا) بشروط •

٩ ــ الافعال الخمسة أ ــ تنصب بالفتحة ب ــ ترفع بالنون ج ــ تجزم بالحذف د ــ فاعلها مذكور •

١٠ــ العطف أ ــ لا يكون إلا بأداة ب ــ لكل اداة معنى ج ــ المعطوف على المرفوع لا يكون الا مرفوعاً د ــ وقد يكون منصوباً •

اختبار التمييز

اولا : اضبط حركات جميع احرف ما تحته خط فيما ياتي متابعا حل الانموذج:

« إنما حُرِّمَ عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله »

أُهِلَّ

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن »

أَهْلَ

١ ــ « وجعلنا اية النهار مبصرة » ــ احترم اية بنت تحترم والديها •

٣ ــ « إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا » ــ « وآتيناهم ملكاً عظيماً »•

٣ ــ ما بالفقر عيب ــ عيب المتردد •

٤ ــ ما أنا بمسلم على ناكر الجميل ــ ليس بمسلم من يؤذي المسلمين •

٥ ــ الله رب السماوات والارض ــ رب أخٍ لم تلده امك •

٦ ــ ما عمر الانسان إلا بتتابع الايام والسنين ــ مـا عمر المعمـــرون إلا بما شاء الله •

٧ ــ غير محمد رأيه ــ ما جاء غير زيد •

ثانيا : ميز الفاعل من المفعول في الجمل الاتية :

١ ــ زر أصدقائي ٢ ــ ساعد عيسى أخوك ٣ ــ رد الظالمين صديقي

اختبــار التطبيق

اولا : اختبار جودة القراءة في تمييز المقاطع الصوتية :

١ ــ إذا كانت مقاطع كلمة : (تَدارَكنا) هي : تَ ــ دَا ــ رَكْ ــ نا فما مقاطع (وادّاركتم) ؟

ثانيا : اين نضع علامات التشديد فيما ياتي :

١ ــ لاتنخدع من يدس السم في العسل أ ــ اللام ب ــ السين الاولى ج ــ السين الثانية د ــ الاثنين •

٢ ــ صديقي يحب القصص أ ــ على الصاد ب ــ الحـاء والقـاف ج ــ الباء د ــ لا تشديد.•

ثالثا : ما التنوين فيما ياتي :

١ ـ كان لرجل اربعة أبناء أ ـ ضم وكسر ب ـ عكس ما في أ
جـ ـ كسر د ـ ضم •

٢ ـ في الحديقة نخل كثير أ ـ ضم على الكلمتين الاخيرتين ب ـ كسر
جـ ـ كسر فتح د ـ عكس ما في جـ •

رابعا : صحح الغلط مبينا السبب فيما ياتي :

١ ـ هذه دار أبو زيد •
٢ ـ جاء أخوي زيد وأختاه •
٣ ـ إنّ المؤمنون لصادقين •
٤ ـ سوف لن اهمل الواجب •
٥ ـ عاملي الخير فائزون •
٦ ـ قرأت ثلاث كتب وخمس مجلات •
٧ ـ بدأت المباراة ولمّا تنتهي بعدُ •

اختبار الضبط

اضبط جميع حركات ماتحته خط فيما ياتي :

٢ ـ « ألمْ نشرح لك صدرك » •
٣ ـ « فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا » •
٤ ـ أحمد الله حمد الشاكرين •
٥ ـ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق •
٦ ـ لا تخش في الحق أحداً •
٧ ـ يا صادق الوعد هذا يومك •
٨ ـ الاكل الكثير يضرّ المعدة •

٩ ـ الوقاية خير من العلاج .
١٠ـ لا تقل ما لا تحب أنْ يقال لك .
١١ـ العين بصيرة لكن اليد قصيرة .
١٢ـ متى تأت الكريم يكرمك .
١٣ـ يا أيها المعلم اعرف واجبك .
١٤ـ زار السائح المتحف امس .
١٥ـ قابلتني صديقة مخلصة .
١٦ـ هرب العدوّ هروب الجبناء .
١٧ـ أتمنى ان يفوز فريقنا .
١٨ـ انتشرت المراكز الصحية .
١٩ـ يحترم الوالد الولد .

اختبار تكوين الجمل وتحويلها

اولا : اتمم ما ياتي مراعيا ضبط اواخر الكلمات :

١ ـ من يبخل بماله ....
٢ ـ الجو ممطر لكنّ ....
٣ ـ آمنت بالله ....

ثانيا : ابن الافعال الاتية للمجهول واضبط جميع احرف الفعل بعد بنائه وكذلك مابعده :

١ ـ فضل الله المجاهدين على القاعدين .
٢ ـ استحسنت الكتابين .
٣ ـ قال صديقي الصدق .
٤ ـ خاف الغشاشون المراقبين .

ثالثا : اكد الافعال الاتية بمفاعيل مطلقة :

١ ــ بان الامر على حقيقته •   ٢ ــ ضجّ القوم •

رابعا : حول الجمل الاتية الى جمل فعلية

١ ــ استقامة المرء مفخرة •

٢ ــ تسيير السيارات كان بالاتجاه الصحيح •

٣ ــ مخافة الله نجاة •

خامسا : اكمل ما ياتي متابعا المثال   كتبتُ درسي ــــــ اكتبْ درسَكَ

١ ــ ناديتُ أهلي   ٢ وقيتُ نفسي   ٣ ــ رفوتُ ثوبي •

سادسا : اكمل بما يناسب :

١ ــ ايتها المرضات [اسعف] .... الجريح •

٢ ــ سعيت في الخير [ويؤمر المثنى بـ :] ....

٣ ــ سرتني التلميذات [التي] .... تفوقن •

سابعا : اكتب ثلاث جمل مترابطة تناسب الموقف الكلامي لكل مما ياتي :

١ ــ تشكر امين المكتبة لتعاون منتسبيها فماذا تقول ؟ ....

٢ ــ وانت تهنىء صديقاً بالزواج فماذا تقول ؟ ....

ملحق (٢)

ورقة الاجـابة

ملاحظات مهمة يرجى الاطلاع عليها قبل البدء بالإجابة :

١ ــ إجابتك الدقيقة عن كل فِقْرةٍ من فِقْرات هذا الاختبار مهمة لاغراض البحث العلمي وكذلك لاظهار تمكنك من اساسيات العربية •

٢ ــ يرجى الكتابة بقلم الرصاص فقط على ورقة الإجابة وتــرك ورقتـــي الاختبار من دون تأشير •

٣ ــ اختر إجابة واحدة من الاختيارات بوضع علامة (√) امام الحـــرف المناسب •

٤ ــ ابتعد عن التخمين والعشوائية عندما لا تعرف الإجابة الصحيحة لان ذلك ينقص من درجاتك واحرص على الوقت •

إختبار الفهم اللغوي

أولاً :					
	١	ألف	ب	ج	د
	٢	ألف	ب	ج	د
	٣	ألف	ب	ج	د
	٤	ألف	ب	ج	د
	٥	ألف	ب	ج	د
	٦	ألف	ب	ج	د

ثانياً :	١	ألف	ب	ج	د
	٢	ألف	ب	ج	د
	٣	ألف	ب	ج	د
	٤	ألف	ب	ج	د
	٥	ألف	ب	ج	د
	٦	ألف	ب	ج	د
	٧	ألف	ب	ج	د

إختيار القواعد الاساسية

أولاً :	١	ألف	ب	ج	د
	٢	ألف	ب	ج	د
	٣	ألف	ب	ج	د
	٤	ألف	ب	ج	د

ثانياً :	١	ألف	ب	ج	د
	٢	ألف	ب	ج	د
	٣	ألف	ب	ج	د
	٤	ألف	ب	ج	د
	٥	ألف	ب	ج	د
	٦	ألف	ب	ج	د
	٧	ألف	ب	ج	د
	٨	ألف	ب	ج	د
	٩	ألف	ب	ج	د
	١٠	ألف	ب	ج	د

اختيار التمييز

اولا : ١
٢
٣
٤
٥
٦
٧

ثانياً : ١ الفاعل المفعول :
٢ الفاعل المفعول :
٣ الفاعل المفعول :

اختبـــار التطبيـــق

أولاً : ١

ثانياً : ١ ألف ب ج د
٢ ألف ب ج د

ثالثاً : ١
٢

رابعاً : ١
٢
٣

٤
٥
٦
٧

اختبار الضبط

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩

اختبار تكوين الجمل وتحويلها

أولاً :

١

٢

٣

ثانياً : ابنِ للمجهول واضبط حركات احرف الفعل وما بعده :

١

٢

٣

٤

ثالثاً : اكد الافعال الاتية بمفاعيل مطلقة :

١

٢

رابعاً : حوّل الجمل الاتية الى جمل فعلية :

١

٢

٣

خامساً : اكمل ما يأتي متابعاً النموذج :

١
٢
٣

سادساً : اكمل بما يناسب :

١
٢
٣

سابعاً : اكتب ثلاث جمل مترابطة لكل فقرة مما يأتي :

١
٢

قانون كبلر الثاني(*) وحركة الشمس الظاهرية

ا. د. ماجد السيد ولي محمد
كلية الآداب ـ جامعة البصرة

ملخص البحث

إن الهدف من البحث هو التحقق من أن كوكب الارض يرسم خلال دورانه حول الشمس مساحات قطاعية شهرية متساوية في اوقات متساوية . وقد اثبت ـ البحث ـ مستعينا بالبرنامج Auto CAD في الحاسوب وباستعمال الإيعاز Pedit - Pline للشكل الذي اعتمده كبلر في قانونه الثاني . وكذلك حركة الشمس الظاهرية كما يبدو في مرتسم الاناليما العالمية واناليما البصرة ، تحقق لدينا ان حركة الارض حول الشمس ترسم مساحات قطاعية شهرية غير متساوية في اوقات متساوية .

(*) من الرجال العظام الذين درسوا الاجرام السماوية وثبتوا قواعد علم الفلك هم :

١ ـ كوبر نيكس COPERNICUS ، ١٤٧٣ ـ ١٥٤٣ .
٢ ـ تيكوبراها TYCHOPRAHE ، ١٥٤٦ ـ ١٦٠١ .
٣ ـ جوهانز كبلر KEPLER ، ١٥٧١ ـ ١٦٣٠ ، صاحب القوانين الثلاث الشهيرة وهي :

القانون الاول : كل كوكب سيار يدور حول الشمس في مدار اهليلجي بيضي تستقر الشمس في احدى بؤرتيه (صدر عام ١٦٠٩م) .
القانون الثاني : الخط الواصل بين مركز الكواكب ومركز الشمس يمسح خلال دورانه حولها مساحات متساوية في الفضاء في اوقات متساوية (صدر عام ١٦٠٩م ايضا) .
القانون الثالث : مربع مدة دوران كوكب حول الشمس الى مربع دوران

←

ان الهدف من البحث هو الوقوف على مدى التطابق والاختلاف بين ما جاء في قانون كبلر الثاني المتمثل بمرتسمه لتوزيع المساحات الشهرية المتساوية التي يرسمها كوكب الارض في دورانه حول الشمس (شكل ١) ، مع ما جاء في المرتسم البياني (الاناليما) (شكل ٢ ، ٣) ، والمرتسم البياني لحركة الشمس الظاهرية في مدينة البصرة (شكل ٤ ، ٥) •

منهج البحث :

المقومات التي اعتمدها البحث اتخذت الشكل الاتي :

١ ـ اتخذت من (الشكل ١) اساسا في تكوين مرتسمات متناظرة له من (الشكلين ٢ ، ٤) والتي تمثلت في (الشكلين ٣ ، ٥) •

٢ ـ اعتماد المرتسم البياني / الاناليما ، (الشكل ٢) ، الذي يوضح الاطوال المختلفة للمسارات الشهرية لحركة الشمس الظاهرية •

٣ ـ اعتمدت المرتسم البياني الذي اتخذ شكل العدد ٨ العربي اصلا ، لحركة الشمس الظاهرية في مدينة البصرة[1] للفترة ١٤/٤/١٩٩٦ ـ

كوكب اخر ، كنسبة مكعب بعد الاول الى مكعب بعد الثاني (صدر عام ١٦١٩م) .

٤ ـ غاليلو GALILIO ، ١٥٦٤ ـ ١٦٤٢م •

٥ ـ نيوتن NIUTON ، ١٦٤٢ ـ ١٧٢٧م •

المصدر : احمد زكي ، مع الله في السماء ، القاهرة : دار الهلال ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

علي عبدالكريم ، علم الجغرافية الطبيعية ، البصرة : دار الطباعة الحديثة ، ١٩٦٩ ، ص ٧٣ .

من العلماء الذين اشتهروا بعلم الفلك في العصر العباسي ، عبدالرحمن الصوفي ، الخوارزمي ، القرغاني وابو عيسى الاصرالابي .

(١) ماجد السيد ولي محمد بحركة الشمس الظاهرية في مدينة البصرة ، دراسة ميدانية تحليلية ، مجلة المجمع العامي العراقي ، ١٩٩٨ .

١٤/٤/١٩٩٧ • (شكل ٤) • الذي يمثل مسارات اشهر السنة على محيطه البالغ طوله ٦ر١٧م ، باطوال شهرية مختلفة قطعتها باوقات متساوية • وبلغ طول المرتسم لمسافة مستقيمة (٢١ حزيران ـ ٢١ كانون الاول) ، قدرها ٨٥ر٢م • ويرتبط طول او قصر المسار الشهري في المرتسم باقتراب او ابتعاد الارض عن الشمس عند دورانها حولها • فمن الوجهة العلمية ان تزيد سرعتها عند الاقتراب فترسم طولا للمسار الشهري ، وترسم قصرا لطول المسار الشهري حيث تقل سرعتها بالابتعاد عن الشمس (جدول ١) •

جدول (١)
مجموع اطوال المسارات الشهرية ومراتبها لحركة الشمس الظاهرية (سم) التي جاءت في الشكلين ٣ ، ٤

الشهر	المرتبة	طول المسارات الشهرية/سم لحركة الشمس الظاهرية التي جاءت في الشكل ٢	الشهر	المرتبة	طول المسارات الشهرية/سم لحركة الشمس في مدينة البصرة التي جاءت في الشكل ٤
ايلول	١	٥ر٧	تشرين الاول	١	٨٦
كانون الاول	٢	٣ر٧	شباط	٢	٨٤
آذار	٣	٧	آذار	٣	٧٧
تشرين الاول	٤	٥ر٦	تشرين الثاني	٤	٦٧
نيسان	٥	٤ر٦	ايلول	٥	٦٣
كانون الثاني	٦	٢ر٦	كانون الثاني	٦	٥٣
آب	٧	٧ر٥	نيسان	٧	٥١
تشرين الثاني	٨	٥	آب	٨	٣٨
شباط	٩	٧ر٤	مايس	٩	٣١
مايس	١٠	٤	تموز	١٠	٢٣
حزيران	١١	٥ر٣	كانون الاول	١١	٢٣
تموز	١٢	٢ر٣	حزيران	١٢	١١
		٦٧			٦١٧

٤ ـ تم التأكد حسابيا[٢] بكون الاشكال ١،٣،٥ ذات قطع ناقص ELLIPSE .

٥ ـ اتخاذ المسارات الشهرية ومحيطها في (الشكل ٢) لعمل المرتسم (الشكل ٣) وبنفس الاطوال الشهرية التي جاءت فيه (١٠٠٪) وكما وردت في (الجدول ١) .

٦ ـ اتخاذ المسارات الشهرية في (الشكل ٤) لعمل المرتسم (الشكل ٥) . ونظرا لكون طول محيط (الشكل ٤) كبيرا إذ يبلغ ١٧ر٦٦م . فقد اعتمدت نسبة ١٠٪ منه وبنفس النسبة من اطوال مسار كل شهر من الاشهر التي وردت في (الجدول ١) .

٧ ـ اتخذت مساحة القطاعات الشهرية[٣] التي حققتها الارض في مدارها حول الشمس في الاشكال (١ ، ٣ ، ٥) لغرض الوقوف على مقدار التطابق والاختلاف في مساحات القطاعات الشهرية (جدول ٢) .

المناقشة والنتائج :

من خلال الاشكال الثلاثة (١ ، ٣ ، ٥) نحاول ان نجد درجة او مقدار التطابق والاختلاف بينها وصولا لمدى انطباق قانون كبلر الثاني المتضمن « ان الكوكب الذي يدور حول الشمس يرسم مساحات متساوية في اوقات

---

(٢) استخدام معادلة القطع الناقص للوقوف على ان الاشكال تتخذ الشكل البيضي

$$\frac{X^2}{A^2} + \frac{Y^2}{B^2} = 1$$

(٣) استخدام البرنامج AUTO CAD في الحاسوب باستعمال الايعاز PEDIT + PLINE اذا تم استخدام اقيام المساحات بالايعاز AREA بعد الوقوف على مقدار اي زاوية من زوايا القطاعات الاثني عشر التي تمثل اشهر لسنة . وظهرت هذه الاشكال الثلاث عند ادخالها في الحاسوب اكثر استطالة عما جاءت في مرتسمات الاصل (شكل ٦) .

متساوية » ، والمعني بالاوقات المتساوية ما يستغرقه على سبيل المثال كوكب الارض خلال مدة شهر واحد تقريبا في مدارها حول الشمس •

فالاشكال الثلاثة هذه توضح بصورة جلية تباطىء حركة الارض حول الشمس وتسارعها وهذا ناشيء من اقتراب الارض من الشمس (١٤٧ مليون كم ، الحضيض PERIHELION في الثالث من كانون الثاني) او ابتعادها عنها (١٥٢ مليون كم ، الذنب او الاوج APHELION في الرابع من تموز)• حيث تصبح سرعتها في الحالة الاولى ٣٠ كم/ثا و١ر٢٩ كم/ثا في الحالة الثانية[٤] فالسرعة تزداد عند اقتراب الارض من الشمس بفعل ازدياد قوة جذب الشمس للارض ، والتباطيء في سرعتها عند ابتعادها عنها ، فتقل قوة جذب الشمس للارض •

فالارض في الاسبوع الاخير من شهر ايلول تأخذ بالاقتراب من الشمس حينما تنتقل الشمس ظاهريا الى نصف الكرة الجنوبي ، فاصبح شهر تشرين في (شكلين ٤ ، ٥) يمثل اطول مسار ، في حين احتل شهر ايلول في (الشكلين ٢ ، ٣) اطول مسار له (الجدول ١) • وهذا الامر الاخير يخالف الحقيقة حيث مازالت الارض بعيدة عن الشمس لكون ٢٢ يوما من شهر ايلول لازالت الشمس الظاهرية في نصف الكرة الشمالي •

ففي ضوء زيادة تسارع حركة الارض كلما اقتربنا من شهري كانون الاول وكانون الثاني ، حيث يبلغ بهما اقتراب الارض من الشمس وتسارعها اقصاه ••• لكن الذي توضحه الاشكال (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) ، وحسب ما جاء في (الجدول ١) ، خلاف ذلك ••• اذ اصبح كانون الاول في الشكلين (٢ ، ٣) يحتل المرتبة الثانية (٣ر٧ سم) بينما في الشكلين (٥ ، ٤) يحتل المرتبة الحادية عشرة (٢٣ كم) • واصبح شهر كانون الثاني يحتل المرتبة السادسة

---

(٤) علي عبدالكريم ، علم الجغرافية الطبيعية ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .

في الشكل (٢ ، ٣) ، (٢ر٦ سم) و(٥٣ سم) في الشكل (٤و٥) بينما احتل شهر اذار المرتبة الثالثة في الاشكال (٢و٣) (٧ سم) ، (٧٧سم) في الاشكال (٤و٥)، على الرغم مما تأخـذه الارض في حركتهـا بالابتعاد عن الشمس منذ نهاية الاسبوع الاول من شهر كانون الثاني •

ما دمنا قد اعتمدنا اطوال المسارات الشهرية في الشكلين (٢و٤) المختلفة ، لابد ان يظهر هذا الاختلاف على ما اوجدته تلك الاطوال المختلفة من مساحات مختلفة توضحت في (الشكلين ٣ ، ٥) فعند النظر قليلا الى الاشكال الثلاثة (١ ، ٣ ، ٥) مجتمعة (الشكل ٦) ، نلمس تلك الاختلافات الكبيرة في مساحاتها (الجدول ٢) وعدم تطابق المساحات فيما بينها حسب ما جاء في نص قانـون كبلر الثاني سواء كانت حركة الشمس الظاهرية في نصف الكرة الشمالي ام في نصفها الجنوبي •

ان مراجعتنا (الشكل ١) الذي اتخذه البحث اساسا لبيان تسـاوي المساحات التي ترسـمها الارض في دورانهـا حول الشمـس ، فالتطابـق في المساحات قد تحقق بين شـهري كانـون الاول (٨ر٠ سم٢) وكانـون الثاني (٨ سم٢) ، وبين شهري حزيران (٨ر١٥ سم٢) وتموز (٨ر١٥ سم٢) • لكـن مجموع مساحة الشهرين الاولين (١٦ سم٢) لا تعادل مجموع مساحتي الشهرين التاليين (٦ر٣١ سم٢) (الجدول ٢) ، ولم تتساو مساحة كانون الاول مـع مساحة شهر حزيران وكذلك الحال بين كانون الثاني وتموز •

عند الرجوع الى (الشكلين ٣ ، ٥) ، مجرد النظر اليهما تظهر لنـا الاختلافات الكبيرة بين مساحات اشهرهما ، فهي تتراوح في (الشكل ٣) بـين (٩ر١٣ سم٢ ــ ٤ر٥٥ سم٢) • فعند مراجعة (الجدول ٢) وما تضـمنه (الشكل ٣) لاقيام للمساحات الشهرية نجدها مختلفة ويظهر فيها ان شـهر آب احتل المرتبة الاولى في مساحته التي بلغت (٤ر٥٥ سم٢) • ويأتي شـهر ايلول في المرتبة الثانية (٣ر٤٧ سم٢) • وشهر نيسان في المرتبة الثالثة (٩ر٣٧ سم٢) • اما ما تضمنه (الشكل ٥) (الجدول ٢) من اقيـام المسـاحات

الشهرية التي تراوحت بين (٤ر١ ــ ٦ر٤٠ سم٢) نجدها هي الاخرى مختلفة فاحتل شهر اذار المرتبة الاولى اذ بلغت مساحته (٦ر٤٠ سم٢) وشهر ايلول في المرتبة الثانية ، بلغت مساحته (٢ر٣٨ سم٢) وشهر آب في المرتبة الثالثة (٦ر٣٧ سم٢) فتقاربت المساحات لاشهر آب ، نيسان ، وايلول وهي في نصف الكرة الشمالي حيث تبتعد الارض عن الشمس وتباعدت تلك المساحات في الاشهر الاخرى في نصف الكرة الجنوبي حيث تقترب الارض من الشمس ؟!

جدول (٣)

المساحات الشهرية (سم ٢) لما مسحته الارض في دورانها حول الشمس من قطاعات مختلفة جاءت في الاشكال ١ ، ٣ ، ٥

الشهر	المساحات الشهرية/سم٢ للقطاعات الواردة في الشكل ١	المساحات الشهرية/سم٢ للقطاعات الواردة في الشكل ٣	المساحات الشهرية/سم٢ للقطاعات الواردة في الشكل ٥
كانون الثاني	٠ر٨	٩ر١٣	٦ر١٠
شباط		٩ر١٣	٩ر٢٥
اذار	-	٩ر٢٩	٦ر٤٠
نيسان		٩ر٣٧	٥ر٣٦
مايس		٠ر٣٢	٢ر٢٥
حزيران	٨ر١٥	٧ر٣٣	٩ر١٢
تموز	٨ر١٥	٦ر٣٤	٠ر٢٣
اب		٤ر٥٥	٦ر٣٧
ايلول		٣ر٤٧	٢ر٣٨
تشرين الاول		٩ر٢٨	٥ر٣٢
تشرين الثاني		٤ر١٦	٠ر١٦
كانون الاول	٠ر٨	٧ر١٦	١ر٤

نستنتج من كل ما سبق الاتي :

١ ــ ان التدرج في زيادة اطوال المسارات الشهرية كلما اخذت الارض

بالاقتراب من الشمس نحو شهري كانون الاول وكانون الثاني لم يتحقق ، فاوجدت تلك المسارات المختلفة مساحات مختلفة في مدار الارض حول الشمس .

٢ ـ لم تتطابق المساحات في الاشكال (١ ، ٣ ، ٥) التي وردت اقيامهما في (الجدول ٢) .

٣ ـ لم تتطابق المساحات لاشهر كانون الاول/كانون الثاني مع مساحتي شهري حزيران/تموز في (الشكل ١) الذي اعتمدناه اساسا في هذا البحث .

٤ ـ ان ما تمسحه الارض في دورانها حول الشمس من مساحات شهرية بعد الثالث من كانون الثاني تكون اكبر مما عليه في كانون الاول او الثاني كما هي الحال في شهري اذار ونيسان او حينما تزال الارض بعيدة عن مركز الشمس في شهري آب وايلول . (الجدول ٢) .

٥ ـ تطابقت الاشكال في قصر مسار شهري حزيران وتموز واحتلالهما المرتبة ١١ او ١٢ ضمن مراتب اطوال المسارات الشهرية (جدول ١) التي رسمت اشكالا مختلفة لمساحات مختلفة .

٦ ـ تطابقت الاشكال وتحقق منها مضمون قانون كبلر الاول من ان كل كوكب سيار يدور حول الشمس في مدار اهليليجي ـ بيضي . ELLIPTIC .

٧ ـ واخيرا لم تتطابق (الاشكال ١ ، ٣ ، ٥) فيما رسمته حركة كوكب الارض حول الشمس من مساحات متساوية فلم يتحقق منها قانون كبلر الثاني ، الذي تحقق ان الارض في دورانها حول الشمس تمسح اشكالا هندسية بمساحات مختلفة تقطعها في اوقات متساوية .

المصـــــادر

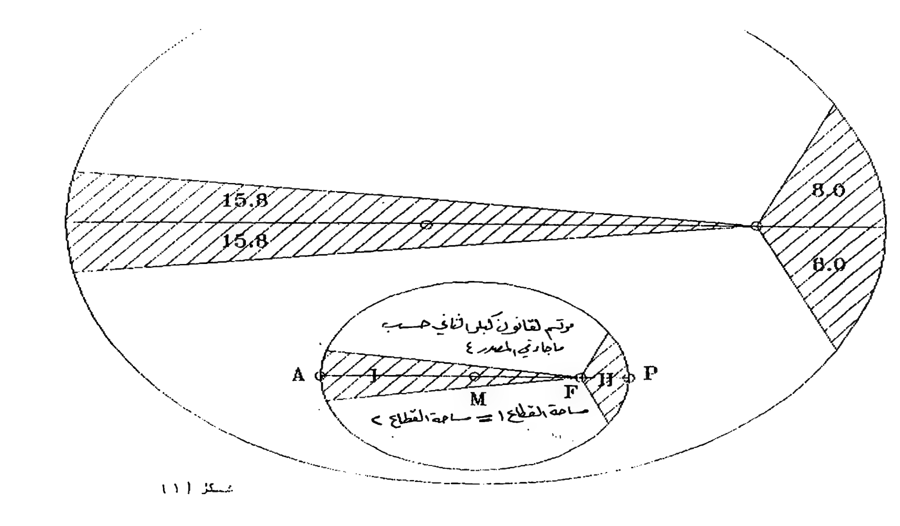
١ ـ احمد زكي ، مع الله في السماء ، القاهرة : دار الهلال .

٢ ـ علي عبدالكريم علي ، علم الجغرافية الطبيعية ، البصرة : دار الطباعـــة الحديثة ، ١٩٦٩ .

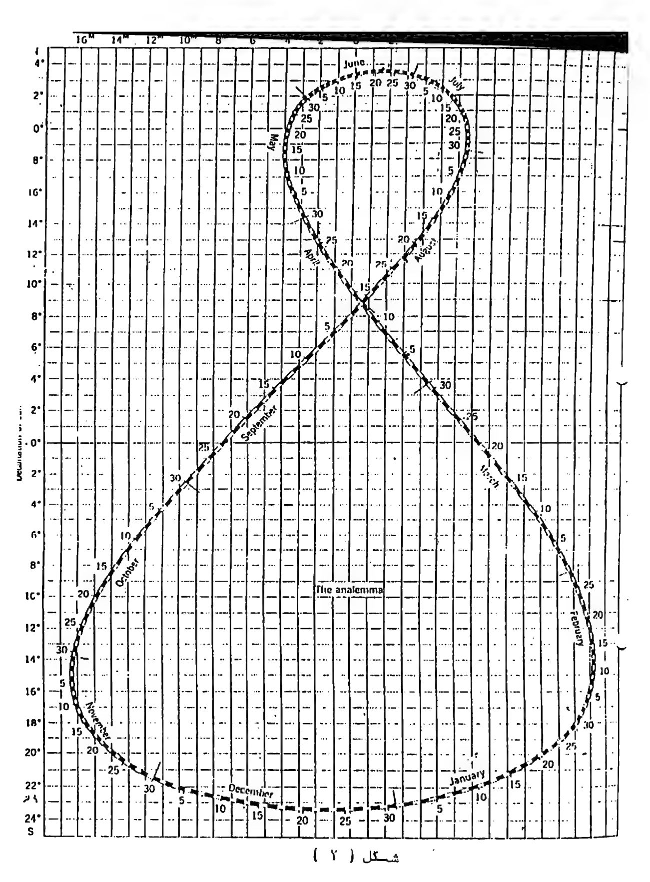
٣ ـ ماجد السيد ولي محمد ، حركة الشمس الظاهـرية في مدينة البصـرة ، دراسة ميدانية تحليلية ، مجلة المجمع العلمـي العراقـي العـدد ٤٥١٣ بغداد : ١٩٩٨ .

4. Ake wallem quist the penguin, Dictionary of Astronomy, Great Britian : 1966.

5 - AN. Strallar, physical Geagraphy, U.S.A : 1963.

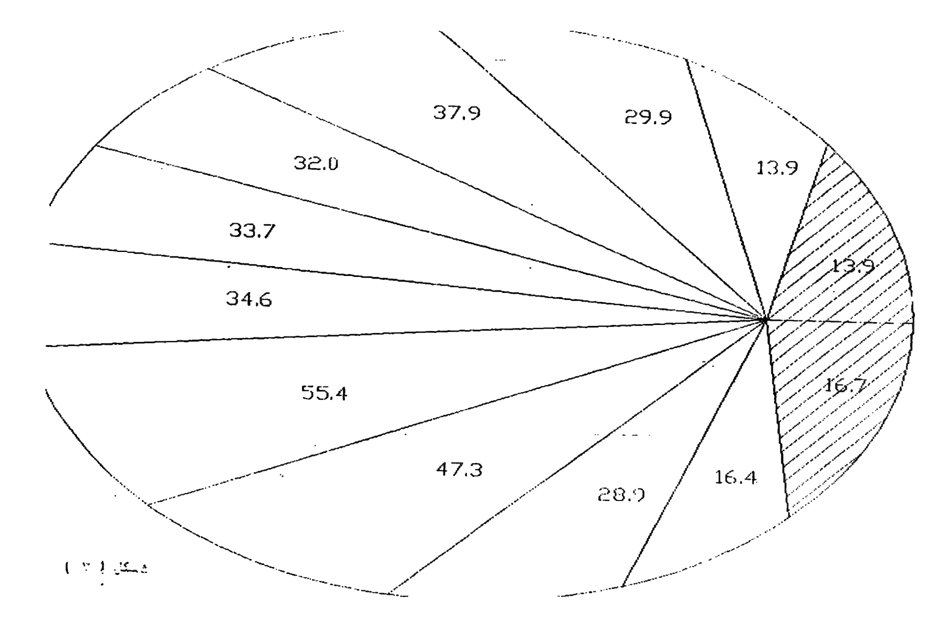

15.8
15.8
8.0
8.0
مرسم لقانون كبلر الثاني حسب
ماجاء في المصدر ٤
A
I
M
F
H
P
مساحة القطاع ١ = مساحة القطاع ٢

شكل ١١١



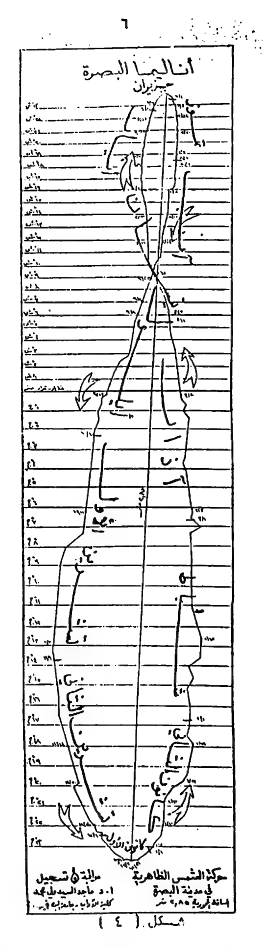
شــكل (٢)

الاناليمــا الشمسيـــة



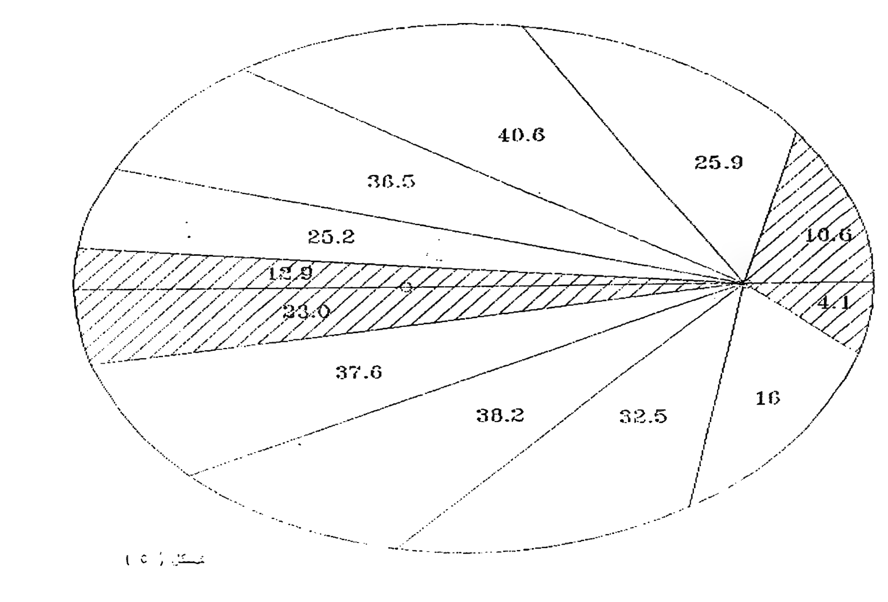
شكل (٣)




أنالیما البصرة
حزيران
كانون الأول
حركة الشمس الظاهرية
في مدينة البصرة
موالية و تسجيل
ا.د. ماجد السيد ولي محمد

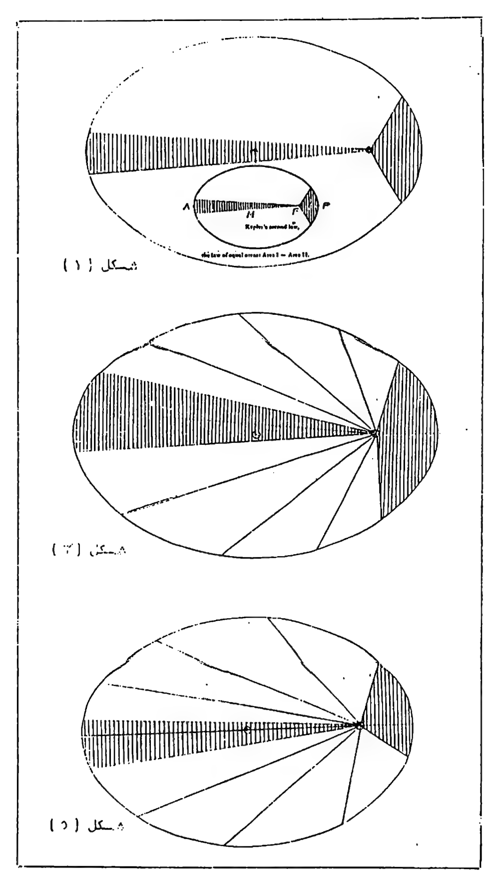
شكل (٤)





شكل (٥)





شكل (١)

شكل (٣)

شكل (٢)

شكل (٤)

اللغــة البربريــة
لغة عربيّة قديمة(*)

القســم الثانــي

محمد المختار العرباوي

الملخــص

النتائج التي يمكن التوصل اليها من خلال المعلومات الاثرية وغيرها كانت مهمة في التأكيد بوضوح على أن البربر هجرات وعلى أنهم اضافة الى معطيات اخرى ـ من منبت شرقي • وما دام الامر كذلك فلابّد أن نجد في اللغةالبربرية وأسماء الاعلام ذات الماضي العريق وفي غيرهما من الجوانب الاخرى مايثبت ذلك ويقطع به •

ومن الحقائق المسلمّ بها في مثل هذه الدراسات ، اعتبار الادلة اللغوية من افضل الاساليب وأوضحها لاثبات ما بين الشعوب من علاقات ثقافية وصلات نسب ، ولــذا فنحن مدعــوون الى الخوض في هــذا الموضــوع معتمدين على منجزات علم اللّغة المقارن وعلى ما توصل اليه من معلومات وحقائق لغوية في مجال الدراسات البربريّة وعلاقاتها باللغات العربية القديمة • وفي الاثناء سيرد استعمال «اللغة البربرية» أكثر من استعمال «اللغة اللوبية» لان هــذه الاخــيرة وان كان لفظها « اللوبي » قديمــا فليس له من الشيوع ما للفظ « البربر » •

(*) هذه الدراسة الثانية تحمل نفس عنوان الدراسة السابقة المتعلقة اساسا بالمقارنة بين البربرية والاكدية .

في البحث الحامل لعنوان : في جـذور المسألة القوميـة : البربر عرب قدامى (*) أكدت النتائج المتوصل اليها على مختلف المستويات ، أن اللغـة البربرية ، لغة عربيّة قديمة وأن البربر ماهم الا عرب قدامى ، قدموا الـى المنطقة على مراحل منذ حوالي ٥٠٠٠ سنة ق م • حاملين معهم تنوعهم اللغـوي والكثير من عاداتهم وثقافتهم الشرقية العريقة • ومن الأدلة على تجليات هـذه الحقيقة ، هذا المبحث المنصب على تحديد مابين العربية والبربرية من سمات لغوية مشتركة ، فالمطلع على البربرية بمختلف لهجاتها يدرك تماما مدى تأثرها الواسع العميق بالعربية الى درجة أن هذا التأثير غير كثيرا من سماتها وجعلها تختلـف بدرجة أو بأخرى عما كانت عليه في العهود القديمة •

فهذه المسألة من الوضوح بمكـان ، وقد أكدها الباحثون على اختلاف مشاربهم ، فدائرة معارف «يونيفر ساليس» تقر بأن « كل اللهجات البربرية باتت مطبوعة بطابع العربية »•[1]

وعثمان سعدي يقول : « والحقيقة أن هذا الطابع العربي لم يشمل فقط المفردات اللغوية وانما يشمل التركيب اللغوي والقواعد النحوية والصرفية أيضاً والإشتقاقية »•[2]

ولا ينبغي أن يفهم من هذا أن البربرية في الأساس لها تكويـن لغوي مختلف كالفرنسية مثلا ــ أثرت فيه العربية وغيرت نظامه وبنيته ، اذ أن البربرية

(*) لصاحب هذه الدراسة منشورات المجلس القومي للثقافة العربية ١٩٩٣ .

(١) مجلد ص ١٧١ . Encyclopaedia universalis, Paris 1981

(٢) عروبة الجزائر عبر التاريخ ــ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٨٢ ص ٤٤ .

والعربية متشابهتان في النظام اللغـوي العـام ، وهذا ما جعل ميشوبيلار Michaux Bellair في محاضراته " Conférences " يقـول :

«إن قواعد النحو البربري قريبة من القواعد العربية»[٣] .

أما السوسي فقد تحدث عن هذا التأثير في مجال المفردات ، وعما بين العربية والشلحية من تشابه في مخارج الحروف .[٤]

وما ذكره سعدي والسوسي يعد من أبرز الشهادات التي يعتمد عليها في هذا الموضوع لا لكونهما مطلعين على العربية ومتضلعين منها فحسب وإنما لأنهما أساسا بربريان عليمان بحكم معارفهما اللغوية المتنوعة بأوضاع اللغة البربرية ومكوناتها فالأول (شاوي) من شرق القطر الجزائـري والثانـي (شلحي) من الجنوب الغربي للقطر المغربي .

يضاف الى هذا ماتأخذه من كلام « روسلر »الخبير في اللغـات العربية القديمة من أن نسبة تأثير العربية في القبائلية تقارب ٧٥٪ .[٥]

ويتضح هذا التأثير في مناحي مختلفة من مكونات اللغة البربرية الى حد استعمالها لعبارات تكاد تكون عربية صرفة مثل :

---

(٣) الحسن السائح : الحضارة المغربية عبر التاريخ ـ دار الثقافة ـ الدار البيضاء ١٩٧٥ ج١ ص:٥٠ .

(٤) تأثير العربية في اللهجة الشلحية ـ مجلة اللسان عدد ٢ ـ سنة ١٩٦٥ ـ الرباط ـ ص:٣٢ .

(٥) ص:١٢٦ ـ

Rossler : Der Sermitische charakter libyschen in ZA, 50, Leipsig, 1952

(السمات السامية في اللغة اللوبية) .

« أبابا حنيني ما أكبر ايخفنس »[٦] أي ما أكبر رأسه ، ايخف : رأس ، فقد استعملت هنا صيغة التعجب العربية من الفعل لثلاثي بالاستعمال العربي الصميم نفسه ، والسين في ايخفنس ضمير للغائب •

وجاء في مقال السوسي أن الشلحيين « ربما شلحوا جملة عربية تامة كقولهم : ماذا تريد ؟ «مازا كاتتك أرياتا ؟» وانه «قلما تكون جملة أو جملتان متصلتان من الشلحية الا وتجد فيها اثرا من العربية»[٧] •

ومن الواضح أن هذا التأثيرالواسع كان أساسهالنقل والاحتكاك والظروف التاريخية التي جمعت بين اللغتين منذ ما يزيد عن ثلاثة عشر قرنا ونصف •

وبناء على هذا فان المشابهات اللغوية العضوية الموجودة بينهما لايمكن حسب مزاعم الاقليمين وأعداد الانتماء العربي أن يتخذ دليلا على الاصل العربي القديم (السامي!!) للبربرية اذ شأنها في هذا شأن لغات أخرى فيبيئات أخرى كالسواحلية والفارسية والتركية والأردية • فهذه اللغات وان تأثرت الى حد كبير بالعربية فاق في بعضها نسبة ٥٠ ٪ فانها من حيث القرابة اللغوية لاتنتمي الى العربية وانما الى مجموعات لغوية اخرى ذات أصل مختلف وقد تبدو هذه المزاعموجيهة الا أن ما يجب توضيحه هو أن ماتجه الى دراسته لايتعلق بهذا التشابه الحاصل بسبب النقل والاحتكاك منذ مجيء العرب المسلمين وانخراط شمال افريقيا في بوتقة الحضارة العربية الاسلامية وانما اتجه الى ماهو أقدم من ذلك ويعد من خصائص اللغة اللوبية القديمة ومكوناتها بقطع النظر عما يكون للغة الفينيقية من تأثير سابق في هذا المجال •

---

(٦) نقل هذا المقال عن عثمان سعدي : عروبة الجزائر ... ص:٥٤ •

(٧) تأثير العربية في اللهجة ... المصدر المذكور سابقا ص:٣٣ •

فالمقارنة هنا ليس لها مايبررها فحسب باعتبارها تستند الى أساس منهجي سليم يساعد في التوصل الى بعض الحقائق ، ولكن أيضا لما لها من الأهمية في دحض واسقاط مزاعم الاقليميين والانفصاليين والواقعين في حمأة الاستعمار الثقافي •

والمقارنة المزمع اجراؤها تتعلق بجوانب هي من صميم بنية اللغة البربرية ونظامها الخاص • والمعروف أن مايميز اللغات عن بعضها : بنيتها ونسقها وأشكال صيغها ونظام بدايتها ولواحقها وتراكيبها فاذا ماتشابهت بعض اللغات في مثل هذه الخصائص فذلك دليل أكيد على أنها من أصل واحد ومجموعة لغوية واحدة • وقد رأينا جانبا من هذا في الفصل السابق من حيث مشابهة البربرية للاكدية وحتى لغيرها (النظام الصوتي والصرفي •••) وما نذكره الأن خاص بأوجه الشبه بين العربية والبربرية • وقد نشير الى بعضها ان توفرت لنا معلومات عن وجودها في لغات أخرى ونسوق فيما يأتي ماأمكن حصره من أوجه التشابه اللغوي :

أولا الجمع : يوجد في العربية الفصحى ثلاثة جموع هي : جمع التكسير وجمع المؤنث السالم وجمع المذكر السالم • وقد عرفت هذه الجموع في اللغات العربية القديمة ، فقد كشف البحث اللغوي المقارن عن وجودها في اللغات العربية الجنوبية القديمة وفي اللغات الحبشية •[٨]

أما اللغات العربية الشمالية القديمة فقد ذكرت بعض الدراسات وجود جمع السالم فيها •

وعموما فظاهرة جموع التكسير وجموع السلامة تعد من الخاصيات اللغوية • التي تمتاز بها اللغات العربية القديمة والعربية الفصحى عن سائر اللغات الأخرى ، وبالاطلاع على البربرية في هذه الناحية وجدناها تمتلك هذه الجموع •

---

(٨) من مذكرات مدونة اثناء الدراسة : بجامعة القاهرة .

١ ـ جمع التكسير

وهو أوفر الجموع في العربيـة وأكثرها أصالة فله ـ حسب بعض الدراسات ـ «أكثر من أربعين صيغة يتحول فيها شكل المفرد تحولا جذريا الى صيغ جديدة»(٩) ويذكر غيره أن «أوزانه كثيرة تجاوز الثلاثين»(١٠) .

ونجد هذا الجمع في البربرية يفـوق في كثرته العربية لكونه الجمع الاساسي ومن الامثلة على ذلك :

المفـرد	الجمـع		
ثِزِزْويثْ	ثِزِزْوَى	نحله	مؤنث
اجِدَرْ	اِجْدَار	عقاب	مذكر
أثَرْ	اِثْرَارْ	بيدر	مذكر
أمْدُكّلْ	اِمْدُكّلْ	صديق	مذكر
أغْيُولْ	اِغْيَالْ	حمار	مذكر
أجْحِيحْ	اجْحَاحْ	جحش	مذكر
لَمْدَكْ	لَمْدُكّث	قضيب ـ سيخ البندقية المدك	مذكر
ثَمَارِثْ	ثِمِيرَى	لحيه	مؤنث
ثَبَرْدْوُعَثْ	ثِبَرْدِيَاع	بردعة ، قتب	مؤنث
دَحَتْ	ثِدُحَاحْ	سوار من فضة	مؤنث
فَرْكَهْ	فَرَاكِي	خوشنة	مذكر
تَشَاشِيتْ	تِشُوشَايْ	شاشية	مؤنث

(٩) حجازي محمود : اللغة العربية عبر القرون ـ سلسلة المكتبة الثقافية عدد ١٩٧ دار الكاتب العربي ـ مايو ١٩٦٨ ـ القاهرة ص ٤٩ .

(١٠) ـ د. عبدالمنعم سيد عبدالعال : جموع التصحيح والتكسير في اللغـة العربية مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٧٧ ص٣٥ .

ونلاحظ أن التكسير في هذه الجموع قد جرى على غرار التكسير في العربية وذلك من حيث تغير بناء المفرد فيه حسب الحالات الاتية :

ــ بتغيير الحركات فقط: أمْدَكَّلْ ــ إِمْدُكَّال في حالات من نطق البعض.

ــ بتغيير الحركات مع زيـادة حرف أ و أكثر : اَجدَرْ ــ اِجْدَارْ .

ــ بتغيير الحركات مع حذف بعض الحروف : ثَمَارثْ ــ ثِميرَى

ــ بتغيير الحركات مع الحذف والزيادة : تَشَاشِيتْ ــ تِشُوشَايْ .

ومما هو لافت للنظر هو أن التشابه بين البربرية والعربية في جمـع التكسير لايقتصر على السمة العامة المميزة له (تغيير بناء المفرد فيه) فحسـب وانما يشمل أيضا بعض صوره وتفريعاته كما هو الحال في ذلك النوع مـن جموع الكثرة المختوم بألف ونون .

ففي العربية هناك جانب من الاسماء يجمع على فعلان (ما كان مفـرده على وزن فُعَال ، فُعَل ، فُعْل ، فَعَل) مثل :

غلمان ، جرذان ، حيتان ، تيجان .

وجانب اخر يجمع على فُعْلان (ما كان مفرده على وزن فَعْل فَعَـل ، فَعِيل) مثل : ظهران ، بلدان ، كثبـان .

وفي البربرية نجد هذا النـوع من الجمـوع المختوم بالالف والنون وبقطع النظر على علاقته بمفرده ، وهو واسع الانتشار ــ كما في العربية ــ ومن الامثلة على ذلك :

المفرد	الجمع		
ايلف	ايلفان	خنزير	خنازير
اَلْغَمْ	الغمان	جمل	جمال
اِيـزي	اِيزان	ذبابة	ذباب
اِثْري	اِثْرَانْ	كوكب	كواكب
اهردون	اهردان	بغـل	بغال
اَسْ	أسانْ	يوم	أيّام
بِيـرْ	بِيرَانْ	بئر	ابار

وفي الأكدية نجد أيضا نظيرا لهذا الجمع المختوم بالالف والنون من ذلك مثلا :

صَلمُ ـ صَلمانُ : تمثال ـ تماثيل
بيتُ ـ بيتانُ : مسكن ـ مساكن
كلبُ ـ كلبانُ : كلب ـ كلاب
شَرُّ ـ شرّانُ : ملك ـ ملوك

وبما أن اللّغة البربريّة قديمة فهذا يعني أن جمع التكسير من أقدم الجموع التي عرفتها اللغات العربية القديمة عموما ، إذ هو بالأساس جمع غير قياسي يتماشى وجوده مع طبيعة المرحلة الأولى لتكون اللغة وما فيها من اضطراب وتداخل في الظاهرات اللغوية ، وهذا ما ورثت العربيـة شيئا منه بدليل كثرة صيغ التكسير فيها الأمر الذي يدعونا الى أن ندرسه من جديد وبشكل أدق في اطار هذا الواقع اللغوي القديم الذي نبتت فيه عربية القرآن والذي تعد البربرية جزءا منه •

٢ ـ جمع المؤنث السالم : وهو جمع قياسي نجد نمـاذج منه في البربرية من مثـل :

المفـرد	الجمع	
رمت	رَمَّـات	هيكل الحيوان
هَدَيتْ	هَدَيات	الهديّة
بجاوْرَت	بجورات	وبر ، حشو ، لبدة
تَمَاق	تمقات	لباس للرجل

وقد يظن بعضهم أن طريقة الجمع هذه منقولة عن العربية والراجح أنها طريقة بربرية في صياغة نوع من الجموع بدليل ما ذكره ابن خلدون عرضا في أثناء الحديث عن قبيلة لواته حيث قال :

« البربر اذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف والتاء فصارت « لوات » فلما عربته العرب حملوه على الافراد وألحقوا به هاء الجمع »[11]

ويؤكد عثمان سعدي الشاوي أن جمع المؤنث السالم موجود في البربرية ويضرب على ذلك مثلا بكلمة « الخلاث » (النساء) والثاء هنا للتأنيث •

والملاحظ أن جمع المؤنث السالم ليس كثيرا اذ الكلمات المؤنثة تجمع عادة وغالبا جمع تكسير ممزوجا ببعض خاصيات جمع المذكر السالم كما سنرى•

٣ ــ جمع المذكر السالم : وهو أيضا جمع قياسي ، له في العربية صيغتان تنتهي بالواو والنون في حالة الرفع ، وصيغة تنتهي بالياء والنون في حالتي النصب والجر ، ويكون أساسا للعاقل •

أما في البربريةفلم يكن بهذه الصورة القياسية المتطورةكما فيهذهالأمثلة:

	المفرد	الجمع	
	أرْقَارْ	اِرْقَازِن	رجل
	أنْزَادْ	اِنْزَادِنْ	شعر
١ ــ	أغِيلاَسْ	اِغيلاَسن	نمر
	أفُولُوسْ	اِفُولُوسَن	الديك
	اِيزِمْ	اِيزْمَاوْن	نمر
٢ ــ	اِيخَفْ	اِيخَفَاوْن	رأس
	أمنَغِي	اِمِنْغِيوَن	معركة
	اِسْمْ	اِسْمَاوْن	اسم
	ثِنزَرَثْ	ثِنزَرِينْ	منخر
٣ ــ	ثَوْثَمَثْ	ثِوْثَمثِين	أنثى
	تَفَحَابَثْ	تِفَحَابْثِين	تفاحة
	ثِكَرَثْ	ثِكَرْثِينْ	حقل

(١١) ابن خلدون ــ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ... دار الكاتب اللبناني بيروت ١٩٥٩ ج٦ ص : ٢٣٥ .

فالنون في « أَرْفَازِنْ أو إِرْكازِنْ » هي من غير شك النون المعروفة في جمع المذكر السالم ، وكذلك في بقية الأمثلة الأخرى •

كذلك الواو والنون في المجموعة الثانية والياء والنون في المجموعة الثالثة : فهي من سمات جمع المذكر السالم لورودها في صيغة الجمع وخلو المفرد منها •

ونسجل فيما يأتي الملاحظات الآتية :

الأولى : أن صيغا كثيرة لهذا الجمع لم يتكسر فيها بناء المفرد على غرار جمع السالم في العربية باستثناء تغيير طفيف يتمثل في كسر أول الكلمة :

أَرْكَازْ	إِرْكَازِنْ
أَغيلاَسْ	اغيلاسن
تِكَرَثْ	تِكَرْثِينْ

وهو أمر أساسي في غاية من الأهمية في تتبع تطور مراحل هذا الجمع •

الثانية : وهو أن الواو في « اسماون» يمكن اعتبارها أصلية (لام الناقص) • ولكني أرجح انها واو الجمع ، وان لام الكلمة حذفت كما في العربية من مثل :

الرامي ــ الرّامون
الداعي ــ الداعون
على وزن الفاعل ــ الفاعون

وبناء علىهذا فوزن «إِسْمَاوْنْ» على إِفْعَاوْنْ

ويتبين من هذا أن الواو الدالة على الجمع قديمة في البربرية كما هو في هذه الأمثلة المتقدمة وغيرها ، والواو بصفة عامة هي أصل علامة الجمع في اللغات العربية القديمة •

الثالثة : ان جمع السالم في البربرية يستعمل للعاقلولغير العاقل على حد سواء بخلاف جمع السالم في العربية فهو للعاقل وما ورد على عكس ذلك فهي كلمات قليلة لا يعتد بها •

الرابعة : ان هذا الجمع فيه ما في جمع التكسير من الزيادة والنقص في الحروف والتغيير في الحركات : ايخَف - ايغفاون الى اخره •
الخامسة : هناك بعض الكلمات لها جمعان مثل :

ثيكَّلْتْ : ثيكَّلتين ،ثيكال - مرّة
ثينْزَرْتْ : ثينْزَرين ، ثينْزار - منخر

فالأول من قبيل جمع المذكر السالم لاشتماله على الياء والنون والثاني جمع تكسير كما هو واضح من بنائه • والذي نستنتجه من الملاحظة الثالثة والرابعة والخامسة هو أن جمع المذكر السالم في البربرية غير ناضج بالصورة التي هو عليها في العربية من حيث التميّز والمواصفات الخاصة : إذ هو نتاج مرحلة قديمة غير متطورة ما تزال البربرية تحتفظ به على الرغم من طول العهد •

ونجد في العربية بقايا هذه الظاهرة حيث احتوت كتب اللغة العربية على عدد من الكلمات جمعت جمع المذكر السالم وأحيانا جمع تكسير وغالبيتها لغير العاقل من مثل :

أهل	أهلون وأهلين	- آهَال" وأهالٍ
عالم	عَالَمون وعالمين	- عَوَالِم ، عَلالِم
أرض	أرضون وأرضين	- أراض ، أروض ، آراض

الكلمات بالنطق الحميري والعربي		الكلمات البربرية	
تهامت	تهامة	تيارات	مكان
ربيعت	ربيعة	يطوفت	قبيلة
حبشت	حبشة	توات	قبيلة
كندت	كنده	تاهرت	مدينة
عربيت(*)	عربية	تاقزوت	مكان

(*) جاء في الخصائص لابي جني ان احد الملوك ظفار قال لعربي لايعرف الحميرية : ثب ، وثب الحميرية اجلس ، فوثب الرجل فانقدت رجلاه ، فضحك الملك وقال ليس عندنا عربيت - ج٢ ص : ٢٨ .

يَمْنَتْ أو يمنات (منطقة في اليمن) تامسلت : مكان

تكريت : (على دجلة يسكنها بنو اياد : مكان
قبل الاسلام)

تاروت : (مكان بالخليج) تاروت : مكان

ومما يدل على أصالة هذه الصورة اللفظية للتاء المفتوحة وجودها في غير الحميرية ، وعلى سبيل المثال توجد :

١ ــ في الرسم القراني الذي جاءت فيه بعض الكلمات بالتاء المفتوحة مع أنها مربوطة مثل امرأة ورحمة وغيرهما كما في هذه الآيات :

«وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها ...»

الآية ٣٠ سورة يوسف

«ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وأمرأت لوط كانتا تحت عبدين...»

الآية : ١٠ سورة التحريم

«... أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم»

الآية ٢١٨ سورة البقرة .

«... ان رحمت الله قريب من المحسنين» .

الآية ٥٦ سورة الأعراف

٢ ــ الكتابات البردية العربية التي استعملت في أوائل الفتح الاسلامي لمصر ، كتبت فيها التاء المربوطة تاء مفتوحة ومن الأمثلة على ذلك[١٢] .

سنت	بدل	سنة
امرات	بدل	امرأة
ابنت	بدل	ابنة
المسمات	بدل	المسماة

(١٢) د. احمد عبدالمجيد هريدي : الدراسة التي جاءت في تحقيقه لكتاب : المذكر والمؤنث لابن التستري الكاتب ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ١٩٨٣ ص ٢١ .

وهكذا ، فما ذكر في الحميرية والرسم القراني والكتابات البرديـة ماهو الا مظهر من مظاهر الترابط اللغوي بين اللغة البربرية والواقع اللغوي القديم للمنطقة العربية بكاملها .

ونضيف الى التأنيث بالتاء حالـة التأنيـث التي يكون عليها الفعل في البربرية مع المفردة الغائبة ، والعربية التي تفرق بين الماضي والمضارع تؤنـث الفعل بالتاء على هذه الصورة :

نامت — تنام

أما البربرية فتستعمل التاء كالعربية ولكن في الأول مثل :

تَطَّسْ : نامت

تَشَّمَلْ : كمّلت ، تمت

تَقَيِّم : قامت

ونستعمل ايضاً الهاء في اول الكلمة

هَطَّسْ : نامت

هَيَّلْ : تبكي

هَدَّلك : تعجن

ونجد هذه الهاء في الاسم أيضا ، اذ نجد الشاوية (شرقي الجزائـر) يقولون للنعجة «هيخسي» بينما تنطـق في جهـات أخرى بالتاء «تيخسي» (الأطلس الأوسط) والهاء كما هو معروف تقوم بدور التأنيث ففي العربيـة عند الوقوف نقول نعجة بالتاء ونعجه بالهاء .

والتأنيث بالتاء ظاهرة لغوية شائعة في اللغات العربية القديمة نجدهـا في الأكدية مثل :

كَلبُم ، كَلِبَتُم = (Kalbatum ; Kalbum) كلب ، كلبة

مَارُمْ ، مَارتُمْ = (martum ; marum) ابن" ، ابنة"

بيلم ، بيلتم = (beltum : be!um) سيد" (بعل) ، سيدة" .

الميم من اللواحق المعروفة في الأكـدية القديمة وتأتي حتى بعد علامات الإعراب •

ونجد التاء في المصرية القديمة ، الهيروغلوفيـّة مثل :

سِتْ (St) : امرأة ويقابلها « س » للمفرد المذكر وكلمة « ست » معروفة في العربيـّة وذكرها المعري سنت (Snt) = أخت ، يقابلها «سن» (Sn) = أخ

نفرت (nfrt) = جميلة ، يقابلها « نفر » (nfr) = جميل •

ونجدها في الحبشية مثل : رست : ميراث • هبَت : هِبة • النطق بالتاء كالحميرية واللغات اليمنية القديمة التي هي احدى فروعها •

أما التأنيث بالتاء فهو كثيرفي البربرية ويستعمل للتفريق بينالمذكروالمؤنث مثل : أمْغَارْ مؤنثها أمْغَارث عجوز ــ عجوزة

وللتأنيث عامة كهذه الأمثلة :

الخلاث : النساء

الخلالث : الخلالة التي تستعمل في النسيج

أقشابيث :القشابية

النازيث : الهضبة القليلة الارتفاع

ايملحفث : الملحفة

اسويرث : القميص (السورية)

وترد الثاء في الأول أحيانا :

ثلاَوين : النساء

ثَسَـى : كبـد

وأحيانا في الأول والاخر :

ثلميمث : لقمة

ثوثمنت : أنثى

ثغردمث : عقرب

ثِعَموطْتْ° : بطن

ثنزرث : منخر

وقد تجتمع مع التاء كما في

ثَلَّسْتْ° : الطيلسان ، الظلمة

ثِكَّلْتْ° : مرة

وما هذا التداخل الا من بقايا المرحلة القديمة ، فتبادل الحروف المتقاربة من الظواهر اللغوية الشائعة في اللغات العربية القديمة ، حيث تستعمل بعض الحروف مكان بعض الحروف الاخرى سواء بحكم الانتساب الى مخرج واحد أو بحكم المجاورة فيه أو غير ذلك من قوانين تطور الأصوات والتبدل في أوضاعها ، وفي العربية طائفة من الكلمات التي حلت فيها التاء محل الثاء فيقال :

تَيْتَل	بدل	ثيتل
يترب	بدل	يثرب
تُفْل	بدل	ثُفْل

ويقال للطفل اذا نبتت أسنانه بعد السقوط مثغور بالثاء والتاء[١٣]

ونقل عن أهل خيبر أنهم ينطقون الثاء تاء ومن المحتمل أن بني ربيعة كانوا يفعلون الشيء نفسه[١٤] .

والأراميون يبدلون الثاء تاء فيقولون : تور بدل ثور .

ونجد في احدى لهجاتهم المتبقية بشرقي لبنان حاليا (قرية معلولة) تؤنث بالثاء في بعض الحالات من مثل :[١٥]

---

(١٣) ــ د. أنوليتمان : بقايا اللهجات العربية في الادب العربي ــ مجلة كلية الاداب ــ جامعة القاهرة ، مج ١٠ الجزء الاول ــ ماي ١٩٤٨ ص : ١٧ .

(١٤) الثعالبي ابو منصور عبدالله ــ فقه اللغة ــ المكتبة التجارية الكبرى بمصر ــ بلا تاريخ ص : ١٤٢ .

(١٥) ــ د. أنوليتمان : بقايا اللهجات ... المصدر السابق ص : ١٧ .

بسونا ــ بسنيثا ــ صبي ــ صبية (بنت)
كما ينطق : بيث بدل ــ بيت .(١٦)

ثالثا ــ حروف « انيت »

وهي الحروف التي تستعمل في صياغة المضارع في العربية . يذكر عثمان سعدي أنها مستعملة في البربرية كما في هذه الأمثلة :(١٧)

أخسا أضَطْسَغْ	أريد أن أنام
يالله انطّس	هيا ننام
اخسا ايطّسْ	يريد أن ينام
اخسا اتطّسْ	تريد أن تنام

فالمادة الأصلية للفعل هي : (ط.ط.س) وقد سبقت في الأمثلة الاربعة بحروف « أنيت » الهمزة والنون والياء والتاء .

ويذكر عثمان سعدي أن الهمزة السابقة للنون والياء والتاء هي همزة وصل ويعدها سمة أخرى تشترك فيها البربرية مع العربية .

والملاحظ هنا أن هذه الحروف لايختص بها المضارع في البربرية كما قد يتبادر الى الذهن ، لأن الماضي والمضارع لايختلفان في هذه اللغة كما تقدم لنا .(١٨)

رابعا ــ فعل الامر

يظهر التشابه جليا بين اللغتين في فعل الأمر حيث تستعمل كل منهما همزة الوصل بالطريقة التي تستعملها الأخرى . وذلك عندما يكون الحرف الأول الأصلي في الفعل ساكنا ويتعذر النطق به فيؤتى بهمزة الوصل للتخلص من ذلك .

---

(١٦) الخازن الشيخ نسيب وهبه :من الساميين الى العرب ــ منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٢ ص : ٨٨و٨٩ .

(١٧) عروبة الجزائر . . . المصدر السابق ص : ٤٥ .

(١٨) راجع فقرة «صيغة الفعل في المقارنة بين الاكدية والبربرية»

فيقال في العربية   ويقال في البربرية

اجلس	اكـر : قـم
افتح	اطّس : نم
اُكتب	اسْوْ : اشرب
ادم	اتّشْ : كل

واذا كان الحرف الأول الاصلـي غير ساكـن أي أنه متحرك ـ كما في العربية فيستغني عن همزة الوصل ولا يؤتى بها •

فيقال في العربية   ويقال في البربرية

جَادِلْ	سَوسَم : أسكت
تَعَلَّمْ	رُوحْ : رُحْ اذْهَبْ
قُمْ	قيّمْ : قُمْ

خامسا : الضمائر المتصلة :

توجد في البربرية ضمائر متصلة من نوع الضمائر المعروفة فيالعربية فهناك مثلا :

ـ نون النسوة : الخلاث اطسن = النساء نمن ، فالنون في «اطّسن» نون النسوة ضمير متصل فاعـل •

ـ نون الجماعة : يَمَّاثنَنَغْ = أمّنَا •

فالثاء للتأنيث والنون للجماعة (المتكلم ومن معه)

توجد هذه النون في الأكدية مثل :

بيلن (bélni) سيدنا

نبيرُس(ni - prus)فالنون الضمير جاءتفي أول الفعل = كتبنا • كما توجد هذه النون في اللغة المصرية القديمة مثل :

برن (pr - n) بيتنا

سد منّا (sdm - nn) سمعنا

ـ كاف الخطـاب

بَبَاك : أبوك

يَمّاك : أمّك

مَميّك : إبنك

وهذه الكاف معروفة في الأكدية مثل :

بيلكَ (bilka) سيّدكَ

بيلكِ (bélki) سيّدكِ

ويقول السوسي في هـذا الصـدد : « ومما اتفقت فيه اللغتان كاف الخطاب فانه يستعمل في الشلحية استعماله في العربية»[١٩] .

وتوجد هذه الكاف أيضا في المصرية القديمة مثل :

برك (pr - k) = بيتـك

ضمير الغائـب

من الأشياء اللافتة للنظر هو أن البربرية تستعمل السين ضمير للغائبفيقال:

ـ بَاباَسْ : أبوه

ـ يَمّاسْ : أمّه

ـ يَمّيسْ : ابنه

ـ أَرْكازِيسْ : بعلها ، زوجها (أركاز : رجل)

ويقـال :

يَمّاثْسَنْ : أمهم

مَمّيثْسَنْ : ابنهم

(١٩) تأثير العربية في اللهجة الشلحية ـ مصدر سابق ص : ٣٣ .

فالسين هنا ضمير الغائب والنون علامة الجمع ، وهي كما أسلفنا من عناصر جمع المذكر السالم .

وقد يظن بعضهم أن استعمال « س » بصفته ضميرا الغائب من خاصيات البربرية وحدها ، ولكن الأمر ليس كذلك ، فقد استعملت «س» بهذه الوظيفة في اللغات العربية القديمة .

فهو في اليمنية القديمة «سو» و «سا» وعند بعض اليمنيين الحاليين «س» و «سي» . وهو في المصرية أيضا «سو» و «سي» (sy , sw) .

أما الأكدية فان ضمائر الغائب فيها تبدأ بحرف «ش» كما في هذه الأمثلة:

بيلشُ	bélsu	= سيّده
بيلشَ	belsa	= سيدها
بيلشُنُ	bélsunu	= سيدهم
بيلشنَ	bélsina	= سيدهنّ
ادّنَش	iddinsu	= اعطـاه
أشبرُشُ	Aspursu	= أرسله

وحرف «ش» متقارب مع «س» ومتبادل معه كثيراً .

ويذكر الدكتور محمود حجازي أنّ ضمير الغائب كان فيها « عبارة عن الهاء والهمزة للغائب والسين والهمزة للغائبة » .[٢٠]

لكن بعض الجماعات غلبت بعد ذلك « هاء المذكر على سين المؤنـث واستخدمتها للدلالة على المذكر والمؤنث مع التفرقة بينهما بالحركات أو بالواو أو بالياء أو بالقرائن»[٢١] .

---

(٢٠) من مذكرات مدونة ... المصدر السابق .

(٢١) من مذكرات مدونة ... المصدر نفسه .

كما غلبت جماعات أخرى سين المؤنث على هاء المذكر واستخدمتها في الدلالة على التذكير والتأنيث على حد سواء»(٢٢)

ولذا عدت الهاء في (هفعل) والسين في (سفعل) والشين في (شفعل) والهمزة في (أفعل) بقايا لضمائر الغائب : هي ــ هو ــ سو ــ شو(*)

ولذا فالبربرية وهي شقيقة اللغات العربية القديمة عرفت الضمير (س) واحتفظت به وظلت تستعمله للغائب بصورة متميزة لانفصالها المبكر وانعزالها عن غيرها .

سادسا : تغيير الحركات وعلاقته بالمعنى :

من الموضوعات التي تتشابه فيها أيضا العربية والبربرية التغيير الذي تستعمله كل منهما في الحركات للحصول على معان جديدة ، ففي العربية يقال : مَثَل" ومُثُل" وفَرِح" وفَرَح" ومتقن ومُتْقَن" ولكل كلمةدلالتها التي تختلف فيها عن الاخرى .

. فَمَثَل" مفرد ومُثُل" جمع ، وَفَرِح" صفة مشبهة وَفَرَح" مصدر ومُتْقِن اسم فاعل وَمُتْقَن" اسم مفعول .

وفي البربرية يقال

أمْدَكَّلْ اِمْدُكَّلْ : صديق ــ أصدقاء

يَسُوسَمْ ــ يَسُوسُمْ : سكت ــ يسكت

اِفْرَّس ــ اِفَرَسْ : قصّ ــ يقص

(٢٢) من مذكرات مدونة . . . المصدر نفسه .

(*) استخدمت صيغة (هفعل) في اللحيانية والسبتية واستخدمت (سفعل) في المعينية والحضرمية ــ والقتبانية والاوسانية .
واستخدمت صيغة (شفعل) في الاكدية والسريانية اما صيغة (افعل) فهي معروفة في العربية وبعض اللغات العربية الاخرى القديمة .

وتغيير الحركات للحصول على معان جديدة في ذات الكلمة مـــن الأساليب التي يتميز بها البناء الداخلــي للمفــردات والتراكيب في اللغات العربية .

سابعا : كان ـ ما الاستفهامية :

يذكر السوسي أن الشلحة تستعمل (كا) المفخمة الكاف والمحذوفة النون فيسمع في الشلحه : (كافلان العالم) بتفخيم الكاف في النطق : أي كان فلان عالما ، ملاحظا ان تفخيم الكاف لهجة عربية صحيحة[٢٣] .

والمعروف في العربية وهي في صورتها المتطورة ، أن (نون) كان تحذف في بعض أوجه الاستعمال ، وقد ورد ذلك كثيرا في كلام العرب نثرا وشعرا ومن أمثلة ذلك هذه الآية (ولم أك بغيا) وحذف النون في العربية متعلق بالفعل المضارع المجزوم .

ومهما كانت الاسباب فحذف النون موجود في العربية والشلحية وهو مايجعل منها ظاهرة من ظواهر التكون اللغوي العربي القديم .

وبالنسبة لما الاستفهمامية : فالسوسي يقول أيضا ان الشلحة تستعمل (ما) الاستفهامية مثل العربية ويضرب لذلك هذا المثل :

مازكاتتك ارياتا ؟ ـ ماذا تريد ؟

ثامنا : الاسماء المبدوءة بالتاء والياء :

من اللافت للنظر سكوت الباحثين عن ظاهرة لغوية ـ ثقافية مهمـــة في البربرية ، وهي أن جانبا كبيرا جدا من أسمائها مبدوء اما بالتاء واما بالياء ، ولا نجد نظيرا لهذه الظاهرة من حيث الكثرة والانتشار الا في البيئة العربية ولغاتها حيث تزخر البلاد من أقصاها الى أقصاها بما في ذلك بلاد الحبشـــة بالاف الاسماء من هذا النوع وهو ماجعل منها ظاهرة لغوية ثقافية متميزة .

(٢٣) تأثير العربية في اللهجة ... المصدر المذكور سابقا ص : ٣٣ .

ونقدم فيما يأتي أمثلة لهذين النوعين من الاسماء العريقة :

١ ـ الاسماء المبدوءة بالتاء :

وهي في العادة اسماء قبائل واشخاص وأماكن ومدن منها :

تليلان تكروان
توجين تطوان
تاشفين تمدوين
تدين تومار
تيمعسن تقرنوش
ترعاسن توفارن
تكم ترشيش
تغمت تيزن

وجانب كبير من هذه الاسماء كثيرا ما يكون مختوما بتاء التأنيث أو الزائدة كما في العربية

تاهرت تامكرت
تكرت تفيلالت
تيارت تشلحيت
تكرارت تفشيشت
تافزوت توات
تاته تمصيت
توقرت تاله

ومن الاسماء العربية المبدوءة بالتاء نسوق هذه الامثلة :

تغرمان تميم
تغلمين تيت
تربان تبّت

تدحان تباله
تعشار تمنـه
تسلال تمنع
تفشن تغلب
تبوك تدمر
تعـز

وهذه التاء سماها النحاة واللغويون « تاء الاسمية » سواء كان الاسم مذكرا أم مؤنثا من دون ان ينظروا اليها في اطار اوسع والى ما يمكن ان تدل عليه من خاصيات ودلالات لغوية أخرى •

٢ ـ الاسماء المبدوءة بالياء

وغالبيتها ـ على ما يبدو ـ للاشخاص والقبائل والبطون •

يفـرن يملول
يلول يغمراسن
يصلتين يزناسن
يطوفت يكش
يرنيّان يرغش
يـدر يرهاض
يجفس يغمران
يدفـر يلّل
يصدران يرزو

ومن نظيرتها في العربية :

يـزن يثوبرن
يكرن يفس
يغوث يكرب

يعرب يليل
يقطان يهدل
يمعان يسوع
يربوع ياجج
يثرب يسران
يبرين يتحم
يعثان يكدر

ومما يلاحظ في هذا الصدد :

١ ــ كثرة الاسماء المبدوءة بالتاء والياء في البيئة العربية يدل على أن الأمر نابع من طبيعة التكوين الثقافي واللغوي لا علاقة له بما يحدث اتفاقا في مناطق اخرى ولغات أخرى •

ويكفي أن نذكر قسما من وثائق (إبلا) المسمارية تضمن ١٩٨٥ اسما منها ٣٧٧[٢٤] اسما كانت مبدوءة بالياء • و « إبلا » هذه مدينة اثرية بسورية يعود تاريخها الى اواسط الالف الثالثة قبل الميلاد (٢٤٠٠)ق٠م •

٢ ــ كثرة هذه الاسماء أيضا في البربرية وتشابهها القوي مع أمثالها في العربية ولغاتها القديمة ، حتى انه يصعب التفريق بينها وعلى سبيل المثال فهذه مجموعة من الاسماء : يملول ، يليل ، يعثان ، تعمران ، تكرت ، يرغش ، يكرن ، تغلمين ، تاشفين ، يرهاص ، يمكن اعتبارها بربرية ويمكن ان نعدها عربية لكونها من نسيج متشابه والحال ان بعضها بربري : يملول ، تكرت ، يرغش ، تاشفين ، يرهاص •

وبعضها الآخر عربي : يليل ، يعثان ، يكرن ، تغلمين ، تعمران •

---

(٢٤) أيبلا ــ عبلاء الصخرة البيضاء تاليف مجموعة من العلماء ــ ترجمة قاسم طوير دمشق ١٩٨٤ ــ ص : ١٦٥ •

٣ ـ يتضح من دراسة التاء والياء ومضمون المسميات عامة أو ورودهما في أول الكلمات انما كان لغرض وهو التأنيث والتذكير للتمييز بين مدلولاتها في هذه الناحية وهذا واضح من علاقة التاء بالاسماء المؤنثة تأنيثا حقيقا أو غير حقيقي •

ومن الباحثين كالدكتور كمال الصليبي من يعدّ التاء ضميرا مفردا مؤنثا للغائبة والياء ضميرا مفردا مذكرا للغائب •[٣٥]

وفي هذا أيضا اقرار بأن التاء للتأنيث والياء للتذكير •

تاسعـا : التناسـب :

ظاهرة التناسب بـ (بنو رفعا وبني نصبا وجرا) ظاهرة لغوية واجتماعية في آن واحـد ، وهي من المسائل التي اهتممت بها في مجـرى هذا البحث ، وتوصلت الى أن البربر كالعرب تماما يتناسبون •

فالعرب يقولون مثلا :

بنو تميم ، بنو أمية ، بنو ثقيف ، بنو عبس ، بنو هلال ، بنو عبدمناف ، وكذلك البربر فهم يقولون :

بنو يفرن ، بنو يلومي ، بنو مرين ، بنو يهارسن بنو مرين ، بنو كهلان •

وتصورت في الاول أن البربر قد يكونون تأثروا بالعرب في هذا بحكم المعاشرة وطول الاختلاط ، ولكن ما ان درسـت أصول التنظيـم الاجتماعي للجماعات البربرية حتى أدركت أن ظاهرة التناسب قديمة وأصيلة في هذه الجماعات •

وكان اليعقوبي على حق عندما قال :

« وبطون هواره تتناسب كما تتناسب العرب فمنهم بنـو اللهان ومليلة

(٣٥) التوراة ــ جاءت من جزيرة العرب : ترجمة عفيف الرزاز ــ مؤسسة الابحاث العربية ش • م • م • الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٦ ص : ١٢٤ •

وورسطفة . فبطـون اللهان : بنو درصا وبنـو مزيان ، وبنـو ورفله وبنو مسراتـه ».[٣٦]

وهكذا نلاحظ أن التناسب في البربر ليس مستعارا وإنما هو تابع من طبيعة النظام الاجتماعي القائم على أسرة الأب .

عاشرا ـ سمات مشتركة اخرى :

١ ـ الفعل الناقص :

وهو الفعل المعتل الآخر مثل : رمى ، دعا ، نجد له نظيره في البربرية كما في هذه الأمثلة :

يَسْغَى : اشترى
يَسْنَاوْ : ينضّج الخبز وغيره
يَسْلَى : سمع
يَكْنِي : يرقّع
يَسـو : يسرب

ومن هذا القبيل تلك الكلمات التي تشبه المنقوص والمقصور في العربيّة

إيزِي : ذباب
إيَمطِّي : الدمع
امَنْغِي : المعركة
ازَكَّى : القبـر
اغَرْضَا : الفأر

والفعل الناقص موجود ايضا في المصرية القديمة مثل :

مري (mri) = أحبّ إري (iri) = عمل ـ رشو (rsw) = فرج

---

(٣٦) البلدان : طبع بالنجف ـ بلا تاريخ ـ ص : ٩٩ .

٢ ـ التضعيف : وهو تكرار عين الكلمة أو تجانس العين واللام فيهـا نحو : مدَّنَ أو مَدَّ (أصلهما : مَدْدَنَ ـ مَدْدَ) وهـذا أيضا له نظـيره في البربرية كما في هذه الأمثلة :

يـّـيرَارْ : يلعب

أضَاض : الاصبع

أفـرور : نوع من الخزف الاحمر

أبِزْيز : نوع من الجراد

سـِمـّوم : الحصرم

أَمْرَار : الحبل

وهناك كلمات مثل : وَرْوَارْ(السنبوقة)شبيه بالمضاعف الرباعي:زلزال. وما هو جدير بالملاحظة هو أن البربرية تضاعف فاء الكلمة كما في هذه الأمثلة :

يَطّـس : نـام

لّكّـذْ : يخـاف

يَـرّزْ : كسّـر

اِتّـشْ : كُـلْ

وفي العربية ايضاتكرر الفاء مع الفصل نحو : سلس قلق ، قـرق وهو قليل ولذا قال ابن جنّي « ان تكرار الفاء لم يـأت به ثبت الا في مرمريس » ومثل هذه الحالة نجدها في البربرية اذ تكـرر الفاء في كلمات أخـرى مع الفصل نحو :

سّوسَمْ : اسكت

سَاسْنُو : الْقَطْلَب (نوع من الشجر)

أشاشـو : المكيال (الهمزة زائدة)

٣ ـ القلب المكاني :

يوجد في الصرف العربي ما سمي بالقلب المكاني (نوع من الابدال) وهو احلال حرف مكان آخر من مثل :

قيسيّ : مفردها قوس ، قدمت في الجمع السين على الواو ولذا فوزنه الصرفي : فلوع •

امْضَحَلَّ : بدل اضمحلّ وهي لغة الكلبيين ووزنها : اعفللّ وفي البربرية نجد هذا القلب في بعض الكلمات مثل : تامطّوث : المرأة قدمت الميم على الطاء لانها من طمث وهو الحيض •

ايخْفْ : الرأس قدمت الخاء على القاء لانها من اليأفوخ • والكلمتان من المعجم المشترك لكل من العربية والبربرية •

فاس : المدينة المغربية المعروفة • قدمت فيها الفاء على السين لانها من الكلمة البربرية : أسيف وهو النهر ، وسميت بهذا الاسم لوجود أنهار بالمكان•

٤ ـ استخدام الميم الزائدة :

تستخدم البربرية في كثير من الصيغ (الميم الزائدة) كالعربية في بعض المشتقات وذلك لأداء أغراض مشابهة مثل :

آمحراث (المحراث) : اسم آلة كالعربية تماما في بعض اللهجات
ايملحاف (الملحفة) : اسم آلة كالعربية تماما
اِمكْرَاز (الفلاح) : شبيهة بصيغة المبالغة (مفعال) •

واذا كانت العربية استعملت صيغة المبالغة فعّال (فلاح ، حدّاد •••) فان البربرية في مثل هذه الحالة استعملت صيغة المبالغة مفعال •

اَمَدْكُول (الصديق) : كما هو في نطق بعض الجهات ، وهي صيغة اسم مفعول ، تعني من وقعت عليه المودة والمحبة ، والصيغة هنا بنيت انطلاقا من خارج الشيء المعبّر عنه ، في حين ان كلمة الصديق سواء كانت صفة مشبهة أو صيغة مبالغة بنيت انطلاقا من الشيء المعبر عنه ذاته •

والعربية أحيانا قد تعبّر بفعيل على معنى مفعول .

تامردومث (المردومة) : اسم مفعول وليست كما قال سعدي اسم مكان يعدّ فيه الفحم الخشبي اذ هي تعني ما يردم من خشب لتحويله الى فحم كما أن التاء فيها ايضا ليست للتعريف وانما للتأنيث .

٥ ـ التشابه في الجذور :

من يطلع على معجم اللغة البربرية يفاجىء بحقيقة في غاية الأهمية وهي أن جذور مفردات هذه اللغة ثلاثية ، وهذه خاصية تمتاز بها العربية ولغاتها القديمة (المسماة بالسامية) على غيرها من المجموعات اللغوية الاخرى ، وما قدم من نماذج وأمثلة في هذا البحث يشهد لذلك .

كما أن البربرية بالاضافة الى ذلك ، تشبه العربية ولغاتها في امتلاكها لجذور ثنائية ورباعية وقد يكون أكثر من ذلك .

سْوْ : شرب

أسْ : يوم

أكْ : كل ـ مَدّنْ أكْ : كل الأوادم ، كل الناس .

اقنطاس : خشبة تركب في أعلى الركيزة لرفع الخيمة (ق ، ن ، ط ، س)

آقريس : السرج (ق ، ر ، ب ، س)

ثغنجورث : الأنف (غ ، ن ، ج ، ر)

والكلمات من المعجم المشترك لكل من العربية والبربرية .

الناحية المعجمية :

تأثير العربية في البربرية كان واسعا وعميقا ، فقد أثر معجمها وأغناها بشكل لانظير له . وبدأ ذلك ـ كما أسلفنا ـ مع مجيء الاسلام أما قبل هذا التاريخ فان تأثيرها وان حدث فهو محدود حيث تحدّث بعضهم عن هجرة جانب من يهود خيبر الى شمال افريقيا سنة ٦٢٨م الشيء الذي أدى ولربما اول مرة الى تطعيم البربرية بلغة مصر .(*)

والامر هنا ــ كما هو واضح ــ لا يتعلق بابراز مدى هذا التأثير ومحاولة الاحاطة به ، وانما بالبحث فيما تضمنته البربرية قبل مجيء الاسلام ويهود خيبر، من طائفة واسعة من الكلمات ، منها ما تشترك فيه أساسا مع العربية ، ومنها ما تشترك فيه مع العربية وكل اللغات العربية القديمة (المسماة بالسامية) •

ونبدأ بالقسم الاول أي ماتشترك فيه البربرية والعربية مع تأكيد أن هذه الكلمات ليست مستعارة من الثانية للاولــى لكونهــا تعبر في الغالب عـــن مسميات ومعان هي من صميم ما يتعرف عليه الانسان في محيطه الاول بحكم ماتنشأ فيه من حاجيات مبكرة مما يؤكد أصالتها وقدمها في المعجم البربري • وفيما يأتي قائمة في مثل هذه الكلمات :

تامطوث : المرأة ، وفي العربية (الطمث) وهو الحيض فسميت المرأة بأهم خاصية بيولوجية تميزها ، وفي القاموس (طمثت المرأة ــ حاضت) والعلاقة واضحة بين الكلمتين وان احداهما حصل فيها قلب مكاني •

أركاز : الرجل • وتنطق الكاف مثل نطق القاف في الوسط التونسي (ق) وهي (الركز) المحرفة قليــلا • والركــز في العربية تعني : الرجل الحكيم الكريم ، وفي القاموس (الركز بالكسر ••• الرجــل العالــم العاقل السخي الكريم) ومن مادة (ركز) نجد أيضا(الركز) أي الثابت وما يعتمد عليه • والرجل في نظر مجتمعنا بصفة عامة يعتبر ركيزة وسندا لمن حوله من الاهل والعشيرة وابناء مجتمعه •

وتوجد في الأكدية مادة (زكر) ولعل أصلها (ركز) بتقديم الزاي علــى أساس أن خطأ وقع في كتابتها عند النقل ، وبقطع النظر عن هــذا فهي المادة الاصلية لكلمة رجل •

فيقال في الاكدية (زكر) بنطق معين للحركات ومعناها صار رجلا[٢٧] • والعلاقة واضحة بين الكلمة الاكدية والبربرية •

---

(٢٧) من مذكرات مدونة ... المصدر المذكور سابقا .

ولو نظرنا الى التسمية منزاوية أخرى لرأينا أن المرأةسميت باحدىخاصياتها البيولوجية ، وهي تسمية تجسد المعنى البدائي المحسوس ، أما الرجل فان تسميته أكثر تطورا على مايبدو من حيث المعنى اذ الاسم الذي أطلق عليه (اركاز) لم يستمد من خاصياته الطبيعية وانما من دوره ووظيفته الاجتماعية وهذا قد يكون دليلا على أن هذه التسمية ظهرت في العهد الذي سادت فيه أسرة الاب وتوطدت دعائمها وصار الرجلذا المرتبةالاولىفي الحياة الاجتماعية. أختفوف : الانف ــ ومن الواضح أنها من مادة (ختف) ويقال في العربية : ختف الرجل بانفه ، أي تكبر ، فهو ختاف وفي القاموس «الختاف الشامخ بانفه كبرا» ويرى عثمان سعدي أن الكلمة البربرية أقرب الى العربية في الاستعمال من كلمة الانف[٢٨] .

ومما يؤيد ذلك وجود حرف الخاء في كلمات اخرى تطلق على الأنف مثل : المنخر من نخر الانسان أو الدابة اذا مد صوته من الانف ، ومثل الخيشوم ، وبالنسبة لبعض الحيوانات فيقولون : مخطم البعير ، ونخرة الفرس وخرطوم الفيل وخِنّابة الجارح[٢٩] . آزياط ، آزايت : العاصفة ، الريح الشديدة ، وفي العربية ، زاط يزيط زيطا وزياطا : صاح والزياط : اختلاط الأصوات ، والزّياط (صيغة مبالغة) الصيّاح ، والعاصفة معروفة بجلبتها واختلاف أصواتها ، ولذا سميّت في البربرية بأزياط .

قطوس : قط ، وفي احدى اللهجات السودانية البجرامية يقال للقط (دت) بالدال والتاء مما يدل على قدم هذه الكلمة وعلى انتشارها .

يطّس : ينام هذه الكلمة لها صلة بالكلمات العربية التالية :

طَسَّ غَطَسَ غَطَّ

(٢٨) عروبة الجزائر ... المصدر المذكور سابقا ص : ٤٧ .

(٢٩) الثعالبي ابو منصور : فقه اللغة ــ المصدر المذكور سابقا ص : ١٦٥ .

يقال : طسّ الشيء في الماء ، غطّسه وغطّه فيه ، وفي النوم غياب تام عن حالة اليقظة وفي عاميتنا يقولون: غاطس في النوم، واغطس ، واغطس في النوم — وفي العربية — غطّ يغطّ غطيطا

النائم : صات وشخر وذلك في حالة النوم العميق .

أزيل : الشّعرة : وهي تقابل اما الإسب بالكسر ، وهو في العربية شعر الرَّكَب (بفتح الراء والكاف) .

والركب : العانة أو منبتها ، واما من السّبلة ، وهي في العربية ما على الشارب من شعر .

سُوْ ، اسْوَا : شرب الماء ، في العربية ، احتسى الماء : شربه .

نازيت : الهضبة القليلة الارتفاع . يقول عثمان سعدي ، انها «أخذت من نعت عربي يقال : أكمة نازية أي مرتفعة عما حولها»[٣٠] .

وفي أساس البلاغة للزمخشري «وأكمة نازية : مرتفعة عما حولها كأنها نزت عن وجه الارض»[٣١] .

آمروث : الأرض : ونجد في العربية أرض ممرثة وهي التي أصابها مطر ضعيف . وأرض مرت : التي لانبات فيها ، والمرت أيضا المفازة . فالكلمتان : مرث ومرت متقاربتان في المعنى وأن الارض المرث المصابة بالمطر الضعيف هي أرض تكاد تخل من النبات .

وعكس هاتين الكلمتين ، كلمة ارض . فنقول : أرض المكان : كثر عشبه ، فهو أرض وأريض أي زكي معجب للعين خليق للخير[٣٢] .

(٣٠) الأصول العربية للبربر : مجلة آفاق عربية عدد ٩ بغداد ١٩٧٩ وفي (عروبة الجزائر عبر التاريخ) حذفت هذه الجملة (اخذت من نعت عربي) ص ٥٣ .

(٣١) اساس البلاغة : تحقيق الاستاذ عبدالرحيم محمود مادة (نزو) القاهرة ١٩٥٣ ص: ٤٥٤ .

(٣٢) الفيروز ابادي مجد الدين : القاموس المحيط مادة (ارض) المكتبة التجارية الكبري بمصر — بلا تاريخ — ج٢ ص: ٣٢٣ .

ويقال : الأرضة : والإرضة : الكلأ الكثير ، والتأريض : رعي كـــلإ الارض وارتياده

هناك اذن وصفان يطلقان على المكان ، عند انعدام النبات وعند توفره، وسواء أكان لهذا علاقة مباشرة بأطوار الخصوبة والجفاف أم لا ؟ فان بعض القبائل مثل البربر غلبت صفة المكان عند انعدام النبات أو قلته فقال : آمروث من مرث أو مرت ، والتبادل بين الثاء والتاء وارد في العربية وغيرها ،وغلبت قبائل أخرى صفة المكان عند توفر النبات وكثرته فقالت : أرض •

خلاث : النساء • هذه الكلمة لها صلة ــ في العربية ــ اما بكلمة (الخلة) بضم الخاء وهي الصديقة أو الزوجة واما بكلمة (الخليلة) وهي أيضا الصديقة والصاحبة • فالعلاقة بين الكلمة البربرية والكلمتين العربيتين واضحة •

ثبحيرث : الروضة • وهناك في العربية (البُحْرَة) ومن معانيها الروضة الكبيرة ، والمنخفض من الأرض والملاحظ أن البربر استعملوا المعنى الاول (الروضة) وعاميتنا ما تزال محتفظة بالمعنى الثاني (المنخفض من الارض) ولذا نقول في جهـات من القطر التونسي : بحيـرة الكاف برماجنـه ، وهمـا منخفضان معروفان جغرافيا •

يتفيل ايثيلي : يستظل بالشجرة ، فالكلمة هي تفيأ العربية ونقول تفيـأ الشجرة : استظل بها ، أما الكلمة الثانية فذات صلةبالكلمة (الثيل) او (الثَّيِّل) وهو نبات له قضبان طويلة ، والمعنىالعام :الاستظلال بظل النباتات ذات الظل •

روش : سقى وفعل (رشّ) معروف في العربية •

آزال : الزوال العربية ، عندما تكون الشمس في كبد السماء •

ثَلَّسْتْ : الظلمة ، وفي العربية (الطّلس) وهو كساء أسود ويسمى أيضا (الطيلسان) ويقـال : طلسَ يطلسُ طلساً ، وطلسَ يطلسُ طلسةً ؛ كان أغبر الى السواد ومنه ذئب أطلس أي الأمعض الذي في لونه غبرة الى السواد ، وليلة طِلْسِمَانه أي مظلمة •

فالكلمة البربرية والعربية لها المادة والمعنى نفسهما وأن الثاء ليست للتأنيث وانما هي متبادلة مع الطاء في العربية وانقلاب احدهما الى الاخر شائع ومعروف .

أمرار : الحبل . وفي العربية (الـمَرّ) بفتح الميم وهو الحبل ويقال مرّ البعير مرّا : شد عليه المرّ أي الحبل وفي عاميتنا بالوسط الغربي يقال : مرشانه وهي حبل قليل الطول مظفور .

أميلوس : الوحل . وفي العربية (الـمَلَس ـ ج . مُلُوس) المكان المستوي والوحل الذي ينقله السيل أثناء تهاطل الامطار يسوي الامكنة المنخفضة ، وتكون في الغالب ملساء ، والمِلُوسِي في لهجتنا الشعبية نوع من الوحل وليس مطلق الوحل لان النوع الآخر الذي لايحمله السيل يسمى شعبيا (الطبّعْة) فالعلاقة بين الكلمة البربرية والعربية والاستعمال الشعبي المجدد واضحة .

قلواش : الجدي (تصغير جدي) وفي العربية (القَلاش) بمعنى الصغير .

وفي هذا المضمار قدّم لنا عثمان سعدي قائمة بها ١٠٣ كلمة من البربرية وما يقابلها في العربية منها بعض الكلمات سبق ذكرها يمكن الرجوع اليها لثرائها وأهميتها .(٣٣)

ومن الواضح أنها من الكلمات القديمة العربية ، ومن هذا القبيل أيضا ما أورده السوسي الذي يقول :

« وانما العجب أن نجد ألفاظا غير قليلة عند الشلحيين لاتروج غالبا في لغة هؤلاء العرب المخالطين للشلحيين ، ولكننا نجدها عند الشلحيين مثل :

السري .. بمعنى الجدول . والأوق .. والثرب شحم الكرش . والفدع التواء المفاصل . والسقط الخيط المعلق في آخر الرحل والقلزم الفأس والخلف رق الادام ، وأفت الانسان عن وجهته : صرفه عنها والبكت : الضرب بالعصا . وذرى بمعنى سقط . وأل اذا بكى .

(٣٣) عروبة الجزائر ... المصدر المذكور سابقا : ٤٦ وما بعدها .

فانها ــ وكلمات كثيرة تعدّ بالمآت ــ لا يكــاد يعرف أن لها اصــلا في العربية الان الا من خالط قواميس اللغة العربية » .[٣٤]

قائمـة مشتركـة :

نأتي الان الى القسم الثاني من المفــردات أي ما تشتــرك فيه البربرية والعربية واللغات العربية الاخرى لتأكيد هذا السبيل أيضا على ما بينها جميعا من وحدة لغوية وأصول مشتركة ، وهو ما يفنّد مزاعم أولئك الذين يصّرون على فصل البربرية عن شقيقاتها التي يسمونها السامية .

الكلمات المشتركة	الكلمات في البربرية
الأب	بَابَا
الأم	يَمّي
اللسان	اِيلَس ــ ج ــ إيلَسانْ
البطن	أعبّوط ، ثَعَبّوطَثْ
الصوت	صُوتْ ــ ج ــ أصوات ــ مثل العربية
اليافوخ	ايخَفْ . في هذه الكلمة قلب مكاني ج : اِيْخفاوْنْ
الفم	أفمّوش ــ ج . اِفَمّوشَنْ .
النفس	ثَروَحَثْ
الدم	ايدامن
الموت (مات)	مُوْت ، آمت ، يَمِتْ ، ثَمِتّنَثْ
القطن	قَطَنْ ــ ج ــ دَالْقَاطِينْ .
آدم ــ ج ــ أوادم	مدنّ
هلك	يهلك . ومنها أهْلاَكْ أعبّوط ــ أوجاع المعدة ــ أعبّوطَسْ ــ يَهْلِكَثْ : عنده ألم في معدته .

(٣٤) تأثير العربية في اللهجة ... المصدر المذكور سابقا ص:٣٣ .

ة : سنون وسنين (لغة الحجاز وعلياء قيس) ــ سنوات ، سنهات • سنـين
عرابها على النون ، لغة تميم وبني عامر) ثـبة : ثـبُـونَ وثـبِـين (الجماعة)
قود : عشرون ، ثلاثون •••

با : التأنيث

من الوسائل التي تستعملها العربية للتمييز بين المذكـر والمؤنث التاء في ر الكلمة مثل :
لمة ــ قطة ــ شابة ــ اذ مذكرها معلم ــ قط ــ شاب ، والبربرية أيضـا لعربية تميز بين المذكر والمؤنث وتستعمل لهـذا الغرض التاء والثاء ، وهو تعمال قديم ومتزامن ومن الجائز ان تكون احداهما أسبق من الاخـرى كن الثابت أن التأنيث بالتاء من الخاصيات اللغوية الأكثر شيوعا مـن ثر علامات التأنيث الاخرى في اللغات العربية القديمة بما في ذلك المصرية ديمة • أما الثاء فهي أيضا قديمة وقد تكون أحيانا مبدلة عن التاء •

ونسوق في مايلي نماذج من التأنيث بهذين الحرفين في البربرية •

المؤنث	المذكر	
ـ ْشـَنـت	أوشـَنْ	ذئبة ــ ذئب
ـشيتْ	أفْشيشْ	شابّة ــ شابّ
بَرْ شَانَتْ	أبـَرشَانْ	سوداء ــ أسود

ومن أمثلة التأنيث بالتاء

ـلحيت	الشلحة
بـنـَّايْتْ	البناية
ـاشيت	الشاشية
مزْيَانْت	الطفلة (ما دون الرابعة أو الثالثة)
مَزيِغـْتْ	المزيغية

والشيء اللافت للنظر هو أن هناك وجه شبه بين البربرية في تأنيـث ض الكلمات وعربية الجنوب القديمة كالحميرية من حيث الصورة اللفظيـة مة ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي :

الماء	آمان
البرّ	برّ
البحر	بَحَر
المكان	امْكَانْ
القرْبَ	قريب ، فَالْقرْبْ غرْ القرْبْ : من أقرب الى أقرب
القرابة (الدموية)	أقريب ــ ج • اقريبن
البعد	بَعْدْ ، أخَّاميسْ ــ يبعد ــ سِي : يسكن على بعد من هنا •
الشرق	شرَقْ • آطّودَ شرقي : ريح شرقية
الغرب	غرَبْ ــ أغربي ــ ريح غربية
الظل	ظَلّلْ وأيضا فِيلّْ
قوس	قُوس ــ ج• أقواس ــ مثل العربيّة
برق	بَرْقْ
كمّون	كمّون
حمص	حَمّز
جلبان	اجلبان
جزر	زروديه
ثوم	ثَسْكَرْثْ : قرانهـا بكلمة (كراث) وهو فصيلـة من الثوم •
الخيار	ثخيارْث ــ ج• ثِخيارْثِين
الزيت	زيت ــ يدهن سالزيت : دهن أو دلك بالزيت
سنبلة	ثسبلت : ج• ثِسبْلْتينْ
خنزير	أخَنْزِير
اسم	اسْمْ ــج• اِسْمَاونْ ــ انْوَى دسْميكْ ماأسمك ؟

كل	أكْ • مَدّنْ آكْ : كل الآدميين ، كلّ الناس
يمين	ايمين أي القسم ، تشبه احدى لغاته
نقل	اَنْقَلْ
ركب	اَرْكَبْ
قلى	آقلْ
سأل	سقْسي القريبة من (تقصى واستقصّى) اذا بحث في الأمر غاية البحث

يضاف الى هذا أسماء العدد الى عشرة والمائة .

ومما يؤكد اشتراك البربرية في هذه الكلمات وغيرها ماقاله السوسي من أن هناك الفاظا قديمة تسبق عند الشلحيين الفتح الاسلامي[٣٥] وأنها متأصلة « في اللغة الشلحية »[٣٦] ولا يعرف « ما يقوم مقام تلك الألفاظ عندهم مع ملاحظة أنه لابد من تلك الالفاظ لاية أمة ولو كانت لاتزال من الهمجية الاولى في الدركات وذلك كالموت والحياة والدم والريح والاب والام والصوت والبر والبحر والقرب والبعد»[٣٧] .

ويضيف : « وهي ألفاظ تصل عندي الان الى مئة كلمة ولا أعلم لها مرادفا شلحيا يمكن ان نقول انه هو الاصل الاصيل ويكون الاخر من الدخيل. وهذه الألفاظ وما على غرارها يتفق على التلفظ بها في معناها كل من عرفناه من أصحاب اللهجات البربرية المتفرقة حولي الاطلس زيادة على ما في سوس»[٣٨].

ويواصل كلامه : «وكون أمثال هذه الالفاظ أقدم من الفتح هو الراجح عندي وأكاد أجزم به »[٣٩] .

---

(٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) تأثير اللغة العربية في اللهجة ... المصدر المذكور سابقا ص ٣٣ و ٣٤ .

ويتساءل السوسي عن سر وجود أمثال هذه الالفاظ العربية في الشلحةوفي اللهجات البربرية قاطبة فيقول :

«لاأدري أهي ألفاظ غمرت مرادفاتها من الشلحية منذ تسربت من العربية القديمة على عهدالفتح الاول للفينيقيين الذين نعرف من هم بالنسبةلابناء الجزيرة العربية وهم من أبنائها الصميمين ؟أم هي ألفاظ قديمة في اللغة الشلحية فتكون حجة للمؤرخين الذين يؤكدون أن البربر موجة من موجات الشرق في عصور ماقبل التاريخ»[٤٠] .

*

(٤٠) تاثير العربية في اللهجة ... المصدر المذكور سابقا ص : ٣٤ .

هبات الخلفاء العباسيين وعطاياهم ١٣٢ ـ ٣٢٤هـ
دراسة في طبيعتها وعلاقتها بمفهوم السلطة

د. موفق سالم نوري
جامعة الموصل / كلية المعلمين

الملخص

تناول هذا البحث معالجة لنمط في السلوك السياسي / الاقتصادي للخلفاء العباسيين ، متمثلا بالبذل والعطاء الذي مارسوه تجاه شرائح مختلفة من المجتمع ، فتم اجراء مسح شامل لنماذج هذه الظاهرة ، وبناءً على هذا المسح جرى فحص طبيعة هذه الهبات والعطايا ، واي الفئات استفادت منها اكثر من غيرها ، ثم جرى دراسة الجهات التي نفذت هذه الهبات والعطايا وآلية عملية التنفيذ هذه ، واخيراً تم التعرف على طبيعة العلاقة بين هذه الهبات والعطايا ومفهوم السلطة لدى الخلفاء العباسيين ، وقد تمت الاستعانة بالجداول والرسوم البيانية من اجل تحقيق فهم افضل لهذه الظاهرة ،

المقدمة :

لايزال البحث في التاريخ الاداري للدولة العباسية ميداناً رحباً ، يجد الباحث فيه آفاقاً جديدة تعينه في رسم صورة اكثر وضوحاً لسياقات العمل في هذه الدولة ولطبيعة السلطة التي حكمت فيها . فثمة موضوعات زخرت المصادر بنتف وافرة عنها ، اذا ما جرى تتبعها فانها تكشف عن جوانب مهمة في النواحي المذكورة اعلاه ، لم تتناولها اقلام الباحثين بعد.وفي بحثنا المتواضع هذا محاولة لتتبع طبيعة الهبات والعطايا التي منحها الخلفاء العباسيون ومدى علاقاتها بسلطاتهم .

وابتداءً لابد من التنبيه على مسألة لها شأنها هنا . ذلك انه ليس من السهولة التسليم بكل الروايات الواردة بشأن هذه الهبات . ففيها ما يبدو انه (شاذ) في مضامينه ويحمل نيات غير سليمة في دلالاته . صحيح ان الخلفاء كانوا ميالين للتعامل بسخاء مع مَن اتصل بهم من شخصيات مختلفة ، حتى قال المأمون في ذلك : « لان اخطىء باذلا أحب إليّ من ان اصيب مانعاً »[1] غير ان عدداً من الروايات الواردة بهذا الخصوص قدمت صوراً شائهة لشخصيات الخلفاء ، من ذلك أن طربَ الرشيد لغناء احد المغنيين دفعه لان يهتف : « يا مسرور لا تبقين في بيت المال شيئا إلا نثرته ، فكان مبلغ ما نثر يومئذ ، سبعة الاف الف درهم »[2] ووهب في مرة اخرى بقايا خراج الموصل

---

(١) التوحيدي ، اخلاق الوزيرين ، تحقيق : محمد بن طاويت الطنجي (دمشق : د/ت) ٢٤ .

(٢) التنوخي ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق : عبود الشالجي (د/م : ١٩٧٣) ٥/١٥٢ .

لاحدى محضياته .[3] ولم يسعه في مرة اخرى إلا ان يستجيب لرغبه إحداهن بتعيين احد خدمه ـ حمويه ـ والياً على فارس ، حربها وخراجها ، لسبع سنين .[4] وفي مثل هذه الاخبار من الركاكة ما يأنف المرء عن تصديقه . بينما رسمت في احيان اخرى صورة معاكسة . فقد صُور المنصور على انه غاية في البخل والشح حتى وسموه بـ « الدوانيقي »[5] مع انه في واقع الامر كان بخلاف ذلك . وسيرد في سياق البحث ما ينفي هذه التهمة عنه .

ومن المعتقد أن ميزانية الدولة ضمت بنداً خصص لهبات الخلفاء وعطاياهم ، ويفهم ذلك من الاشارة الواردة بشأن الموازنة المعمولة لمالية الدولة لعام ٣٠٦هـ . فقد جاء في هذا البند : « ومن ذلك ما قدر إنفاق امير المؤمنين ، أعزه الله ، في الجوائز والهبات بقسط شهر من ثلاثة اشهر بجمع ذلك فيها : احدى وعشرين الف دينار »[6] ويفهم من هذا النص ان مبلغ ما خصص للهبات شهريا قدره واحد وعشرون الف دينار ، تطلق لمستحقيها كل ثلاثة اشهر . واذا كان مثل هذا المبلغ قد عبر عن تدهور مالية الدولة وتناقصها المستمر في اعقاب انحسار قوتها ومنعتها في العصر العباسي الاول . ومعها كذلك سلطات الخلفاء . فبوسعنا القول ان المبلغ المخصص لهذا البند ، كان اكبر من ذلك بكثير في سنوات رخاء الدولة والسطوة الكبيرة لخلفائها . سواء كان هذا الصرف بموجب موازنة مالية معمولة ام بغير ذلك . وما اكد ذلك طبيعة الارقام الواردة بشأن مبالغ ما كان يعطى للافراد واقيامها كما سيرد .

---

(٣) الاصفهاني ، الاغاني ، تحقيق : سمير جابر (بيروت : ١٩٨٧) ٧١/٤ .

(٤) السابق ، ٣٧٠/١٦ ؛ ابن وادران ، تاريخ العباسيين ، تحقيق المنجي الكعبي (بيروت : ١٩٩٣) ١٢٣ .

(٥) الثعالبي ، لطائف اللطف تحقيق : ابراهيم الابياري وحسن كامل (القاهرة: د/ت) ٢٠ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد (بيروت : د/ت) ٧٠/١ .

(٦) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، تحقيق : ميخائيل عواد (بيروت : ١٩٨٦) ٢٥ ـ ٢٦ .

ومن جانب آخر فإن التسميات التي اطلقت على ما كان يمنح للافراد من جانب الخلفاء ، كانت عديدة منها : الصلة[٧] والمعونة[٨] والجائزة[٩] • وغير ذلك • وعنت الصلة : الوفد والجبا والجائزة والمنحة والعطية والتحويل والصفد والنيل[١٠] • وكل هذه المفردات مرادفة لبعضها لتعني ما منحه الخلفاء للافراد لسبب او لاخر • أما المعونة ، فدلت على انها كانت تمنح للافراد لاسباب مختلفة وعلى وجه العموم فإن الصلات والمعونات عبرت عن تواصل الخلفاء مع رعاياهم تشجيعاً وتثميناً لهم على ما ابدوه من جهد في نواحٍ معينة • وإعانة لهم على مواجهة ظروف خاصة • وعبرت من ناحية اخرى عن صلاحيات واسعة في النواحي المالية ، لا يبدو انها كانت محددة او مقيدة ، ولاسيما في العصر العباسي الاول .•

اولا : طبيعة العطايا والهبات :

أخذت هذه العطايا والهبات اشكالا عديدة • ولم تكشف الروايات التاريخية عن الاعتبارات التي اعتمدت في تحديد هذه الطبيعة • وفي تقديرنا فإن ذلك خضع لرغبات الخليفة احيانا او لرغبات الاشخاص المعنيين احيانا اخرى • وربما كان لامكانيات الدولة المتاحة في تلك الاثناء دور في ذلك • فقد

---

(٧) انظر مثلا : الاندلسي ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد ابي الفضل ابراهيم (القاهرة : ١٩٧٣) ٨٨ •

(٨) انظر مثلا : التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، تحقيق : عبود الشالجي (بيروت : ١٩٧٨) ٨١/٢ ؛ الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، تحقيق : محمد ابي الفضل ابراهيم (بيروت : د/ت) ٨٢٦/٨ •

(٩) انظر مثلا : التنوخي ، الفرج ، ١٥٥/٢ ، ٢٣٦ •

(١٠) الدقيقي ، إتفاق المباني وافتراق المعاني ، تحقيق : يحيى عبدالرؤوف (عمان : ١٩٨٤) ٢٥١ •

تراوحت هذه الهبات والعطايا ما بين المال النقدي والقطائع والضياع والمواد العينية المختلفة الى الجواري والعبيد والدور السكنية ، حتى شملت المناصب الحكومية ايضا .

إتخذت الهبات المالية صيغاً عديدة ، منها المنح المباشر للمال وبمبالغ مختلفة في أقيامها . وهو الشكل الاكثر شيوعاً . معبراً عن كرم الخلفاء وسخائهم . فقد بسط المهدي يده في العطايا والصلات فلم يبق على شيء مما تركه له المنصور ، ولا مما جمع له في خلافته من واردات . وقد كان المنصور قد خلف في خزانة الدولة (٦٠٠) مليون درهم و(١٤) مليون دينار . انفقها المهدي جميعاً .(١١) وربما كان أبو العباس اول من منح مليون درهم ، وهبها لعبدالله بن حسن بن الحسن .(١٢) في حين كان المنصور اول من منح مبلغاً قدره (١٠) ملايين درهم في يوم واحد . فرقه بين أعمامه لكل واحد منهم مليون درهم .(١٣) وكان الهادي يعطي للمغني « المال الخطير الجزيل » حتى يظن انه لن يعطيه بعده مرة اخرى . ثم يعطيه مثله .(١٤) ولما غضب المعتصم من احد جلسائه لانه طلب اليه ان يمنحه « حائط (بستان) عبدالملك وعينه الخرارة » لكونها من الضياع المهمة جدا ، صاح بحاجبه ان « خذ بيد هذا الجاهل فأدخله بيت المال فليأخذ منه ما شاء »(١٥) في حين اورد الاصفهاني ان مثل هذا الكلام صدر عن الهادي وكان المغني به ابراهيم الموصلي .(١٦) مما يشير

---

(١١) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت : ١٩٨٣) ٣/٣١٢ .
(١٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد (بيروت : د/ت) ٩/٤٣٣ .
(١٣) الثعالبي ، لطائف اللطف ، تحقيق : د. عمر الاسعد (بيروت : ١٩٨٠) ٢٢.
(١٤) الجاحظ ، التاج في اخلاق الملوك ، تحقيق : فوزي عطوي (بيروت : ١٩٧٠) ٤٢ .
(١٥) الخطيب البغدادي ، ١٣/٢٥ .
(١٦) الاغاني ، ٥/ ٢٥١ ؛ انظر ايضا : ابن الكازوني ، مختصر التاريخ ،تحقيق: د. مصطفى جواد (بغداد : ١٩٧٠) ١٢١-١٢٢ .

الشكوك حول مدى صحة مثل هذه الروايات • ولما نفذ المال الذي كان مع المأمون وهو في الشام ، حتى مسّت الحاجة له • فقدم عليه المال في هذه الاثناء من خراج بعض النواحي محمولا على البغال في احسن هيئة ، فخرج لاستقباله وامتاع النظر به وبصحبته كبار القادة والكتاب • فالتفت الى احدهم وقال له : « يا أبا محمد ينصرف اصحابنا هؤلاء الذين تراهم الى منازلهم خائبين وننصرف نحن بهذه الاموال قد ملكناها دونهم إنا إذا للئام» فأمر بتفريق المال بينهم ، والاحتفاظ منه بقدر ما يكفي لعطاء الجند ورواتبهم •[١٧] ومع ان هذا المال هو مال عام وليس خاصاً بالخليفة ، غير ان قوله هذا عكس نظرة تملكية تفيد ان الدولة وما فيها وما يعود اليها إنما هو ملك يمين الخليفة يتصرف به بحسب ما يراه مناسبا • ومثل هذه النظرة اتاحت للخلفاء حرية التصرف بالمال العام بلا صلاحيات او سلطات محددة • فقد منح الرشيد وزيره الفضل بن الربيع مبلغاً قدره (٣٥) مليون درهم « معونة » له على بناء داره •[١٨] وعكس هذه الامر قدرات الخليفة على التصرف بالمال • غير انه والحق يقال لم ترد اية إشارات افادت ان الخلفاء او ابناءهم حاولوا الاثراء على حساب المال العام •

وقد شمل نظام المعونات قادة الجند ايضا في خلافة المعتصم[١٩] والواثق[٢٠] والمتوكل[٢١] وإن كانت بمقادير اقل بكثير مما منح للفضل بن الربيع • وهو في كل الاحوال اشر بدء تنامي دور المؤسسة العسكرية في بنية السلطة السياسية للدولة • حتى اصبح بمقدورها الحد من سلطات الخليفة في أعقاب مقتل المتوكل •

---

(١٧) ابن بكار ، الاخبار الموفقيات ، تحقيق : د. سامي مكي العاني (بغداد : ١٩٧٢) ٣٦-٣٧ ؛ انظر ايضا ابن طيفور ، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية (بغداد : ١٩٦٨) ١٤٩ ؛ الطبري ، ٨/٦٥٢-٦٥٣ •

(١٨) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين (القاهرة : ١٩٣٨) ٢٨٩ •

(١٩) الطبري ، ٩/٥٤ •

(٢٠) الشابشتي ، الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد (بغداد : ١٩٦٦) ١٤١ •

(٢١) المسعودي ، مروج الذهب ، ٤/٦٦ •

وعموماً ، فقد تراوحت مقادير المنح المالية التي وهبها الخلفاء للافراد مـا بين ارقام كبيرة ذكرنا جانبا منها . واخـرى اقل من ذلك بكثير . فقد منـح المأمون احدهم الف دينار فقط .[٢٢] في حين منح لاخر (٢٠٠) الف دينار .[٢٣] واستكثر المتوكل منح احدهم (١٠٠) الف دينار دفعة واحدة ، لما في ذلك من التشنيع عليه ــ اي المتوكل ــ فقرر منحه إياها على دفعات .[٢٤] وكان يحيى بن خالد قد نبه الرشيد على ان لا تقل عطاياه عن خمسة الاف درهـم بمـال للشخص الواحد .[٢٥]

وورد في هذا السياق استخدام واسع لمفردة « البِدرة » بوصفها وحدة مالية عنت : « كيس فيه الف دينار او عشرة الاف درهم ، او تسعة الاف درهم او سبعة الاف دينار »[٢٦] غير ان معظم الاشارات الواردة بهذا الشأن افادت ان البِدرة كانت تساوي عشرة الاف درهم .[٢٧] وورد في اشارة واحدة فقط انها تساوي خمسة الاف درهم .[٢٨] وختمت هذه البِدَر بخواتيم خاصة.[٢٩] للحيلولة دون التلاعب بقيمة ومقدار ما بداخلها . هذا ومن وحدات القيـاس

---

(٢٢) ابن وادران ، ٢٨٧ .

(٢٣) ابن رشيق ، العمدة ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد (بيروت : ١٩٧٢) ٧٠/١ .

(٢٤) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، تحقيق : مرجليوث (القاهـرة : ١٩٣٠) ٤٦٤/٥-٤٦٥ .

(٢٥) الميلوي ، احسن المسالك في اخبار البرامك ، نسخة مخطوطة بحـوزة الدكتور عبدالمنعم رشاد ، ص ١٢ .

(٢٦) العباسي ، معاهد التنصيص ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميـد (بيروت : ١٩٤٧) ٣٠٠/٢ .

(٢٧) انظر امثلة على ذلك : الاصفهاني ، الاغاني ، ٨٣/٤ ، ٧٨/٥ ، ٢٠/١٣ ؛ الخطيب البغدادي ، ١٦٨/٧ ؛ الرقيق النديم ، قطب السرور ، تحقيق : احمد الجندي (دمشق : ١٩٦٩) ١٥٧ .

(٢٨) الخطيب البغدادي ، ١٠٥/١ .

(٢٩) انظر مثلا : الطبري ، ٢٦٠/٨ .

المالي التي ورد استخدامها ايضا في هذا المجال « البيت » وقيمته نصف مليون درهم .[٣٠]

ومن اشكال المنح المالية الاخرى ، منح بعضهم واردات خراج اقليم ما . وهنا يجب ان لايتبادر الى الذهن ان ذلك عنى التفريط بكل الوارد المالي للاقليم ، بل عنى ذلك منح حصة بيت المال المركزي منه . ويتضح ذلك من الامثلة الاتية : ان المأمون منح الحسن بن سهل لما تزوج ابنته بوران ، خراج فارس لذلك العام ، وقدره (١٠) ملايين درهم .[٣١] مع ان خراج فارس الكلي، ومن النقد وحده ، بلغ (٢٤) مليون درهم .[٣٢] كما منح طاهر بن الحسين ، عند إخماده حركات التمرد في مصر ، خراجها لذلك العام وقدره في رواية الاصفهاني ثلاثة الاف دينار او نحوها .[٣٣] في رواية الخطيب البغدادي ثلاثة ملايين دينار .[٣٤] في الوقت الذي كان فيه خراج مصر في حدود هذه المدة مليون ونصف المليون دينار سنوياً .[٣٥] عليه لا يبدو ان الرقمين اعلاه صحيحان . فالاول اقل بكثير مما يبدو انه حصة بيت المال المركزي من خراج مصر . بينما الثاني شكل ضعف خراج مصر الكلي لسنة واحدة . لذا فاننا نعتقد ان مقدار ما منحه المأمون لطاهر بن الحسين يمكن ان يكون (٣٠٠) الف دينار . اذا ما عددنا ان حصة بيت المال المركزي من خراج اي اقليم هي خمسا خراجه ، قياسا على مثال اقليم فارس آنف الذكر .

---

(٣٠) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة (القاهرة : ١٩٣٧) ١٩٥ .

(٣١) ابن طيفور ، ١١٥ ؛ المسعودي ، مروج ، ٣/٤٤٣ .

(٣٢) قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق : د. محمد حسين الزبيدي (بغداد : ١٩٨١) ١٧١ ، ١٨٢ .

(٣٣) الاغاني ، ٢/١٢٢ .

(٣٤) تاريخ ، ٩/٤٨٤ .

(٣٥) قدامة ، ١٧٩ ، ١٨٤ . مع ان مصادر اخرى ذكرت ارقام اخرى تباينت تباينا كبيرا . فقد نقل الجاحظ عن احدهم ان خراج مصر بلغ اربعة ملايين دينار (البلدان ، ٤٩٢) في حين نقل الثعالبي عن آخر بانه بلغ مليوني دينار (لطائف اللطف ، ١٦٠) غير ان كلاهما وصف ما نقله بقوله ان الراوي زعم ذلك . وعليه فان ما اثبتناه اقرب الى القبول .

ومن ناحية اخرى ، فقد قدم احد ولاة السند على المأمون حاملا فضل ما بقي معه من خراج اقليمه ، وقيمته سبعة ملايين درهم . وهي تمثل حصة بيت المال المركزي من خراج الاقليم ، فأراد الخليفة منحه المبلغ بأسره ، فأبى الوالي قبوله . فأقسم عليه المأمون ان يأخذ منه (٤) ملايين درهم . فأخذها.[٣٦]

أما الشكل الاخر للهبات والعطايا المالية ، فتمثل بالتخلي عن حق الدولة المالي لعدد ممن اتهموا بالاختلاس . فقد طولب هؤلاء بتسديد مقدار ما اختلسوه ، ولما جرى إحضار المال ، وقد جرى جمعه تحت ظروف خاصة بالاستدانة وطلب العون او ما شابه ذلك . فإن الخلفاء اظهروا كرمهم الواسع فقرروا التخلي عن هذه الاموال للمتهمين بها . ومن امثلة ذلك ، تخلي المنصور لاحد ولاته عن مال اتهم به .[٣٧] وعفى آخر متهم بمال اختلسه . وقد اقسم انه لا يملك شيئا لسداد ما ترتب عليه من مال .[٣٨] وثبت على منصور بن زياد ، صاحب ديوان الخراج في خلافة الرشيد ، مبلغ قدره (١٠) ملايين درهم . فأمره الرشيد باحضار المال في غضون ساعات . وإلا امر بقتله ، فتمكن هذا من جمع المال بعون من البرامكة . فلما احضره عفا عنه ورده عليه .[٣٩] وألزم المأمون احد موظفيه مبلغاً قدره خمسة ملايين درهم . ولم يكن يملك سوى سبعمائة الف درهم . فاستدان باقي المال من معارفه ، فلما احضره امام الخليفة وهبه له . مع ان بيت المال كان خاوياً في تلك الايام .[٤٠] إظهاراً للتسامح واللين والعطف ، وتأكيدا لمنطق الرعوية الذي املاه منصب الراعي تجاه رعيته . الذي شكل بدوره ركيزة اساسية في بناء مفهوم السلطة التي

---

(٣٦) ابن طيفور ، ٣٣ .

(٣٧) الزمخشري ، ربيع الابرار ، تحقيق : سليم النعيمي (بغداد : ١٩٨٠) ٣٧٦/٣ .

(٣٨) الطبري ، ٦٧/٨ .

(٣٩) البيهقي ، المحاسن والمساوىء (بيروت : ١٩٦٠) ٥١٠-٥١١ .

(٤٠) الجهشياري ، نصوص ضائعة ، تحقيق : ميخائيل عواد (بيروت : ١٩٦٤) ٨٥ .

تمتع بها خلفاء الدولة الاسلامية عموما • ووصل مثل هذا الموقف الى حد رفض السعاية فيه • فقد كتب صاحب بريد همدان الى المأمون ، يعلمه انه وقع على معلومات تفيد بأن صاحب البريد الذي كان قبله قد تواطأ مع صاحب الخراج على اختلاس (٢٠٠) الف درهم من بيت المال هناك ثم إقتسماها فكتب اليه المأمون بأن قبول السعاية اكثر شرا من السعاية نفسها •[٤١] فكنى بذلك عن رفضه لهذه السعاية •

ومن الاشكال التي اتخذتها الهبات والعطايا تغطية نفقات معينة خاصة ببعض الأفراد • فقد منح المنصور لكل بنت من بنات عيسى بن نهيك ــ احد رجالات الدولة ــ (٣٠) الف دينار • ثم زوجهن متحملا تكاليف ذلك بأسره بما فيه صداقهن •[٤٢] وكان الرشيد اذا حج ، حج معه مئة من الفقهاء مع ابنائهم متحملا نفقات حجهم كاملة • وفي السنة التي لا يحج فيها • فإنه يأمر بالاتفاق على حج ثلثمائة منهم مع ابنائهم ايضا • وبالنفقة السابقة •[٤٣]

اما الشكل الاخر الذي إتخذته الهبات والعطايا ، فتمثل بالقطائع والضياع • فقد اقطع المنصور نهري السيبين لعمه داوْد بن علي •[٤٤] واقطع الشاعر ابا دلامة ألف جريب نصفها عامر ونصفها الاخر غامر •[٤٥] واقطع عمه

---

(٤١) الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، تحقيق : فوزي عطوي (بيروت : ١٩٦٩) ٤٥ ؛ البيهقي ، ١٢٠ .

(٤٢) الجاحظ ، التاج ، ١٤٤ــ١٤٥ .

(٤٣) المقريزي ، الذهب المسبوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة : ١٩٥٥) ٥٢ .

(٤٤) قدامة ، ١٧٠ . والسيبين، نهرين حفرهما مسلمة بن عبدالملك في منطقة البطائح في جنوب العراق ، لاحياء الاراضي هناك بتجفيفها . (قدامة ، ١٦٩ــ١٧٠) .

(٤٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، تحقيق : د. عبدالعزيز الدوري (بيروت : ١٩٧٨) ٢١٧/٣ ؛ الجهشياري ، الوزراء ، ٩٦ــ٩٧ .

العباس جزيرة بغداد ، دعيت بالعباسية .[٤٦] واقطع المهدي شعبة بن الحجاج الف جريب بالبصرة .[٤٧] وطلب الى دهمان المغني ان يسأله ما شاء ، فسأله ضيعتين في المدينة تدعوان ريان وغالب ، فوافق على ذلك ، غير ان المغنيين نبهوا الخليفة على ان هاتين الضيعتين لم يملكهما إلا خليفة ، فصولح عنهما دهمان بـ (٥٠) الف دينار .[٤٨] ويفهم من ذلك ان بوسع الخلفاء ان يقطعوا الافراد بحسب ما طلبوا ، اذا كان الامر بحدود المقبول والمعقول ، فاذا لم يكن كذلك عوض بالمال . وقد امر الرشيد لجاريته حمدونة باقطاع غلته مليون ومائة الف درهم .[٤٩] ومنح ابراهيم الموصلي نهري الهنيء والمريء ، وهما بازاء الرقة والرافقة ، ويسقيان بساتين كثيرة . ثم ابدل عنهما بمائتي الف درهم .[٥٠] ومنح المأمون احد اطبائه إقطاعاً لدوره في امتحان الصيادلة ، بقي بيد ورثته لوقت طويل .[٥١] واقطع المتوكل الشاعر مروان بن ابي الجنوب إقطاعاً باليمامة ، إتضح انه وقف من المعتصم لاولاده . فضمنه له الخليفة بألف درهم في السنة ولمدة مئة عام .[٥٢] كما اقطع احد الاطباء ضيعة تغل في السنة الف دينار ، إتقاءً لغضبه ، لانه إحتجم من دون اخذ اذنه .[٥٣] واقطع المستعين احد الافراد قطائع في كلار وشالوسي من اعمال طبرستان . إثابة له على خدماته السياسية .[٥٤] وعند منح الاقطاع ، فإن المعني به يُعطى

---

(٤٦) ابن الفقيه : بغداد مدينة السلام ، تحقيق : د. عبدالعزيز الدوري (بغداد : ١٩٧٧) ٥١ .

(٤٧) الخطيب البغدادي ، ٢٥٦/٩ . (٤٨) الاصفهاني ، ٣٠/٦–٣١ .

(٤٩) الجهشياري ، الوزراء ، ٢٣٣–٢٣٤ . (٥٠) الاصفهاني ، ١٨١/٥ .

(٥١) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : نزار رضا (بيروت : ١٩٦٥) ٢٢٥ .

(٥٢) الطبري ، ٢٣٢/٩ ؛ الاصفهاني ، ١٠٠/١٢ .

(٥٣) ابن ابي اصيبعة ، ٢٢٥ .

(٥٤) الصابي ، المنتزع من كتاب التاجي ، تحقيق : د. محمد حسين الزبيدي (بغداد : ١٩٧٨) ٤١–٤٢ ؛ وانظر ايضا : الطبري ، ٢٧١/٩ .

بذلك سجلا (وثيقة) مدوناً فيه امر الاقطاع .[٥٥] وقد تعمد الخلافة احيانا الى استعادة هذه الاقطاعات . فذلك ما فعله المعتمد[٥٦] والمقتدر . ويظهر ان ذلك كان لاسباب مالية . لان هذه الاقطاعات أعيد منحها الى القادة والجند بدلا من الرواتب والارزاق .[٥٧]

وثمة شكل ثالث من الهبات والعطايا ، ذات طبيعة منوعة لم تقتصر على المال وحده . فقد منح ابو العباس الشاعر ابا دلامة كلباً ودابة وغلاماً وجارية ومائتي جريب عامرة .[٥٨] وامر المنصور احد الافراد بدار وكسوة ومبلغ من المال .[٥٩] وكان اذا ولد لرجل من البيت العباسي مولود ذكر ، امر له المنصور بظئر ترضعه وجارية تخدمه ووصيف . كل ذلك من دار الرقيق .[٦٠] وامر المهدي لابن المولى المغني بمبلغ من المال مع كسوة .[٦١] ووهب بشار بن برد مالا وعبداً وقينة واكسية كثيرة .[٦٢] ومما امر به الرشيد لاحد الافراد ، مبلغاً من المال واكسية وعشرة من رقيق الروم .[٦٣] ومنح احد الشعراء مائة ناقة ، بحسب طلبه ، ثم خلع عليه سبع خلع .[٦٤] واعطى الاصمعي جارية مع مستلزماتها

---

(٥٥) انظر مثلا : الخطيب البغدادي ، ١١٢/٢ .

(٥٦) الصولي ، اخبار البحتري ، تحقيق : د. صالح الاشتر (دمشق : ١٩٦٤) ١٠٨ .

(٥٧) الصولي ، قطعة نادرة من كتاب الاوراق ، تحقيق : هلال ناجي (بغداد : ١٩٩٠) ٤٠ .

(٥٨) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبدالسلام هارون (القاهرة : ١٩٦٥) ١٧٠/٢ – ١٧١ .

(٥٩) الاصفهاني ، ٣٨/١٠ . (٦٠) البلاذري ، انساب ، ١٩٧/٣ .

(٦١) الاصفهاني ، ٢٩٦/٣ . (٦٢) السابق ، ٢١٠/٣ .

(٦٣) الطبري ، ٣٤٩/٨ .

(٦٤) التنوخي ، المستجاد من فعلات الاجواد ، تحقيق : محمد كرد علي (دمشق : ١٩٤٦) ١٩٣ .

وخدمها وشيئا من المال ايضا .[٦٥] ثم امر لاحد المغنين بضيعة وبيت وفرس وخادم .[٦٦] ومنح احد الشعراء « الهنيدة »[٦٧] وهي المئة من الابل .[٦٨] ومنح المأمون احد الافراد مقادير من الحنطة والشعير .[٦٩] وامر لاخر بمبلغ من المال وحملان وخلعة وخادم . [٧٠] ويشير كل ذلك الى التنوع الكبير في طبيعة الهبات والعطايا واتخاذها اشكالا عديدة في المرة الواحدة او بالتكرار .

أما الشكل الاخير لهذه الهبات والعطايا فتمثل بالولايات الحكومية . فقد كتب المهدي الى واليه على البصرة سليمان بن علي بايجاد وظيفة للشاعر مطيع بن اياس هبة له . فعينه على الصدقات بالبصرة.[٧١] وحقق له ذلك مورداً جيداً . ولما احسن اسماعيل بن صالح بن علي الغناء امام الرشيد حتى اطربه ، نادى بالرمح فعقد له لواء الولاية على مصر ، فحصل من ولايته هناك على نصف مليون دينار في غضون سنتين بعد ان « اوسعهم عدلا »[٧٢] ولم ينصرف احد المغنين من عند المأمون حتى ولاه الدينور ثم همذان ثم نهاوند ثم السوس ، جمعها له لاجادته الغناء .[٧٣] كما ولى احد الافراد السند ،

---

(٦٥) الاقليدي ، اعلام الناس بما وقع للبرامك مع بني العباس (د/م:د/ت) ٧٨.

(٦٦) الاصفهاني ، ٣/٧٠ .

(٦٧) الزجاجي ، مجالس العلماء ، تحقيق : عبدالسلام هارون (الكويت : ١٩٦٢) ٤١ .

(٦٨) ابن منظور ، لسان العرب (بيروت : ١٩٥٥) ٣/١٣٧ .

(٦٩) الاصفهاني ، ١٤/١١٠ .

(٧٠) الطبري ، ٨/٦٥٩ .

(٧١) الاصفهاني ، ١٣/٣٤٤ .

(٧٢) الاقليدي ، ٨١ .

(٧٣) الاصفهاني ، ١٤/١٧٧-١٧٨ .

وخلع عليه ، وضمنه خراجها .[٧٤] واجاز صالح بن علي بالولاية على مصر ومنحه معها تسعمائة الف درهم .[٧٥] وخلع المكتفي على ابني وزيره القاسم بن عبيدالله ، فولى الاكبر منهما ضياع الولد والحرم والنفقات .[٧٦]

نظـرة تحليليـة :

إن عمل جدول لاحصاء هبات الخلفاء وعطاياهم امر تكتنفه المصـاعب الاتيـة :

× إنه لا يمكن افتراض ان المصادر التاريخية ضمت بين دفاتها جميع ما وهبه الخلفاء من اموال نقدية وعينية . بل انها ذكرت من ذلك ما ارتبط بظروف معينة اهتم المؤرخون بذكرها .

× جاءت المعلومات ، في أحيان عديدة ، عامة غامضة . فهي إما انها لم تذكر مبلغ الهبة او العطية . او انها ذكرت المبالغ لافراد شكل جماعي لم يذكر عددهم او فئتهم الاجتماعية . الامر الذي يجعل تصنيفها غاية في الصعوبة. فضلا عن معوقات اخرى .

وبحسب طبيعة توفر الارقام اقتصرت الجدولة على العصر العباسـي الاول.وقد حاولنا في الجدول رقم (١) حصر ماامكن من هبات وعطايا في هذه الفترة ، فتم إحصاء (١٥٠) حالة . حيث امكن من خلال هذا الجدول الكشـف عن اوجه واتجاهات هذه الهبات . وبالاستعانة بالجدول رقم (٢) ومن خـلال الرسوم البيانية المرفقة ، امكن ملاحظة النتائج الاتية :

---

(٧٤) الاسكافي ، لطف التدبير ، تحقيق : احمد عبدالباقي (بغداد / القاهرة : ١٩٦٤) ٦١ .

(٧٥) التنوخي ، الفرج ، ٢/٢٣٢ . (٧٦) الطبري ، ١٠/٩٩ .

١ ـ ان العملة الرئيسة المستخدمة في هذا المجال هي الدرهم • فتم منح (٣٣٨٫٩٠٣٫٠٠٠) درهم مقابل (٥٫٠٧٥٫٣٠٠) دينار • الامر الذي يفهم منه ان واردات الدولة من النقد كانت بالدراهم بالدرجة الرئيسة • ثم بنسبة محدودة من الدنانير • واشر ذلك ايضا ان الاقاليم الشرقية للدولة ـ حيث ساد التعامل بالدرهم ـ هي الاكثر اسهاماً في مالية الدولة من الاقاليم الغربية التي ساد فيها التعامل بالدينار •

٢ ـ ومن خلال الجدول رقم (٢) ومن خلال اشكال البيانية يتضح :

أ ـ احتل هارون الرشيد المرتبة الاولى فيما منحه من اموال • فبلغ مجموع ما منحه (١٣٣٫١٤٨٫٠٠٠) درهم اعقبه المأمون (١٢٩٫٣٩٥٫٥٠٠) درهم ثم المعتصم (٦٧٫٥٥٠٫٠٠٠) درهم ثم المهدي (٤٨٫٨٧٩٫٠٠٠) درهم وهو ما عكس الازدهار الكبير الذي شهدته مالية الدولة في اثناء خلافة هؤلاء • واسهم في ذلك ايضا طوال فترة حكم كل منهم (الرشيد : ٢٣ سنة ، المأمون : ٢٠ سنة) الامر الذي منحهم الفرصة الكافية لمنح مزيد من الاموال • في حين كان الخليفة ابو العباس اقلهم منحاً (١٫٠٠٠٫٠٠٠) درهم ثم الهادي (٢٫٠٣٠٫٠٠٠) درهم وهكذا (انظر الجدول رقم٢) واشر ذلك ظروفاً اقتصادية خاصة • فضلا عن قِصر فترة حكمهم (ابو العباس : ٤ سنوات ، الهادي : سنتان) فلم يعطهم ذلك الوقت الكافي لممارسة هذا النشاط •

ب ـ كان للموظفين الحكوميين (اداريون وقادة) النصيب الاوفر فيما منح من هبات وعطايا • وذلك ما نبه على ان الدولة اخذت ترتكز على مؤسسات بنيتها الخاصة • وليس على الهيئات او البنى الاخرى (مثل القبيلة او غيرها) • لذا حظيت هاتان المؤسستان بالدعم الاوفر من الخلافة تمثل ذلك بمبلغ قدره (٢١٦٫٤٧٠٫٠٠٠)

درهم • جـاء بعد ذلك طبقة الخاصـة المبنية على الاعتبـارات الاجتماعية فحازت على ما مثل نصف المبلغ السابق (٥٠٠٠ر٣٧٠ر١٠٩) درهم • مع ملاحظة ان نسبة مهمة من هذا المبلغ كانت مخصصـة لافراد الاسرة الحاكمة • وهو امر عكس بدوره الطبيعة الاسـرية الشرقية لنمط التفكير في بنية نظام الحكم • في حين حازت العامة ، وهي الطبقة الاوسع انتشارا في المجتمع على مبلغ ضـئيل قدره (٥٠٠ر٥٩٥ر٧) درهم ولا يتناسب ذلك مع حجم هذه الطبقـة • اعقبتها الشرائح الاخرى من شعراء وعلماء ومغنون • وهذه الشرائح يمكن تصنيفها ضمن طبقة الخاصة • ليزيد ذلك من سعة التبايـن في توزيع الهبات بين طبقتي الخاصة والعامة • فكان نصيب الخاصة هو الاعظم في حين كان نصيب العامة ضئيلا جداً •

جـ ـ يكشف لنا الشكل رقم (٣) الاتجاهات الاتية :ان الاهتمام بطبقة الخاصة كان متعاظماً في الحقبة الاولى من العصر العباسي الاول ثم اخذ بالتراجع تدريجياً • في حين كان الاهتمام بالحكوميين (موظفين وقادة جند) ضئيلا اول الامر ، ثم اخذ بالتعاظم تباعاً ، حتى بلـغ ذروته في خلافة المأمون ثم المعتصم بدرجة اقل ، وهو ما عكس تعاظم دور المؤسستين الادارية والعسكرية في حياة الدولة بصورة مطردة •

ثانيـا : اشكال الامر بالصرف :

اتخذت الاوامر التي اصدرها الخلفاء بشأن الهبات والعطايا اشـكالا عديدة ، منها ما جاء واضحاً في المصادر صريحاً في معناه • ومنها ما جاء مبهماً في صيغته • ومن ابرز هذه الاشكال :

الصكوك : تعددت الاشارات الواردة بشأنها • فالمبالغ التي منحهـا المنصور لاعمامه «ادت بها الصكاك»[٧٧] وامر الرشيد بـ «صكاك كتبت لندمائه»[٧٨] وانه «صك» لاحد الافراد مبلغاً من المال وهبه إياه •[٧٩] وصك المعتصم بمال لابي تمام •[٨٠] واشار الشاعر جحظة البرمكي الى ان احد الخلفاء صك له صكاً بمبلغ من المال •[٨١] غير ان احداً لم يشر الى طبيعة هذه الصكوك ، ولا الى الكيفية التي كتبت بها او نص ما تضمنته • ويظهر من تكرار الاشارة اليها انها كانت اسلوبا شائعا في منح الهبات والعطايا • كما لم يرد في المصادر ما يشير الى الظروف او الموجبات او ما يعنيه هـذا الاسلوب دون غيره من الناحية المالية •

الاوامر المكتوبة : ففي مرات عديدة طلب الخلفاء أقلاماً وورقاً ليكتبوا بأنفسهم الاوامر بالهبات والعطايا • فقد دعا الهادي «بدواة» ثم كتب الى الخازن بأربعين الف درهم لاحد الافراد •[٨٢] واخذ المأمون «القرطاس» وكتب لاحد الافراد بخمسين الف درهم •[٨٣] ولاشك في ان ذلك ما دُعي بالتوقيع • فقد امر المنصور لاحد الاشخاص بمبلغ من المال • وعند مراجعته للحاجب الربيع بن يونس ، انكر الامر قائلا : «ما امر لك بشيء ، ولو امر به لدعاني ، فقال : إعطه او وقع إليّ ••• »•[٨٤] ولا يفترض ان الخلفاء كتبوا مثل هذه الاوامر بانفسهم دائما ، بل غالبا ما كتبها كتابهم الخاصين • ثم تختم

(٧٧) الثعالبي ، لطائف اللطف ، ٢٢ • (٧٨) الطبري ، ٨/٢٣٧ •
(٧٩) الاصفهاني ، ٢٠/٢٤٦ •
(٨٠) الصولي ، اخبار ابي تمام ، تحقيق : محمد عبده عزام واخرين (بيروت : ١٩٨٠) ١٤٤ •
(٨١) التنوخي ، نشوار ، ٥/١١٨ ؛ الخطيب البغدادي ، ٦/٦٨
(٨٢) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٦/١٠٧ •
(٨٣) الغساني ، نزهة الظرفاء ، تحقيق : تبيلة عبدالمنعم داؤد (بغداد : ١٩٨٤) ٢٤ •
(٨٤) الاصفهاني ، ٢١/١١٧ •

الكتب بختم الخليفة • وفي حالات خاصة فقط تولى الخلفاء الكتابة بانفسهم ، واكراماً للاشخاص المعنيين • او تعبيرا عن فرط الاعجاب بالسبب الذي دعا الى هذه الهبات والعطايا •

الاوامر الشفهية : وهو ما اشار اليه النص السابق ايضا • إذ يفهم منه ان الخليفة قد يستدعي الحاجب او الوزير او غيرهما ليأمره بصرف مبلغ معين لاحد الافراد • وغالبا ما يفهم هذا من صيغة « أمر له »[٨٥] او « امر لي »[٨٦]• وقد يأتي ذلك عفوياً في غمرة فرح الخليفة او اعجابه بما ابداه احدهم، فينادي: يا وزير او يا غلام إعطه كذا وكذا • وفي بعض الاحيان يكون هذا الامر الشفهي مقصوداً ، لانه لا يسجل في الديوان • ويقال لمثل هذا الامر انه جاء « على غير صرف »[٨٧] وسنتتبع هذه المسألة لاحقا • كما ان الاوامر الشفهية جسدت ايضا جانباً من سلطات الخلفاء المالية غير المحدودة وغير المقيدة ، فكان بوسعهم الصرف والانفاق بأي شكل وفي اي وقت من دون الرجوع الى احد ما • هذا ولم ترد إشارات ، على حد ما تقصيناه ، بخصوص صيغ اخرى للصرف •

ثالثا : الجهات المسؤولة عن الصرف :

بوسعنا حصر الجهات المسؤولة عن صرف الهبات والعطايا بمستويين ، الاول مركزي ذو صلة بالادارة المركزية ، والثاني إقليمي ذو صلة بالادارة المحلية في الولايات.• فأما على المستوى الاول فيمكن تمييز الجهات الاتية :

بيت المال : حيث وردت اشارات عديدة بشأن قيام بيت المال المركزي بصرف الهبات والعطايا • من ذلك المال الذي منحه المنصور لاعمامه •[٨٨] واخذ

(٨٥) التنوخي ، الفرج ، ١/٣٦٤ • (٨٦) السابق ، ٢/١٥٥ •

(٨٧) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٥/٤٦٤ ـ ٤٦٥ •

(٨٨) الطبري ، ٨/٨٤ •

جحظة البرمكي صكه الى الجهبذ في بيت المال لاستلام الهبة المقررة له .[89] وفي غالب الظن فان الاوامر الشفهية للخلفاء الخاصة بالهبات ، كانت تصرف من بيت المال .[90] ولا غرابة في ذلك ما دام بيت المال المركزي هو المؤسسة المالية العامة الرئيسة ويمثل خزانة الدولة ومجمع اموالها .

بيت مال الخاصة : وردت اشارة واحدة ، على حد ما تقصيناه ، افادت بصرف مبلغ احدى الهبات من بيت مال الخاصة ، ان على ، يكون الصرف معجلا .[91]

بيت مال السرور : انشأه الرشيد لتغطية الانفاق على مثل هذه الاوجه . ولا يظهر ان هذا البيت عمر طويلا . لانقطاع ذكره بعد خلافة الرشيد . وعموما فان الاشارات الواردة بشأنه قليلة جدا . على الرغم من ان ابن ابي عون صنف كتابا اسماه كتاب بيت مال السرور .[92] ومما ورد بشأنه من اشارات ان الرشيد اراد منح الاصمعي مبلغا من المال قدره الف دينار من بيت مال السرور . غير ان هذا المبلغ لم يكن متاحا . فأمر بمنحه المبلغ من جهة اخرى سلفا على بيت مال السرور .[93]

الاموال المستولى عليها : وتعد مثل هذه الاموال فرصة للخلفاء ليمنحوا منها ما شاؤوا من هبات وعطايا قبل ان يجري تسجيل هذه الاموال في بيت المال . وهي بذلك تكون خارج حدود الصرف المقرر لهذا البند في ميزانية الدولة . فقد وضع الرشيد يده على تركة محمد بن سليمان ، عامله على

---

(٨٩) التنوخي ، نشوار ، ٥/٢١٨ ؛ الاصفهاني ، ٥/٢٥١ ؛ الخطيب البغدادي ، ٦٨/٦ ، ٢٥/١٣ ؛ ابن ابي اصيبعة ، ٢٤٦ .

(٩٠) انظر مثلا : الاصفهاني ، ٦٩/٢٠ ، ١١٧/٢١ .

(٩١) القيرواني ، اختيار من كتاب المتع ، تحقيق : منجي الكعبي (ليبيا : ١٩٦٧) ٢١٧ .

(٩٢) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٢٧٩/١ .

(٩٣) القالي ، الامالي (بيروت : د/ت) ١٨٣/٣ ؛ المرتضى ، الامالي ، تحقيق : محمد ابي الفضل ابراهيم (القاهرة : ١٩٥٤) ٤٦٣/١ ؛ الخطيب البغدادي ، ٩/١٤ .

البصرة ، وقدرها ستون مليون درهم . ثم وزعها جميعا هبات وعطايا قبل ان يجري تفريغها من السفن .(٩٤) كما استولى على تركة الشاعر سلم الخاسر ، ولم يكن له ورثة ، فوهب منها لبعضهم خمسين الف درهم .(٩٥)

الاموال المحمولة في اسفار الخلفاء : حيث صادف ان منح الخلفاء هبات وعطايا لبعض الافراد ، وهم في أسفارهم ، عند ذاك يكون الصرف من الاموال المحمولة في موكب الخليفة في هذه الاسفار .(٩٦)

دار الرقيق : وهي دار تنسب إليها احدى محال بغداد في الجانب الغربي .(٩٧) واقام في هذه الدار العبيد والاماء الذين شكلوا حصة الدولة الخمس من غنائم الحروب واسراها ، ولاسيما مع الدولة البيزنطية . فاودع هؤلاء في هذه الدار لحين التصرف بهم . فدخل بعضهم في خدمة دار الخلافة. في حين وهب اخرين منهم لعدد ممن اتصل بالخلفاء ، كما سبق ذكره . غير ان الاشارات الواردة بهذا الخصوص لم تذكر مصدر هؤلاء العبيد والاماء سوى اشارة واحدة مر ذكرها والخاصة بالمواليد الذكور لافراد الاسرة العباسية . حيث كان المنصور يخصص لكل منهم عددا من العبيد والاماء يقومون على رعايتهم . وكان مصدر هؤلاء دار الرقيق كما ذكر البلاذري.(٩٨)

اما المستوى الثاني من الجهات المسؤولة عن الصرف ، فتمثل بما احيل على ادارات الاقاليم . فقد منح الرشيد احد المغنين (٣٠٠) الف درهم سأله ان يختار الجهة التي يرغب في قبض المال منها ، فاختار هذا عامل الشام ابراهيم بن المهدي . فكتب اليه الرشيد كتابا بذلك . فقبض المال ثم منحه عامل الشام مبلغا اخر من عنده زيادة في اكرامه .(٩٩) ولابد من ان القصد من هذه

---

(٩٤) الطبري ، ٢٣٧/٨ . (٩٥) الاصفهاني ، ٢٩٥/١٩ .

(٩٦) السابق ، ٣٨٨/٨ .

(٩٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان (بيروت : ١٩٥٥) ٤٢٠/٢ .

(٩٨) انساب ، ١٩٧/٣ . (٩٩) الاصفهاني ، ٢٩٨/٦ .

العملية التخفيف من الضغط المالي على الخزينة المركزية . وربما تضمن ذلك ايضا الرغبة في زيادة إكرام الشخص المعني . ومن الامثلة الاخرى بهذا الصدد ان المنصور كتب لابي نخيلة بمئة الف دينار ، قبضها من عامل الري .[١٠٠] واقطع المهدي احد الافراد مالا من صوافي الحجاز .[١٠١] وكتب المأمون لاخر بحنطة وشعير قبضها من تستر[١٠٢] ومن ناحية اخرى اقطع الخلفاء عددا من الافراد اقطاعيات وقعت في اقاليم الدولة المختلفة .[١٠٣]

رابعا : آلية تنفيذ الاوامر الخاصة بالهبات والعطايا :

تتصدى هذه الفقرة لثلاثة جوانب شكلت بمجموعها آلية تنفيذ هذه الهبات وصرفها وهي : تسجيلها في الدواوين ، المصالحة عليها ، ثم ما عرف بالعطايا المعجلة او المؤجلة . تسجيل الهبات والعطايا في الديوان : يمكن تناول هذه المسألة من وجوه عديدة ، منها تسجيل الاموال والقطائع ، ومنها اسباب التسجيل ثم صيغته . فقد جرى تسجيل الاقطاعات التي امر بها الخلفاء في الدواوين المعنية ، وعُمِلَ بها « سجلا »[١٠٤] وهو (المستند) الذي يثبت عائدية القطعية لفلان . وبموجب نص السجل الذي اورده الازدي لاحدى هذه الحالات ظهر انه تضمن الاشارة الى مساحة القطيعة مع ذكر حدودها بشكل دقيق جدا لا يقبل التوهم . كما اشار الى مدة عائديتها للشخص المعني، مؤقتة او دائمة . ثم ثبتت شهادة الشهود على ذلك كله .[١٠٥]

---

(١٠٠) الصولي ، اشعار اولاد الخلفاء واخبارهم (بيروت : ١٩٧٩) ٣١٤ .

(١٠١) الجهشياري ، الوزراء ، ١٥٦ . (١٠٢) الاصفهاني ، ١١٠/١٤ .

(١٠٣) انظر الامثلة : الصابي ، المنتزع ، ٤١ ــ ٤٢ ؛ الاصبهاني ، المختار من محاضرات الادباء ، ٤٣ .

(١٠٤) انظر امثلة على ذلك : الخطيب البغدادي ، ١١٢/٢ ؛ ابن ابي اصيبعة ٢٢٥؟

(١٠٥) تاريخ الموصل ، ١٧١ ــ ١٧٢ .

وسجلت الاموال النقدية هي الاخرى في الدواوين • غير ان اياً من المصادر لم يشر الى اي من الدواوين كان يتولى هذه المهمة • ومن المتوقع ان يكون بيت المال هو المتولي لذلك • ويظهر انه جرى إفراد سجل او صفحة لكل شخص منح هبة او عطية من الخلافة ، بهدف إثبات كل ما يأخذه الشخص ويصله من اموال • ومما اكد ذلك من إشارات ان المأمون امر بالنظر في مجموع ما منحه لعلي بن هشام ، احد مساعديه المهمين ، فاذا هو خمسون مليون درهم •[١٠٦] وبعد النظر في مجموع ما منحه لاحد العلماء إتضح انه بلغ ستة ملايين درهم[١٠٧] ولما جرى إحصاء ما وصل به المعتصم قائده إشناس فاذا هو اربعون مليون درهم [١٠٨] وأمر المتوكل حاجبه ان يمضي الى الوزير عبيدالله بن يحيى ليحصي له ما وصل به احدهم ، فاذا هو (٣٠٠) الف درهم •[١٠٩]

وكان الهدف من هذه العملية التعرف على مبلغ ما وصل الى الافراد من أموال•فذلك يسهل محاسبتهم ومعاقبتهم اذا بَدَرَ منهم ما يسيىء الى الخلافة• كما انه يمكن في ضوء معرفة مقدار ما وصل الى بعضهم ، تقرير ما اذا كان بالامكان مواصلة منحهم او التوقف عند ذاك الحد • عليه فان عدم تسجيل بعض الحالات يعد مكسباً للمستفيدين منها • فذلك يعني فرصة إضافية لمزيد من المنح • فضلا عن ان عدم تسجيلها يعني سرعة الحصول على المال من دون التقيد بالروتين الاداري المتبع عند التسجيل • وقد وردت إشارات عديدة بشأن عدم التسجيل جاءت بالصيغ الاتية :« بغير صروف [١١٠] او « على

---

(١٠٦) الطبري ، ٦٢٨/٨ •

(١٠٧) الخطيب البغدادي ، ٣٧٢/٢ •

(١٠٨) ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب (دمشق : ١٩٥١) ٦٩/١ •

(١٠٩) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٤٦٣/٥ •

(١١٠) الخطيب البغدادي ، ٦٨/٧ •

غير صرف »[111] او « لم تدر في الدواوين »[112] وكل هذه التعبيرات دلت على هبات وعطايا لم تسجل في سجلات الدواوين المعنية .

وقد كشفت قصة المنحة التي وهبها الهادي لابن دأب جانبا من عملية التسجيل هذه . إذ منحه ثلاثين الف دينار . فأرسل في اليوم التالي قهرمانة الى حاجب الخليفة لاستلام المال . غير ان الحاجب تبسم له معبرا عن ان الامر ليس بهذه البساطة . ثم طلب اليه التوجه الى صاحب التوقيع (ديوان التوقيع) ليخرج له كتاباً الى الديوان ، الذي قد يكون بيت المال ، ليمر به على مجالس (اقسام) هذا الديوان « ثم يفعل به كذا وكذا ... »[113] الامر الذي دل على ان الحصول على مبلغ الهبة كان يحتاج الى اجراءات معقدة قد تستغرق وقتا طويلا . بل ربما طال الوقت الى الحد الذي بعث اليأس في نفوس العديدين . وفي بعض الاحيان ، لا تجدي حتى تدخلات الخليفة لانقاذ الموقف ، كما سيرد في بعض الامثلة . ومن هنا جاءت فكرة الهبات المعجلة والمؤجلة . فقد تخلى ابن دأب عن منحته عند تيقنه أنها ليست سهلة المنال . ولما عاد الى مجلس الخليفة للمنادمة اتنبه الى ان نعمته لم تبد على نديمه . فقد حضر بملابسه الرثة نفسها ، فلما استفسر منه عن سر ذلك . اجابه ابن دأب بتعذر حصوله على المال الذي وصله به . فأمر الخليفة صاحب بيت مال الخاصة ان يعجل له بالمال فورا ، فأحضره له .[114] لذا فقد اقاق هاجس تأخر الحصول على مبلغ الهبة والعطية العديد من الافراد حتى قال الشاعر :

إذا كانت العطية بعد مطل	فلا كانت وإن كانت جزيله
فسقيا للعطية ثم سقيا	إذا سهلت وإن كانت قليله[115]

---

(111) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٥ / ٤٦٤ — ٤٦٥ .

(112) الطبري ، ٢٣٧/٨ .

(113) السابق ، ٢٢٠/٨ — ٢٢١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١٠٦/٦ .

(114) الطبري ، ٢٢١/٨ ؛ ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١٠٦/٦ ؛ القيرواني ، اختيار ، ٢١٧ .

(115) الثعالبي ، رسائل الثعالبي (بغداد : ١٩٧٢) ٢٠٩ .

وكان الوزير سبباً ، في بعض الاحيان ، لمثل هذا التأخير ، لتأخر تأشيره على المعاملات الخاصة بذلك .[١١٦] وعلى الرغم من كل ذلك جرى في احيان عديدة استلام المبلغ في اليوم التالي ، بلا تأخير .[١١٧] كما كان بوسع المشمولين بالعطية الانصراف ، اذا كانوا جماعة ، لينوب عنهم احدهم في استلامها .[١١٨]

وامام حالات التأخير في إستلام مبلغ الهبة ، عمد الخلفاء في مرات عديدة الى سؤال الاشخاص المشمولين بها عما هو احب اليهم : مبلغ من المال معجل ام ما هو اكثر منه ولكنه مؤجل[١١٩] وحصل في مرتين في الاقل ان عمد الخليفة الى زيادة مبلغ الهبة كلما اخرها الموظف المعني اكثر . فقد منح الواثق طبيبه يوحنا بن ماسويه مئة الف درهم ثم امر الخادم بحمل المال اليه « الساعة » فلما بلغ الوقت الى العصر ، سأل الواثق طبيبه عما اذا كان المبلغ قد حمل اليه ، فأجابه بالنفي . فأمر الخليفة بجعل المبلغ مئتي الف درهم على ان يحمل « الساعة » ايضا . فلما حل العشاء ولم يحمل المبلغ الى الطبيب امر بجعله ثلثمائة الف درهم . مما دفع الموظفين الى الاسراع بحمل المبلغ قبل ان يزيد مرة اخرى .[١٢٠] وتكرر فعل الواثق هذا مع شخص آخر ايضا .[١٢١] واشر ذلك جرأة الجهاز الاداري في تعطيل اوامر الخليفة او تأخيرها . الامر الذي دل على بداية التراجع في سلطانه .

هذا وقد وردت اشارات عديدة بشأن صرف الهبات والعطايا معجلة . ومن العبارات التي حملت مثل هذا المعنى : « يا ربيع : لا ينصرف من مقامه

---

(١١٦) الصولي، ادب الكاتب، تحقيق : محمد بهجت الاثري (بيروت : د/ت)١٣٤

(١١٧) انظر مثلا : الاصفهاني ، ٢٤٦/٢ .

(١١٨) وكيع ، أخبار القضاة (بيروت : د/ت) ١٥٢/٢ .

(١١٩) انظر مثلا : الاصفهاني ، ١٠٠/١٠ ؛ النهروالي ، اخبار مكة (بيروت : ١٩٦٤) ١٠٩ .

(١٢٠) ابن ابي اصيبعة ، ٢٤٦ . (١٢١) الاصفهاني ، ٣٧٤/١٣ ـ ٣٧٥ .

الا بمائة الف درهم »[١٣٢] و « لا يخرج التميمي الا بثلاثين الف درهم »[١٣٣] و « تحمل الساعة الى منزله عشرة الاف درهم » .[١٣٤] و « امر له بخمسين الف درهم معجلة »[١٣٥] و « يا مسرور ... الا سبقته الى منزله بمائة الف درهم » .[١٣٦] ثم اشارت المصادر الى سرعة تنفيذ مثل هذه الاوامر فمما جاء في ذلك : « فحملت معه » ، « فقبضها بين يديه » « فأحضرت »[١٣٧] وجاءت اوامر التعجيل بالصرف بالتماس من الافراد المعنيين بها احيانا .[١٣٨]

اما الجانب الاخر من آلية التنفيذ فهو ما عرف بـ « المصالحة » وقد إتصلت بالهبات المؤجلة بشكل رئيس . ففيها إتيحت الفرصة للموظف المعني بمساومة الشخص على هبته . فبحسب ما ورد من اشارات ، امتنع خازن بيت المال او غيره من الموظفين ، عن دفع المبلغ الى صاحبه ، إلا اذا وافق على التنازل لهم عن نسبة من المال . وبشرط عدم البوح للخليفة بذلك . وبعكسه فان مبلغ الهبة يمكن ان يتأخر الى ما شاء الله . وقد اختلف مقدار هذه المصالحات من حالة الى اخرى . فصولح بعضهم على نصف المبلغ .[١٢٩] وصولح بعضهم الاخر على ربعه .[١٣٠] وصولح غيرهم على الثلث .[١٣١] واذا كانت المنحة إقطاعا . فان المصالحة تجري على مبلغ من المال يتم الاتفاق على

---

(١٣٢) القالي ، ذيل الامالي والنوادر (بيروت : د/ت) ٢٢٢ .
(١٣٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، تحقيق : د. احسان عباس (بيروت : د/ت) ٢٩٦/٢ .
(١٣٤) الزجاجي ، ٣٨ .
(١٣٥) المسعودي ، ٤٢٩/٣ .
(١٣٦) الاصفهاني ، ٢٣٨/٥ .
(١٣٧) انظر على وفق الترتيب الاتي : القالي ، الامالي ، ٢٢٢/٣ ؛ الطبري ، ٣٤٩/٨ ؛ الاصفهاني ، ٨٨/١٩ .
(١٢٨) انظر مثلا : التنوخي ، المستجاد ، ٢٠١ ؛ ابن عبدربه ، العقد الفريد ، تحقيق احمد امين واخرين (بغداد : ١٩٦٧) ١٠٧/١ .
(١٢٩) الخطيب البغدادي ، ٣٣٩/٣ .
(١٣٠) الطبري ، ٢٢٤/٨ ؛ ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١٠٧/٦ .
(١٣١) الجاحظ ، التاج ، ٤٤ .

مقداره بين الطرفين .[١٣٢] وما هو طريف في الامر ان الخلفاء كانوا على دراية بأمر هذه المصالحات في بعض الاحيان ، بل ربما ابتسموا لها بلا اتخاذ اجراء ما للحد منها .[١٣٣]

وفضلا عن المصالحة هناك المماطلة ايضا . التي قادت احيانا الى عدم دفع المبلغ الى مستحقه . فماطل البرامكة كثيرا في دفع هبات الرشيد الى مستحقيها .[١٣٤] وماطل وزير المعتصم احد الملهين بالمال الذي وهبه له الخليفة فلم يعطه له .[١٣٥] وربما احتاج الامر احيانا الى التوسط لدى المقربين من خازن بيت المال للحصول على مبلغ الهبة .[١٣٦] وجرى في احيانا اخرى تقسيط المبلغ على اقساط صغيرة ومتباعدة حتى يكتمل قبضه .[١٣٧] ومن ناحية اخرى ، فان المبلغ قد يصل الى صاحبه على الرغم من إقامته في اماكن بعيدة . فقد وصلت منحة المتوكل الى احد الشعراء حيث يقيم في اليمامة .[١٣٨] ووصلت الجائزة الى شاعر آخر كان يقيم في الحجاز .[١٣٩]

خامسا : عطايا الاجراء والرسم :

وتعني قرار الخليفة بمنح مبلغ ثابت من المال لفرد او مجموعة من الافراد يتقبض في كل شهر او عام من احد المصادر الحكومية . فقد منح المهدي المغني ابن المولى هبة ثم امر صاحب الجاري ان يجري له ولعياله ما يكفيهم في كل سنة . ثم الحقهم في شرف العطاء .[١٤٠] وامر لابي العتاهية بخمسة الاف درهم

---

(١٣٢) الجهشياري ، الوزراء ، ٢٣٣ - ٢٣٤ .
(١٣٣) انظر مثلا : السابق : نفس الصفحات .
(١٣٤) الطبري ، ٩/١٢٦ - ١٢٧ . (١٣٥) السابق ، ٩/١٩ .
(١٣٦) انظر مثلا : الاصفهاني ، ٤/٥٨ - ٥٩ .
(١٣٧) ابن الطقطقا ، الفخري في الاداب السلطانية (بيروت : د/ت) ١٧٥ .
(١٣٨) الخطيب البغدادي ، ١٣/١٥٤ . (١٣٩) الاصفهاني ، ١٨/١٩١
(١٤٠) السابق ، ٣/٢٩٦ .

وجعل له وفادة في كل سنة .[141] وتعني عطية متصلة سنويا . كما اجرى على المديني رزقاً « واسعاً »[142] واجرى الرشيد على الشاعر دعبل الخزاعي رزقاً سنياً .[143] واجرى على احد الفقهاء مئتي دينار عند مطلع كل شهر . خيّره بقبضها من اي بلد احب .[144] واجرى ايضا لاعرابي صادفه في طريقه واعجبته مزاياه الشخصية .[145] ثم اعتق جارية واجرى لها جراية .[146] واجرى المأمون لاحد ابناء العامة ، اظهر معارضة سياسية ،جراية سنوية قدرها الف دينار لاصلاح حاله .[147] كما اجرى الواثق لاحد الافراد جراية شهرية قدرها مئة دينار .[148]

أما الشكل الاخر من عطايا الاجراء والرسم ، فكان ذا طبيعة جماعية.منه « مال البيعة » الذي منحه الخلفاء عند اول اعتلائهم لسدة الخلافة . شمل فرق الجند الرئيسة لكسب ولائها وتأييدها . ويُعتقد ان الهادي اول من إبتدع ذلك .[149] ثم اصبحت مبالغ هذا المال مكلفة للغاية ، ولاسيما في الادوار التي كانت فيها مالية الدولة في تراجع مستمر . حتى عمد الخليفة القاهر الى مصادرة اموال ام المقتدر وبيع دار الوزارة التي بالمخرم — من محال بغداد في الجانب الشرقي — وبيع املاك وضياع سلطانية اخرى ، لتسديد مال البيعة .[150] ومن امثلة الجراية الجماعية ايضا ما كان المهدي قدره للطالبيين من ارزاق واعطيات منظمة ، اسقطها المهدي عند توليه الخلافة .[151]

---

(١٤١) السابق ، ٢١٧/٣ . (١٤٢) الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ٣٠ .
(١٤٣) الاصفهاني ، ١٩٤/٢٠ . (١٤٤) ابن قتيبة ، ١٧٠ .
(١٤٥) الاقليدي ، ٨٣ .
(١٤٦) القاريء ، مصارع العشاق ، تحقيق : كرم البستاني (بيروت : د/ت) ٣٥/١ . (١٤٧) ابن وادران ، ٣٢٩ — ٣٣٠ .
(١٤٨) الاندلسي ، ٨٨ . (١٤٩) الطبري ، ١٨٧/٨ — ١٨٨ .
(١٥٠) الهمذاني ، تكملة تاريخ الطبري ، ضمن الجزء الحادي عشر من تاريخ الامم والملوك ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ .
(١٥١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي (بيروت : د/ت) ٤٠٤/٢ .

وقريب من الاجراء ما عرف بالرسم • فقد اعطى كل من المهدي والرشيد الشاعر مروان بن ابي حفصة الف دينار على كل بيت شعر انشده في قصيدتين له • فصار ذلك « رسماً له عندهم » حتى وفاته •[١٥٢] وقريب من ذلك ايضا ما عرف بـ « الوظيفة » حيث اعتاد ابو العتاهية على تقديم هدية للمأمون حملها اليه في كل سنة عند اوبته من موسم الحج • فكان المأمون يرد عليه بهدية مقابلة دعيت « وظيفة »[١٥٣]

سادساً : فئات المشمولين بالهبات والعطايا :

أشرنا في الصفحات السابقة الى معظم الفئات التي شملتها الهبات والعطايا • مثل اقارب الخليفة وكبار رجال الدولة ورجال الحاشية والندماء والفقهاء والعلماء والادباء والمغنين • لذا سنشير هنا الى الهبات الممنوحة لافراد من العامة والاخرى ذات الطبيعة الجماعية •

فقد اعطى المهدي افرادا من العامة ، ولاسباب عديدة • فسمع في مرة دعاء احد الافراد وهو ينال منه ، فاستدعاه واعطاه تألفاً لقلبه •[١٥٤] واعطى آخر لما رأى من فصاحته وطلاقة لسانه •[١٥٥] ثم اعطى لاخر قصّ عليه رؤيا صالحة رآها فيه •[١٥٦] واعجب المأمون هو الاخر بفصاحة احد الافراد فأعطاه وقومه •[١٥٧] وكان المتوكل اذا ركب في موكبه حملت معه الدراهم والدنانير مخلوطة ، فلا يدنو منه احد الا قال : « يا غلام إضرب يدك أحثُ له » •[١٥٨]

---

(١٥٢) الاصفهاني ، ٩٦/١٠ ؛ التنوخي ، الفرج ، ٣٧٨/١ – ٣٧٩ •

(١٥٣) العباسي ، ٢٨٩/٢ – ٢٩٠ •

(١٥٤) القيرواني ، جمع الجواهر ، تحقيق : محمد علي البجاوي (القاهرة : ١٩٥٣) ١٩ •

(١٥٥) السابق ، ١٢٣ •

(١٥٦) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى (القاهرة : ١٩٦٣) ١٤٥/١ •

(١٥٧) ابن وادران ، ٢٨٧ ، ٣٢٥ ، ٣٨٤ •

(١٥٨) الزمخشري ، ٧٠١/٣ •

أما الهبات الجماعية ، فمنها ما اعطي لاهل الحرمين في مواسم الحج . حيث فرق المهدي فيهم عشرات الملايين من الدراهم سوى المواد العينية . وذلك في مرة واحدة .(١٥٩) بل انه حفر نهرا من اعمال واسط أحيا به اراضي واسعة، خصصت غلاته لصلات اهل الحرمين . وما انفق هناك على صيانة الاماكن المقدسة . حتى سمي النهر بنهر الصلة . فكان الشرط على من سقى من هذا النهر المقاسمة على الخمسين ولخمسين سنة .(١٦٠) فشكل ذلك مصدرا ثابتا لصلات اهل الحرمين . كما فرق المعتصم فيهم اموالا كثيرة ، منها تفريق عشرين الف دينار على القرشيين والانصار حصرا .(١٦١) ومن هذا القبيل ايضا ما قدم لفئات من الناس تحت وطأة ظروف خاصة . فوزع المهدي اموالا كثيرة على « الاعراب » في احدى سنوات الجفاف . بعد التثبت من اعرابيتهم باختبارهم. لان الجفاف كان قد اصاب مناطقهم دون سواهم .(١٦٢) وشبيه بذلك ما منح للمتضررين من الحرائق العامة التي اصابت الاسواق مرارا . فقد عوض المعتصم تجار الكرخ عما احترق لهم من اموال . وتولى قاضي القضاة ، احمد بن ابي دؤاد توزيع هذه الاموال .(١٦٣) كما عوض الواثق فقراء تجار الكرخ ايضا بما قيمته مليون درهم عندما اكلت النيران دكاكينهم .(١٦٤) ومن الهبات الجماعية ما منح للقادة والجند من « جوائز » في بعض المعارك التي انتصروا فيها على خصوم الدولة .(١٦٥) بل اغدقت الهبات على القادة والجند الاتراك في العصر العباسي الثاني لما حققوه من نفوذ وسطوة لا تضاهى . فكانت تخصص

---

(١٥٩) النهروالي ، ٩٩ . (١٦٠) قدامة ، الخراج ، ١٧٠ .

(١٦١) الجاجرمي ، نكت الوزراء ، تحقيق : نبيلة عبدالمنعم داؤد على الالة الكاتبة (بغداد : ١٩٨٤) ٥٤ .

(١٦٢) الزجاجي ، ٣٤٥ . (١٦٣) وكيع ، ٢٩٨/٣ .

(١٦٤) ابن الكازروني ، ١٤٣ .

(١٦٥) انظر : د. عبدالوهاب خضر الياس ، نظام رواتب الجيش العباسي في العراق ، مجلة المجمع العلمي (بغداد : ١٩٩٧) حـ٤ م٤٤ ص١٥٥ .

لهم « الجوائز والهبات » فضلا عن رواتبهم .[١٦٦] وكان تألف قلوب العامة هدفا ايضا لبعض الهبات الجماعية . وهو ما امر به المعتضد عندما بلغته انباء اجتماع افراد من اهل السوق عند احدهم للنيل من الدولة وسياستها ، حتى تفاقم امرهم . فأمر وزيره بتتبع امرهم وتقصي احوالهم . فمن كان منهم فقيرا سيء الحال ، وصله من بيت المال ، ففعل ذلك فزال امرهم .[١٦٧]

*

(١٦٦) المسعودي ، مروج ، ٦٦/٤ .

(١٦٧) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم (بغداد : ١٩٩٠) ١٣٦/٥ - ١٣٧ .

الخلاصة :

يكشف لنا مجمل ما تقدم ان الهبات والعطايا اكدت جوانب مهمة في فلسفة السلطة السياسية الحاكمة انذاك . من ذلك منطق الرعية . فالخليفة راعٍ يحنو على رعيته ويكرمها . ويتتبع احوالها ويتقصاها ومعالجة ما ينتابها من ضعف . كما ان الهبات والعطايا كانت بمثابة تأكيد لخصلة عربية مهمة سعى الخلفاء الى التحلي بها وهي الكرم والسخاء ، وقد حرص معظمهم على التمسك بها . كما ان ذلك مدعاة لقبول الرعية بالخليفة راعياً لها . وذلك ما صب بدوره في إطار الرعاية السياسية وتألف قلوب الرعية . غير ان اعتماد هذا الاسلوب في التعامل مع المالية العامة خدم بالدرجة الرئيسة الاغراض السياسية والدعائية دون تحقيق قدر مقبول من العدالة في منح هذه الاموال . فبموجب هذا الاسلوب نال افراد قلائل هبات وعطايا متكررة . قابل ذلك حرمان الكثيرين منها ، لانه لم تتح امامهم فرصة الوصول الى الخليفة ، كما انها غالباً ما كانت عشوائية غير منظمة ، لم تعتمد معيارا موضوعيا . بل كانت معاييرها ــ الهبات والعطايا ــ ذاتية غير متوازنة . تمثلت بمدى ما قدمه الافراد من مدح وثناء او تسلية او تحقيق ولاء مميز ، كل ذلك لشخص الخليفة . وفي حالات قليلة جرى اعتماد معيار المصلحة العامة في المنح والهبة . وذلك كله مثل نظاما سياسيا قام على الابوية والذاتية بالدرجة الرئيسة .

جدول تفصيلي بهبات الخلفاء العباسيين وعطاياهم

الخليفة	الشخص المستفيد	فئته الاجتماعية: الخاصة	الشعراء	العلماء	المغنون	العسكريون	العامة	نوع الصلة: عينية	مالية: بالدرهم	بالدينار	مصدر المعلومة
أبو العباس	عبدالله بن حسن	x							١٠٠٠٠٠٠		الخطيب ٩/٤٢٢
	ابو دلامة		x					ضيعة			الجاحظ، الحيوان، ٧/١١
	المجموع								١٠٠٠٠٠٠		
ابو جعفر المنصور	أبو دلامة		x						١٠٠٠٠		القيرواني، جمع الجواهر،
	الامام المنصور	x							١٠٠٠٠٠٠٠		المسعودي، ٢/٣٠٨
	داود بن علي	x						نهر الصبيين			قدامة، ١٧٠
	العباس بن علي	x						قطيعة			ابن الفقيه، ٥١
	أحد الأفراد						x	دار			الاصفهاني، ١٠/١٨
	ابو نخيلة		x							١٠٠٠٠٠	الصولي، أشعار،
	احد الأفراد						x		١٠٠٠٠٠		القالي، ٢/٢٢٢
	احد الأفراد						x		٢٠٠٠٠		ابو هلال العسكري،
	التيمي		x						٢٠٠٠٠		ابن خلكان، ٧/٩٦
	اسماعيل بن عبدالله					x		اقطاع			الأزدي، ٢١٤
	بنات عيسى بن نهيك	x							١٨٠٠٠		الجاحظ، التاج، ٤٤
	أبو دلامة		x					ألف جريب			الجهشياري، الوزراء،
	احد العارفين						x		١٠٠٠٠٠		التنوخي، المستجاد،
	احد الأفراد						x		٢٠٠٠٠		المسعودي، ٢/٤٤٧
	ابو دلامة		x						١٠٠٠٠		القيرواني، جمع الجواهر،
	ابن هرمة		x						١٠٠٠٠		السابق، ١٠٢
	محمد بن جعفر العسكي	x						٢ ضياع			الخطيب، ٢/١١٢
	احد الأفراد						x		٥٠٠٠٠		ابن الطقطقا، ٧٥
	معن بن زائدة					x			١٠٠٠٠		الطبري، ٧/٥٠٨
	نوبخت المنجم			x				ألفا جريب			السابق، ٧/١٤٨
	محمد بن سليمان	x							٢٠٠٠٠		السابق، ٨/٧٧
	جعفر بن سليمان	x							١٠٠٠٠		السابق، ٨/٧٧
	أحد الأفراد						x		١٠٠٠٠		السابق، ٨/٨٥
									١٠٥٩٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	

الخليفة	الشخص المستفيد	فئته الاجتماعية: الأقارب	الشعراء	العلماء	المغنون	الموظفون	العامة	نوع الصلة: عينية	مالية: بالدرهم	مالية: بالدينار	مصدر المعلومة
المهدي	أهل الحرمين	x							٢٠٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	النهروالي، ٩٩
	ابن المولى				x				١٠٠٠٠		الاصفهاني، ٩٦/٢
	أبو العتاهية		x						٥٠٠٠		السابق، ١٧/٣
	شعبة بن الحجاج		x					ألف جريب			الخطيب، ٥٦/٩
	دحمان				x				٥٠٠٠٠		الأصفهاني، ٢٠/٦
	مطيع بن إياس							ولاية			السابق، ٢٤٤/٢
	عمارة بن حمزة					x			٥٠٠٠٠		ياقوت، ١١٥/٦
	بشار بن برد		x					عبد وجارية	١٠٠٠٠		الأصفهاني، ١٠/٣
	أحد الأفراد						x		١٠٠٠٠٠		ابن عبد ربه، ١٢٨/١
	أعرابي						x		٢٠٠٠٠		المسعودي، ٢١١/٢
	أبو العتاهية		x						١٠٠٠٠٠		السابق، ٢١٦/٢
	أحد الأفراد						x		٢٠٠٠٠		النهروالي، ١٠٩
	أحد الأفراد						x		٥٠٠٠٠		القيرواني، جمع الجواهر، ١٠٢
	ابن ثوبان		x						١٠٠٠٠		السابق، ١٠٥
	أبو دلامة		x						٤٠٠٠		السابق، ١١٢
	عبد الله بن مروان	x							١٠٠٠٠		اليعقوبي، ٢٩٤/٢
	يعقوب بن داود					x			١٠٠٠٠٠		الطبري، ١١٩/٨
	عيسى بن موسى	x							١٠٠٠٠٠٠		السابق، ١٢٢/٨
	أولاد مسلمة	x								٢٠٠٠٠	السابق، ١٤٤/٨
	مروان بن أبي الجنوب		x						٧٠٠٠٠		السابق، ١٨٢/٨
	المجموع								٤١٧٩٠٠٠	٥٢٠٠٠٠	
الهادي	أبو العتاهية		x						١٠٠٠٠		الأصفهاني، ٥٨/٤
	إسحاق الموصلي				x				٧٠٠٠٠٠		الجاحظ، التاج، ٤٤
	ابن دأب		x						٤٠٠٠٠		ياقوت، ١٠٧/٦
	ابن دأب		x							٢٠٠٠٠	القيرواني، المحتوى، ١٧
	ابن دأب		x						٥٠٠٠٠		ياقوت، ١٠٧/٦
	مروان بن أبي حفصة		x						٢٠٠٠٠		الأصفهاني، ١٠٠/١٠

الشخص المستفيد	فئته الاجتماعية: الأقارب	الشعراء	العلماء	المغنون	الكتاب والوزراء	القادة	نوع الصلة: عينية	مالية: بالدرهم	بالدينار	مصدر المعلومة
ابراهيم الموصلي				x					٥٠٠٠٠	الاصفهاني ، ٥ / ٢١٠
المجموع								٨٢٠٠٠٠	٨٠٠٠	
احد الافراد						x		٢٠٠٠٠		الطبري ، ٩ / ١٢٦
ابراهيم الموصلي				x				٤٠٠٠٠		الاصفهاني ، ٥ / ١٨١
احد الفقهاء			x						٤٠٠	ابن قتيبة ، الامامة ، ٢٠١
الفضل بن الربيع					x			٢٥٠٠٠٠٠		الجهشياري ، الوزراء ، ٢٨٩
منصور بن زياد					x			١٠٠٠٠٠٠		البيهقي ، ٥١٠
احد المغنين							بيت وضيعة			الاصفهاني ، ٢ / ٢٠٠
الاصمعي			x				جارية			الاتليدي ، ٨٢
شاعر		x					١٠٠ من الابل			الزجاجي : مجالس العلماء ، ١٤٤
اسماعيل بن صالح	x						ولاية			الاتليدي ، ٨١
فئات مختلفة								٦٠٠٠٠٠٠		الطبري ، ٨ / ٢٢٧
مروان بن أبي حفصة		x					١٠ رقيق		٥٠٠٠	السابق ، ٨ / ٢٤٩
ابراهيم الموصلي				x				٢٠٠٠٠		الاصفهاني ، ٦ / ٢٩٨
عبد الملك بن صالح	x							٤٠٠٠٠٠		التنوخي ، الفرج ، ١ / ٢٦٤
احد الافراد						x		١٠٠٠٠		الاصفهاني ، ٥ / ٢٢٨
احد الشعراء		x						٢٠٠٠٠		السابق ، ٨ / ٢٨٨
الاصمعي			x						١٠٠٠	القالي ، ذيل الامالي ، ١٨٢
ابو العود		x						٢٠٠٠٠		الطبري ، ٩ / ١٢٦
مغني				x			دار وضيعة			الاصفهاني ، ٢ / ٢٠٠
مغني				x					٤٠٠٠	المسعودي ، ٣ / ٢٦٢
مغني				x					٢٠٠٠	التيرواني ، جمع الجواهر ، ٨٠
المفضل			x					١٠٠٠٠		الزجاجي : مجالس العلماء ، ٢٨
الفضل بن الربيع					x				٤٠٠٠٠	الطبري ، ٨ / ٢٥١ .
المأمون	x								١٠٠٠٠	السابق ، ٨ / ٢٦١
بنو هاشم	x								١٠٥٠٠٠	السابق ، ٨ / ٢٦٦
المجموع								١٠٩٧٠٠٠٠	١٥٦٢٠٠	

الخليفة	الشخص المستفيد	فئته الاجتماعية: الأسرة	الشعراء	العلماء	المغنون	الموظفون	العامة	نوع الصلة: عينية	مالية: بالدرهم	بالدينار	مصدر المعلومة
الأمين	عبد الله بن أيوب		x						٢٠٠٠٠٠		الخطيب، ٢/ ٢٢٩
	مغني				x				١٠٠٠٠٠		الأصفهاني، ٢٠/ ٥٨
	ابراهيم بن المهدي	x								٢٠٠٠٠	المرزباني، الموشح، ٤٠٩
	ابراهيم بن المهدي	x							٧٠٠٠٠٠		التنوخي، الفرج، ٢/ [illegible]
	علي بن عيسى					x				٣٠٠٠٠	الطبري، ٨/ ٦٩٠
	ابن علي بن عيسى					x				٥٠٠٠	نفسه
	احد الافراد						x		١٠٠٠٠		الأصفهاني، ٤/ ٢٠٨
	المجموع	.							١٠١٠٠٠٠	٥٥٠٠٠	
المأمون	مغني				x			ولاية			الأصفهاني، ١٤/ ٧٧
	احد الافراد						x	ولاية			الإسكافي، ٦١
	احد الافراد						x			١٠٠٠	ابن وادران، ٢٢٠
	أبو العتاهية		x						٣٠٠٠٠		الأصفهاني، ٤/ ٧٧
	العباس بن المأمون	x								٥٠٠٠٠٠	الطبري، ٨/ ٦٣٠
	المعتصم	x								٥٠٠٠٠٠	نفسه
	عبد الله بن طاهر					x				٥٠٠٠٠٠	نفسه
	محمد بن صالح	x							٣٠٠٠٠٠٠		اليعقوبي، ٢/ ٤٥٤
	محمد بن الرضا	x							٣٠٠٠٠٠٠		نفسه
	عدد من الفقهاء			x					٥٠٠٠٠		وكيع، ٢/ ١٥٣
	محمد بن عباد					x			١٠٠٠٠٠		الزمخشري، ٢/ ٢٠٢
	خالد بن أحمد					x			٣٠٠٠٠٠		نفسه
	احد الافراد						x			٢٠٠٠	الطبري، ٨/ ٦٥٥
	السيدة زبيدة	x							١٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	الأصفهاني، ٢٠/ ٢١٧
	الحسن بن سهل					x			١٠٠٠٠٠٠٠		ابن طيفور، ١١٥
	طاهر بن الحسين					x				٢٠٠٠٠٠	الأصفهاني، ١٢/ ٣٣٣
	والي السند					x			٤٠٠٠٠٠٠		ابن طيفور، [illegible]
	يحيى بن خاقان					x			٥٠٠٠٠٠٠		الجهشياري، [illegible]
	احد الاطباء							اقطاع			ابن أبي أصيبعة، [illegible]

الشخص المستفيد	الأمراء	الوزراء	العلماء	المغنون	العسكريون	العامة	عينية	مالية بالدرهم	مالية بالدينار	مصدر المعلومة
أحد الأفراد						X	حنطة وشعير			الأصفهاني، ١٤/١١٠
صالح بن علي	X						ولاية	٩٠٠٠٠٠٠		التنوخي، الفرج، ٢/٢٧٢
قادة الجند					X			٢٤٠٠٠٠٠		الطبري، ٨/٦٥٢
أحد الفقهاء			X					٦٠٠٠٠٠		الخطيب، ٢/٢٧٢
شيخ من العامة						X			١٠٠٠	ابن واذران، ٢٨٧
أحد الأفراد						X		٢٠٠٠٠٠		ابن رشيق، ١/٧٠
حميد بن الحميد					X			١٠٠٠٠		الطبري، ٨/٦٥٩
أحد النحويين			X					٥٠٠٠٠		القالي، ٢٤٠
علي بن هشام					X			٥٠٠٠٠٠٠		الطبري، ٨/٦٢٨
رجل من العامة						X		٥٠٠٠٠		المسعودي، ٢/٤٢٩
رجل من العامة						X			٤٠٠٠	السابق، ٢/٤٢٠
رجل من العامة						X			١٠٠٠	السابق، ٢/٤٢٧
الواقدي			X						١٠٠٠	السابق، ٢/٤٤٧
٦ من العامة						X			٦٠٠٠	نفسه
أعرابي						X			١٠٠٠	القيرواني، جمع الجواهر، ٢٠
المجموع								١٠٥٥٨٠٠٠٠	١٩١٨٠٠	
تجار الكرخ						X		٥٠٠٠٠٠٠		التنوخي، نشوار، ٢/١٠١
مغني				X				٧٠٠٠٠٠		الخطيب، ١٢/٢٥
أهل الحرمين	X								٢٠٠٠٠	الجهشياري، ٥٤
الشاشي					X			٤٠٠٠٠٠٠		ابن العديم، ١/٦٩
شيخ من العامة						X		٤٠٠٠		المسعودي، ٢/٤٦٤
سليمان بن عبد الله	X							٥٠٠٠٠		السابق، ٢/٤٦٩
الأفشين					X			٢٠٠٠٠٠٠		الطبري، ٩/٥٥
سهل بن سنباط					X			١٠٠٠٠٠٠		السابق، ٩/٥٤
معاوية بن سهل					X			١٠٠٠٠٠		نفسه
المجموع								٦٦٨٥٤٠٠٠	٢١٠٠٠	

الخليفة	الشخص المستفيد	فئته الاجتماعية: العامة	الشعراء	العلماء	المغنون	العسكريون	التجار	نوع الصلة: عينية	مالية: بالدرهم	بالدينار	مصدر المعلومة
الواثق	تجار الكرخ						X		١٠٠٠٠٠٠		ابن الكازروني، ١٤٢
	يوحنا بن ماسويه			X					٢٠٠٠٠		ابن أبي أصيبعة، ٢٤٦
	أحد الأطباء			X						١٠٠٠٠	الأصفهاني، ١٢/٢٧٤
	أحد النحويين			X						١٠٠	الأندلسي، ٨٨
	أعرابي						X			١٠٠٠	المسعودي، ٣/٤٨٠
	عمارة بن عقيل		X						٢٠٠٠٠		الطبري، ٩/١٤٦
	المجموع								١٦٠٠٠٠٠	١١١٠٠	
المتوكل	أحد الأطباء			X				ضيعة		٢٠٠٠	ابن أبي أصيبعة، ٢٢٥
	مروان بن أبي الجنوب		X					ضيعة			الطبري، ٩/٢٢٢
	عالية				X				٢٠٠٠٠		ياقوت، ٥/٤٦١
	علي بن يحيى			X						٢٠٠٠٠	ياقوت، ٥/٤٦٢
	مروان بن أبي الجنوب		X							٦٠٠٠	الخطيب، ١٢/١٥٤ـ٥
	مروان بن أبي الجنوب		X						٥٠٠٠٠		نفسه
	مروان بن أبي الجنوب		X						١٢٠٠٠٠		نفسه
	أحد الهاشمية	X							١٠٠٠٠٠		السابعه، ٧/١٦٨
	أبو العنبس		X						١٠٠٠٠		المسعودي، ٤/٩ـ١٠
	البحتري		X						١٠٠٠٠		نفسه
	أحد المصريين						X		١٠٠٠٠		نفسه
	أحد الملاحين						X		١٠٠٠٠		السابعه، ٤/١٧
	الجاحظ			X					١٠٠٠٠		نفسه
	الحسين الخليع		X							٤٠٠٠	السابق، ٤/٤١
	البحتري		X						١٠٠٠٠		الصولي، أخبار البحتري، ٨٤
	شاعر		X						٢٠٠٠٠		السابق، ٩٢
	مروان بن أبي الجنوب		X						١٠٠٠٠		الطبري، ٩/٢٢١
	المجموع								٦٦٠٠٠٠	٢١٢٠٠٠	
	المجموع الكلي								٢٢٨,٩٠٢,٠٠٠	٥,٠٠٧٥,٢٠٠	

- ز -

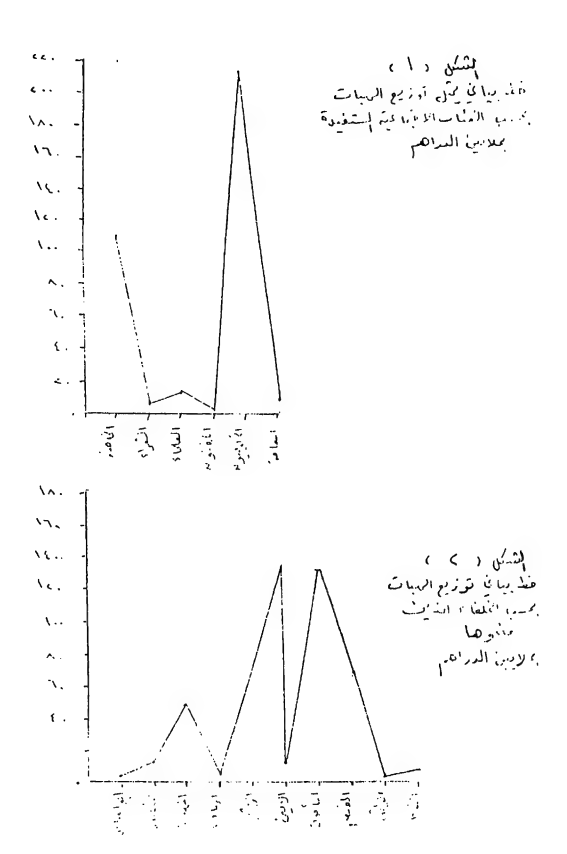
جدول رقم (٢)

جدول يبين توزيع مبالغ الهبات بحسب الخلفاء والفئات الاجتماعية بالدراهم ......

الفئة	ابو العباس	المنصور	المهدي	الهادي	الرشيد ×	الأمين	المأمون	المعتصم	الواثق	المتوكل	المجموع
الخاصة	١ ٠٠٠ ٠٠٠	١٠ ٢١٠ ٠٠٠	٤٢ ٨١٠ ٠٠٠	—	٢٧ ٢٥٠ ٠٠٠	٥ ٢٠٠ ٠٠٠	١٧ ٤٥٠ ٠٠٠	٢٥٠ ٠٠٠	—	١٠٠ ٠٠٠	١٠٩ ٢٧٠ ٠٠٠
الشعراء	—	١ ٥٦٠ ٠٠٠	١٩٩ ٠٠٠	٥٨٠ ٠٠٠	١٢٥ ٠٠٠	٢٠٠ ٠٠٠	٢٠٠ ٠٠٠	—	٢٠٠ ٠٠٠	٢٨٠ ٠٠٠	٢ ٧٧٤ ٠٠٠
العلماء	—	—	—	—	٢٨ ٠٠٠	—	٦ ١١٥ ٠٠٠	—	٢١٦ ٥٠٠	٤ ٩٦٠ ٠٠٠	١١ ٤١٩ ٥٠٠
المغنون	—	—	٦٠ ٠٠٠	٧٥٠ ٠٠٠	٦٠٥ ٠٠٠	١٠٠ ٠٠٠	—	٧٠٠ ٠٠٠	—	٢٠٠ ٠٠٠	٢ ٥١٥ ٠٠٠
الكوفيون	—	١٠ ٠٠٠	٦٠٠ ٠٠٠	٧٠٠ ٠٠٠	٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٢ ٧٥٠ ٠٠٠	١٠٥ ٩١٠ ٠٠٠	٦١ ١٠٠ ٠٠٠	—	—	٢١٦ ٩٧٠ ٠٠٠
العامة	—	٢١٠ ٠٠٠	٢١٠ ٠٠٠	—	١٢٠ ٠٠٠	١ ٠٠٠	٥٠٠ ٥٠٠	٥ ٤٠٠ ٠٠٠	١ ٠١٥ ٠٠٠	٢٠ ٠٠٠	٧ ٥٩٥ ٥٠٠
المجموع	١ ٠٠٠ ٠٠٠	١٢ ٠٩٠ ٠٠٠	٤٨ ٨٧٩ ٠٠٠	٢ ٠٣٠ ٠٠٠	٧٣ ١٤٨ ٠٠٠ + ٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٩ ٢٦٠ ٠٠٠	١٢٩ ٢٦٠ ٥٠٠	٦٧ ٥٥٠ ٠٠٠	١ ٦٧١ ٥٠٠	٥ ٧٦٠ ٠٠٠	٢٥٠ ٧٤٢ ٥٠٠ + ٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠

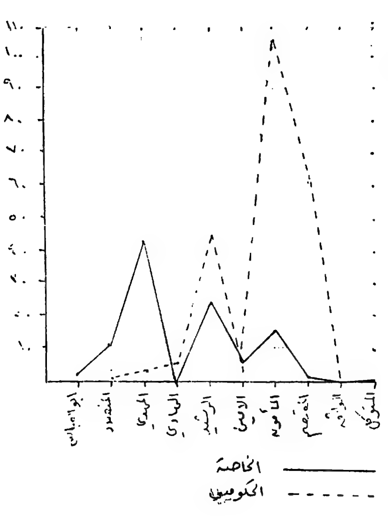
ملاحظة: جرى تحويل الدنانير الى دراهم باعتبار أن معدل الصرف هو خمسة عشر درهماً للدينار

× تم اضافة (٦٠) مليون درهم الى مجموع عطايا الرشيد وهو المبلغ الذي لم تذكر مصادر الجهات والفئات التي استفادت منه فعلاً



الشكل (١)
خط بياني يمثل توزيع الهبات
حسب الفئات الاجتماعية المستفيدة
بملايين الدراهم

الشكل (٢)
خط بياني توزيع الهبات
حسب الخلفاء الذين
منحوها
بملايين الدراهم



الشكل (٣)
لبيان تمثل حركة استفادة
من الخاصة والكوميين من
الهبات بحسب الخلفاء
لايين الدراهم

شبكات المعلومات(*)

١ ـ المقدمة :

ان التطور السريع في أجهزة الحواسيب وأجهزة الاتصالات سرعت من التقدم في النظم المعلوماتية من حيث خزن حجم هائل من المعلومات والوثائق والاسترجاع السريع والتبادل والمشاركة لقواعد المعلومات في مختلف أنحاء المعمورة فضلا عما شهده موضوع أمنية البيانات والمعلومات من أهتمام كبير أدى الى تطور أجهزة المحافظة على البيانات والحاسبات وبرمجياتها من الاختراق أو الوصول غير المشروع ، كما حدثت مؤخراً تطورات متسارعة في مجال نوع المعلومات المتعامل بها حيث شملت الصورة والصوت والافلام الفيديوية وصور الاستشعار عن بعد واستخدام اللغات في الترجمة الآلية أو تحليل الكتابة المطبوعة وتكوينها أو المخطوطة باليد والكلام مما أدى الى خلق ثورة معلوماتية في أواخر هذا القرن سيكون لها الاثر الكبير علىالمسيرة التنموية لأي بلدمن بلدان العالم • لذلك يعد موضوع بناء نظم المعلومات وقواعدها وربطها بشبكة وطنية من الامور التي تساعد على الاستخدام الامثل للمعلومات بهدفرفع مستوى الأداء في الخدمات وتحسين الانتاج ، والرقي في مجال البحث العلمي الى المستوى الذي يتجاوز الفجوة القائمة بين البلدان النامية والمتقدمة • اهتم عدد من دول العالم المتقدم في السابق وتبعها عدد كبير من دول العالم الثالث في الاهتمام بموضوع رسم السياساتوالستراتيجات الوطنية وانشاء الهياكل الوطنية التي تهتم بموضوع المعلومات من حيث توفيرها ووضع السياسات والاجراءات والمعايير الوطنية الكفيلة بتوفيرها ونشر استخدامها من خلال شبكات معلومات وطنية ، واتخاذ الاجراءات الأمنية لحماية المعلومات والشبكات من الخروقات والتدخلات الخارجية غير المخول بها • لذلك تم تأسيس عدد من المراكز الوطنية للمعلومات في عدد من الأقطار العربية للعناية بهذا الموضوع على المستوى الوطني •

(*) دراسة اقرتها الهيئة العامة في المجمع العلمي في جلستها (١٦) المنعقدة في ١٩٩٩/١١/٩ •

أن تقنيات الاتصالات قد تطورت بشكل كبير ولاسيما الاتصالات اللاسلكية عبر الفضاء لتجاوز واقع المنظومة الوطنية للاتصالات التي يمكن إنشاؤها بكلف ليست باهضة وانما زهيدة لتلبية متطلبات شبكات تبادل المعلومات • كما يجب أن لا يتم اهمال اللبنات الاساسية التي يقوم عليهاإنشاء مثل هذه الشبكات وهي تصميم قواعد وبنوك المعلومات المختلفة وبناؤها لدى الجهات المعنية ، التي تتطلب وضع معايير ومقاييس وطنية لشكل توثيق مختلف المعلومات واسلوبها على المستوى الوطني وتوحيدها لكي تكون جاهزة ومتوافقة مع متطلبات شبكات المعلومات •

تتناول هذه الدراسة الموجزة عددا من المحاور ذات العلاقة بالموضوع ابتداء من المعلومات وشبكات المعلومات وعلاقتها بشبكات الاتصالات وانشاء الشبكات للمعلومات العلمية مع الإشارة الى بعض شبكات المعلومات في الوطن العربي مع تحليل لواقع الحال في العراق ومن ثم الخروج بعدد من الاستنتاجات والتوصيات •

٢ ـ المعلومات :

شهدت العقود القليلة الماضية تطورا متسارعافيمعنى كلمة«المعلومات» وطبيعتها ومضمونها ، كما شهدت تغيراً جذرياً فيقيمتها الانسانية ــ الحضارية، وكذلك في قيمتها الاقتصادية الانية • واكتسبت المعلومات أو «المعرفة» خصائص جديدة حولتها من وسيلة تسهم في حسن أستخدام السلع والخدمات ذات القيمة الاستراتيجية والاقتصادية وفي حسن التعامل مع هذه السلع ـ الى سلعة في ذاتها ــ لها أصحابها ولها قيمتها الاقتصادية والتجارية • بقيت الكتابة تمثل تقانة المعلومات الوحيدة عمليا ــ الى جانب التواصل الكلامي الى حين اكتشاف المطبعة ، ثم الثورة الصناعية في القرن الماضي • فمعهما بزغ عصر جديد في تقانات المعلومات ، بدأ يتطور وينمو الى أن وصلنا الى حالة الانفجار الحالي في المعلومات وتقاناتها ، مع نهاية القرن العشرين ، وخصوصا مع التطوراتالهائلة والمتسارعة في تقانات الحواسيب والاتصالات

وشبكاتها ، ووسائط الاتصالات الرقمية السريعة لتوفر للانسان أدوات شديدة الفعالية في ميدان المعلومات ، وتمكنه من الامور الاتية :ـ

أ ـ تجميع معلومات كانت منتشرة في أوراق مبعثرة، صعبة المنال، ومراكمتها •

ب ـ معالجة المعلومات وتحليلها ومن ثم إعطاؤها المزيد من المضمون والقيمة أكثر مما هي مبعثرة •

ج ـ توسيع نطاق انتشار المعلومات وتسهيل الوصول اليها لاوسع عدد ممكن من المستفدين •

د ـ تسريع الحصول على المعلومات المناسبة والآتية لاتخاذ القرار •

هـ ـ تطوير قدرة الانسان على التعلم والتعليم وقدرته على الابداع والابتكار •

وقد أدت تقانات المعلومات الحديثة الى توفير كم هائل من المعلومات يتراكم بشكل أسي حتى أصبح هذا الفيض الهائل في المعلومات أكبر من قدرة الانسان الفرد على الاستيعاب ومن قدرته على الاستفادة القصوى منها ، مما ولد مهارات تتعلق بكيفية الغوص في هذا الفيض الهائل من المعلومات المتوفرة من أجل البحث عن المعلومات الانسب لموضوع محدد والانتقاء الافضل من بينها ثم حسن الاستفادة منها • وقد أصبحت مهارة «المعرفة» أي تطوير المعلومات المتوفرة الى معرفة مفيدة هي هذا المفهوم الجديد الذي يتعلق اساسا بكيفية التعامل مع هذا الفيض المتراكم في مختلف نظم المعلومات التي يمكن لاي أنسان الدخول إليها وتداول مافيها • وبهذا بدأت «مهارة» التعامل مع المعلومات تتحول أكثر فاكثر من مجرد الخبرة في جمع المعلومات ومراكمتها الى مجموع الخبرة الاتية : كيفية الوصول الى المعلومات المفيدة وكيفية الانتقاء من المعلومات والاستفادة المثلى من المعلومات التي يمكن الوصول اليها وكيفية القيام بذلك في الزمان والمكان المناسبين وبدأت تنشأ مهن جديدة حول هذا المفهوم المستجد للمعرفة لكون « المعرفة المفيدة » سلعة غالية •

أما أدوات تقانات المعلومات فهي فتشمل مايأتي :ـ

١ ـ الأجهزة المكتبية : آلات ادخال المعلومات، ومعالجة النصوص والحواسيب

وأجهزة الطباعة والنسخ والتصوير المكتبية ، وأجهزة نقل النص والصورة والصوت عن بعد ، وأدوات تحويل المعلومات وحفظها والتعرف عليها وأجهزة تداول الصوت والصورة بالرموز الرقمية ... الخ .

٢ ــ وسائط الاتصال عن بعد : أسلاك بصرية (كابلات ضوئية) وأجهزة اتصالات بالراديو ، والاقمار والتوابع والموديم .

٣ ــ نظم المعلومات الكبيرة : قواعد البيانات وأدوات معالجتها واسترجاعها ، وأدوات الغوص في هذه النظم والبحث فيها ، وبرامج المقارنة والتشفير والحفاظ على سريتها .

٤ ــ نظم نقل المعلومات عبر المسافات ، وتوزيعها وايصالها الى أوسع عدد من المستفيدين : مثل شبكات المعلومات المحلية والدولية ومن أهمها شبكة المعلومات العالمية (الانترنيت) .

ومن المتوقع أن يحصل المزيد من التطور المتصاعد في شبكات المعلومات وخدماتها .

ومرة أخرى ، لابد من الاشارة الى أن هذا التطور الهائل في تقانات المعلومات الحديثة لم يكن ، بمعظمه ، نتيجة الحاجة الملحة ، وانما جاء نتيجة طبيعة للتطور في العلم والتقانة في نهاية القرن العشرين ، مع الاشارة بشكل خاص الى التطور العظيم في الحواسيب الشخصية وزيادة قدرتها وصغر حجمها ورخص اسعارها بحيث أصبحت من أدوات الاستهلاك الجماهيري الواسع .

وقد أدى هذا التطور في تقانات المعلومات وتسهيلات الحصول عليها الى بروز سوق تجاري الكتروني واسع لمختلف انواع المعلومات ، والى نمو صناعة كاملة حول المعلومات واسواقها تعد اكثر الصناعات رواجاً واسرعها نموا في العالم .

وقد كثر الكلام مؤخرا «على مجتمع المعلومات» وعلى الاقتصاد المرتبط بالمعلومات الخ .. ومرة اخرى في هذا الفيض الهائل من المعلومات المنتشرة عبر

الشبكات ، أصبح البحث عن المعلومات المفيدة والحصول عليها في الزمان والمكان المناسبين أمرا يتطلب مهارة خاصة ، ومعرفة وخبرة من نوع معين ، حتى لايتيه المستخدم الاعتيادي عن مقصدة ويغرق في بحر من المعلومات التي لاقيمة لها .

٢ ـ شبكات الاتصالات :

الشبكة الحاسوبية مجموعة من الحواسيب ترتبط بخطوط اتصال سلكية أو لاسلكية من خلال بروتوكولات وبرمجيات تمكن المستخدمين المشاركة في الموارد المتاحة ونقل المعلومات وتبادلها فيما بين المشاركين ، وتكون هذه الشبكات أما منظومة على مستوى مؤسسة واحدة في مبنى واحد أو عدة مبان متقاربة فتسمى شبكات محلية أو حواسيب في مناطق جغرافية واسعة الانتشار وتسمى شبكات واسعة أو أنها تربط حواسيب عبر الحدود ، ولذلك تشكل شبكات إقليمية وعالمية . كما ان الربط يمكن أن يتم بين حواسيب مايكروية أو بين حواسيب مايكروية وحواسيب صغيرة أو متوسطة أو كبيرة بغض النظر عن النوع ولكن يشترط توفر البرمجيات المعيارية اللازمة او ما يسمى (البروتوكولات) التي تسمح او تجعل من الحواسيب المختلفة متوافقة فيما بينها .

ان توصيل الحواسيب اذن يعتمد على تقنيات الاتصالات السلكية واللاسلكية المعروفة ومن خلال مودمات عبر أسلاك الاتصالات الاعتيادية أو عبر الكابلات الضوئية أو عبر المايكرويف أو الترددات الراديوية او عبر الاقمار الصناعية . ولا نريد الخوض في تفاصيل هذه التقانات ولكن تطورها أدى الى تطور شبكات المعلومات من حيث مدى وسرعتها تناقل المعلومات ، وأضحت تقانات الاتصالات الرقمية من أفضل التقانات التي تخدم شبكات المعلومات . كما بدأ عدد من دول العالم تنفيذ شبكات خاصة باستخدام كابلات ضوئية خدمة لشبكات المعلومات الخاصة بها . ستنتشر نقاط البث

والالتقاط الفردية لتصل الى كل البيوت كما هو حال الهاتف حاليا بل سيصبح من الممكن تسهيل الارتباط بشبكات المعلومات بوسائط نقالة تسمح باستخدامها حيث وجد الانسان ، حتى بعيدا عن البنى التحتية للاتصالات وبغض النظر عن واقع شبكة الاتصالات الوطنية القائمة مهما كان واقعها متطورا أو متخلفا وفي حالة تردي أو عدم ملائمة الشبكة الوطنية يجب التفكير لايجاد طرق لبناء شبكة اتصالات خاصة كنواة لشبكة اتصالات حديثة بشكل ينسجم مع متطلبات العمل وبحجم محدود يفي بمتطلبات تناقل المعلومات على أن تعتمد التقنيات الحديثة للاتصالات ومن دون أن يؤدي ذلك الى عرقلة أو تعارض مع التحديث المطلوب لشبكة الاتصالات الوطنية ... كما انه يجب أن لايتم انتظار بناء شبكات المعلومات الى حين انجاز شبكة الاتصالات الوطنية المتطورة أو الحديثة .

لذلك وفرت التقنيات الحديثة عددا من البدائل لغرض بناء شبكة معلومات منها مد شبكات كابلات ضوئية وهذه عملية مكلفة كما انها تتطلب جهدا كبيرا ووقتا طويلا ، أو يتم اعتماد أسلوب بناء شبكة اتصالات لاسلكية شبيهة بالهواتف الخلوية النقالة ولكن بدلا من الاعتماد على بدالات ارضية يتم بناء الشبكة عبر الاقمار الصناعية مثل (أنمارسات) وقد تم توفير هذه الخدمة عالميا وبأسعار ليست بمرتفعة . فضلا عما ورد اعلاه من الممكن استخدام محطات شبكات الاتصالات للمايكرويف وتحديثها وجعلها محطات تشبيك مع الاقمار الصناعية لتغطية مناطق واسعة او دولة كاملة .

٤ ـ المعلومات والشبكات :

لابد من أن نفهم بأن المادة الاساسية لاي شبكة معلومات هي المعلومات ذاتها ومن دون توفر المعلومات وضمان صنعها ودقتها وديمومة تدفقها وتحديثها بشكل منتظم ، فأن تنفيذ شبكة معلومات سيكون هيكلا عظيما فارغا . ولذلك قبل أن نفكر بانشاء شبكة الاتصالات كأحد متطلبات شبكة المعلومات لابد

لنا من الاهتمام بالمعلومات وقواعد المعلومات والاوعية التي تحتوي هذه القواعد فضلا عن تجنب بناء قاعدة أو قواعد معلومات مبعثرة ومن دون تنسيق او مواصفات موحدة أو قياسية للتوثيق والاسترجاع ، فضلا عما يتطلب الموضوع من بحث ودراسة في مجال اللغات المستخدمة في البحث والاسترجاع ولاسيما اللغة العربية • ومن هنا يتطلب الامر وضع استراتيجية وطنية للمعلومات ، بعد مايتم تحديد حقول المعلومات ، ونوعها والجهات المعنية بها والمعايير التي يجب اعتمادها على مستوى الدولة في بناء هذه القواعد ، مع تحديد مسؤوليات الجهات المعنية بادامة هذه المعلومات من خلال أنظمة تعتمد هذه القواعد لكي يتم ربطها فيما بعضها لتحقيق شبكاتها المنشودة • وفي هذا المجال لانريد ان ندخل في تفاصيل قواعد المعلومات ولكن لابد من التعامل معها على قدر متطلبات هذه الدراسة وهدفها • وبما ان القاعدة هي مجموعة ملفات وكل ملف يحتوي عددا من القيود و كل قيد يحتوي عددا من الحقول في مجال معين، لذلك يتطلب الامر شكلا محددا يعتمد لهذه الملفات والحقول والقيود • ولتوضيح الامر بشكل اكثر فلو كان المطلوب بناء شبكة معلومات مكتبية يعني ذلك بناء قاعدة معلومات لكل مكتبة سيتم ربطها بهذه الشبكة وبالنتيجة يجب أن تكون التشكيلة والتركيبة للوثيقة أو الكتاب الذي يتم تحميله للقاعدة موحدا على مستوى المكتبات كافة •••كما ان متطلبات استخدام لغة استفسار موحدة في هذه الشبكات أمر ضروري ، واعتماد كشافات ذات أسس لغوية مشتركة لغرض الاستفادة من ربط هذه القواعد المكتبية بشبكة معلومات واسعة • وكما أشرنا سابقا ان الامر يتطلب وضع سياسة واستراتيجية وخطة وطنية واضحة ودقيقة للمعلومات على مستوى البلد ومن هنا جاء الاهتمام بانشاء المراكز الوطنية للمعلومات في الدول لتكون هذه المهمة أحد أهم المهام التي يعنى بها المركز • وينطلق من هذه الاستراتيجية نوع قواعد المعلومات المطلوب إنشاؤها والجهات المعنية بها •

من الاولويات التي كانت محط اهتمام كبير وعديد من الدول هو قواعد المعلومات العلمية التي تخدم البحث العلمي ، ولغرض انشاء قواعد معلومات علمية ، يتطلب الامر عددا من الاجراءات والقواعد التي سنتطرق لها بشكل أكثر تفصيلا في فقرة لاحقة ، ولكن تمت الاشارة الى الموضوع لاهميته ، ذلك لايقلل من اهمية قواعد المعلومات الاخرى الخاصة بالجوانب الاقتصادية والسكانية والجغرافية والتراث والادب والفنون والاثار والسياحة والاعلام والسياسة وغيرها ••• وبدون قيام مثل هذه وتأسيسها على أسس علمية متفق عليها مسبقا وتوفير مستلزمات التنفيذ من اجهزة وبرمجيات وملاكات قادرة لصيانة هذه القواعد ومدها بما يستجد من معلومات يصبح امر تأسيس شبكات معلومات امراً مستحيلا • كما لابد من ان نشير هنا باشارة عابرة وسريعة الى موضوع ضمان امن هذه القواعد والشبكات وحمايتها من الاختراق والتخريب من غير المخولين وهو امر هذه القواعد والشبكات وحمايتها من الاختراق من غير المخولين وهو أمر أصبحت مراعاته في مراحل العمل كافة مهمة كما سيشار الى ذلك لاحقا •

٥ ـ شبكة المعلومات العلمية :

ان تاريخ إنشاء شبكات المعلومات في العالم ومنها شبكة (الانترنيت) يعود بشكل رئيس الى اسباب البحث العلمي وتبادل المعلومات العلمية لاغراض بحوث وزارة الدفاع الاميركية • ويمكن الكلام مطولا على شبكة (الانترنيت) وتأثيراتها الحالية والمستقبلية على تقانات المعلومات • فهذه الشبكة التي بدأت واسطة لتبادل المعلومات العلمية والابحاث في الاوساط الاكاديمية والبحثية في الولايات المتحدة الاميركية تحولت الى سوق معلومات عالمية لا يملكها طرف ولا يديرها أحد ، تربط كل انسان بآخر عبر المسافات والحدود الدولية ، وتسمح بالوصول اليه ما يرمي اليه من معلومات عامة ، كما تسمح بالاتصال بشبكات المعلومات الخاصة ونظمها ، وبقواعد المعلومات المرتبطة بها ، وذلك بشكل شبه فوري مباشر •

ويعود سبب قيام شبكات المعلومات العلمية في البداية الى اهمية مثل هذه المعلومات والحاجة الملحة اليها فضلا عن إن قواعد المعلومات في الجامعات والمؤسسات العلمية اكثر تهيؤا لعملية الربط بشبكة من غيرها من قواعد اخرى • وان قواعد المعلومات العلمية تشمل عددا من القواعد الموزعة حيث لا يمكن التفكير بقاعدة واحدة وانما بمجموعة قواعد فرعية مرتبطة في شبكة او شبكات واسعة • ومن هذه القواعد المطلوب إعدادها في المرحلة الاولى هي :

أ ـ قواعد المعلومات للمكتبات الجامعية والوطنية التي تتضمن في الاقل فهرسة المصادر والكتب التي تحتويها هذه المكتبات كافة •

ب ـ قواعد المعلومات لكل البحوث والرسائل واطاريح الدراسات العليا التي تقوم بها الجامعات والمعاهد ومراكز البحث وتحتوي هذه القواعد فضلا عن الفهارس مختصرا بمحتويات ونتائج البحوث على مستوى الدولة •

ج ـ قاعدة معلومات بجميع المجلات العلمية والدوريات التي تصدر ضمن الدولة الواحدة مع فهرسة ومختصر لبحوث محتويات هذه المجلات •

ولغرض إنجاز هذه القواعد في المرحلة الاولى يتطلب الامر تنسيق الجهود مع تحديد خطة زمنية لبناء هذه القواعد على ان يتم وضع مواصفات ومعايير موحدة حسب كل موضوع واختصاص علمي وانساني لكيفية اعداد الفهارس والكشافات والملخصات وتعميم استخدام هذه المواصفات على جميع الجهات للعمل بموجبها • ويمكن استخدام ادوات برمجية جاهزة لاغراض بناء هذه القواعد على ان تحقق الشفافية او الاستخدام المشترك من دون اي عناء او تحويل • اما على مستوى المرحلة الثانية او الامد اللاحق فيجب التفكير بأن يخزن النص الكامل لكل الدراسات والاصدارات والمجلات التي تصدر وتطبع محليا باستخدام برامج النشر المكتبي المعروفة والشائعة بالحواسيب ، ولذلك من الممكن اعتماد نظام او انظمة طبع متوافقة ونقل

نصوص هذه المطبوعات على اسطوانات مضغوطة الى قواعد المعلومات وهـذا يتطلب بالنتيجة الى تطوير لغة بحث واسترجاع عربية او اعتماد لغات جاهـزة بعد دراستها بشكل مستفيض . فضلا عن ضرورة وضع صيغة محددة لحماية المعلومات الوطنية او هذه القواعد من اي تخريب او اختراق من اي شـخص او جهة غير مخولة ، ولغرض تكامل شبكة المعلومات العلمية على المسـتوى الوطني فلابد من التفكير بشكل مخطط بتعزيز وتوفيرها المعلومات العلمية من خارج البلاد لغرض التكامل ويتم ذلك من خلال ربط الشبكة العلمية الوطنية بشبكات المعلومات العالمية كالانترنيت ، كما يجري حاليا في القطر ، وغيرهـا من دور الطباعة والنشر والمكتبات والجامعات العالمية والاقليمية ومراكـز البحوث ، كما يتم عن طريق الحصول او توفير نسخ من الاصدارات اما على اسطوانات ممغنطة حديثة بنسخة واحدة اقتصادا بالتكاليف وتحميلها في احد القواعد في الشبكة لكي يضمن توفرها للجهات المرتبطة بالشبكة كافة .

٦ ـ بعض شبكات ومراكز المعلومات في الاقطار العربية :

لقد اهتم عدد كبير من دول العالم بموضوع المعلومات من حيث النظـم واسس التعامل معها أو من حيث بناء قواعد معلومات وبيانات في ميادين عديدة وربطها بشبكات معلومات محلية أو أقليمية أو عالمية . كما اعطت هذه الـدول الاهمية اللازمة لتأسيس مراكز وطنية للمعلومات لكـي تأخذ على عاتقهـا مسؤولية رسم السياسات الوطنية ووضع المعايير والمقاييس لبناء قواعـد المعلومات المختلفة والتنسيق بين مصادرها والجهات المعنية بتوفيرها من خـلال تأسيس شبكات وطنية لها . وقد نهج كثير من الدول هذا النهج ومنها الدول العربية كما هو الحال في الاردن واليمن وسوريا والكويت والسعودية ومصر ودولة الامارات العربية وغيرها .

نحن مطالبون بناء نوعين من شبكات المعلومات ، شبكات معلومات على المستوى الوطني ولاستخدامات داخلية ويفضل ان تكون باللغة العربية بشكل

رئيس اما النوع الثاني فهي شبكة المعلومات العربية على المستوى القومي والتي تحتوي كل ما تحتويه المكتبات العربية من أدبيات ومخطوطات للتراث العربي والديني والمفروض ان تكون بعدة لغات فضلا عن اللغة العربية ليخرج العرب على العالم بهذه الشبكة المعلوماتية في الصراع المعلوماتي الحضاري القادم .

أن مصادر المعلومات في الدول العربية لاتزال شديدة التنوع ، واسعة التبعثر ، مختلفة في قدراتها وتجهيزاتها ، ليس فقط بين دولة واخرى ولكن ضمن الدولة الواحدة وضمن القطاع الواحد ايضا . وهي في مرحلة انتقالية لان هناك في عدد من الدول العربية مشاريع لتحديث البنى التحتية لمصادر المعلومات ولتطويرها وتجهيزها بالمستجدات بدرجة او اخرى وسنستعرض بعض الامثلة في هذا المجال .

أ ـ لبنان : احتفظت بيروت بمركزها بين المدن العربية موقعا للعديد من مصادر المعلومات العامة المكننة ولكن ليس هناك شبكة وطنية للمعلومات حتى الان .

ب ـ الاردن : هناك اهتمام عام بتطوير سياسة وطنية للمعلومات في الاردن محورها المركز الوطني للمعلومات تم تأسيسه جهازاً مركزياً حكومياً في الاردن في مطلع التسعينات وهناك دعوة من المركز الى تنظيم مفاهيم المعلومات في نظام وطني متكامل يتضمن تكامل قواعد البيانات في مختلف المؤسسات الحكومية ، وقد تم اطلاق شبكة المعلومات الوطنية في عام ١٩٩٧ .

ج ـ المملكة العربية السعودية : يوجد عدد من الشبكات المعلوماتية في المملكة منها على سبيل المثال لا الحصر شبكة مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية والشبكة الخليجية التي هي شبكة اتصالات تستخدم لربط انظمة الحواسيب في المؤسسات العلمية والبحثية بدول مجلس التعاون الخليجي ويحق لاية مؤسسة علمية او بحثية او تعليمية في دول مجلس

التعاون الخليجي الانضمام الى هذه الشبكة وتتصل شبكة الخليج بشبكات عالمية في امريكا والمملكة المتحدة والمانيا وكندا •

أما مركز المعلومات الفنية في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ـ معهد البحوث فيعدّ بمثابة مكتبة حديثة في العهد وكذلك الاتصال الحاسوبي بين المعهد والمكتبة المركزية بالجامعة ، ومراكز المعلومات الاخرى داخل المملكة وخارجها على إمتداد العالم كما يوجد مركز وطني للمعلومات المالية التابع لوزارة المالية ولكن المملكة تفتقر الى مركز وطني شامل للمعلومات كما تفتقر الى شبكة عامة للمعلومات •

د ـ مصر : تتميز البنى التحتية للمعلومات في مصر بانها تضم اول شبكة عامة للمعلومات العلمية في المنطقة ، اقيمت في الثمانينات ، واول مركز متقدم للمعلومات ولدعم اتخاذ القرار لمجلس الوزراء ، واول شبكة وطنية لوصل المشتركين بشبكة (الانترنيت) العالمية • فمصر متقدمة بشكل ملحوظ في بناء شبكات المعلومات المحلية وفي الارتباط بالشبكة الدولية كما انها متقدمة في توفير تجهيزات مراكز المعلومات الحديثة وقواعد البيانات المتعددة الا انها تعاني في الوقت نفسه من ضعف الوعي بأهمية المعلومات وتقييمها •• ومن بعض شبكات المعلومات المصرية نذكر ما يأتي:

اولا ـ الشبكة القومية للمعلومات :ـ

هي مؤسسة عامة أقامتها أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجي ، لتقدم للاوساط العلمية في مصر ، مختلف خدمات المعلومات ، كما تقدم خدماتها للباحثين والجمهور وتعاقدت الشبكة القومية مع الشبكة الاوربية ايونيت حيث تقوم من خلالها تطوير خدماتها وتوسيع اتصالاتها الخارجية •

ثانياً ـ شبكة المعلومات الحكومية (شبكة مصر) :ـ

يقوم المركز بوضع جميع المعلومات الضرورية عن المؤسسات الحكومية

وهيكلتها وإجراءاتها وقوانينها في صـفحات متكاملـة على الانترنيـت وباللغتين العربية والانكليـزية وتعد افضـل مركز الكترونـي موحـد للمعلومـات •

ثالثاً ــ الشبكة الاقليمية العربية للمعلومات التكنولوجية :ــ

تأسست عام ١٩٩٦ لتكون هيئة اقليمية غير حكومية تهدف الى « اقامـة مجتمع المعلومات العربي » ، من خلال ترويج اقامة بنى تحتية اقليميـة متقدمة للمعلومات والاتصالات في الـدول العربية والترويج لاقامـة « الطريق العربي السريع للمعلومات » .•

رابعاً ــ مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار في مجلس الوزراء :ــ

فقد عمل على اقامة مراكز معلومات متخصصة في كل الوزارات والهيئات الحكومية والمحافظات والوحدات الحكومية ، وتضم شبكة متقاطعة من وحدات المعلومات يصل تعدادها الى ١١٠٠ وحدة من مستوى القريـة حتى مستوى الدولة بأكملها • يمتلك مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار من الامكانات المادية والبشرية ومن التجهيزات الحديثة ما يمكن عـده من النماذج النادرة في المنطقة العربية • وهو اكبر بكثير من مجرد مركز معلومات متخصص فهو يؤدي دوراً اساسياً في دعم التنمية الاجتماعيـة والاقتصادية في مصر من خلال مساندته المباشرة لاصحاب القرار •

٧ ــ بعض شبكـات المعلومات للمنظمـات العربية :

أ ــ المنظمة العربية للتنمية الصناعية والتعدين : تسعى المنظمة الى انشاء شبكة المعلومات الصـناعية العربية لربط مراكز المعلومـات الصناعية ونقـل التكنلوجيا والبحـوث الصناعية في مختلف الاقطـار العربية بمركـز المعلومات في المنطقة ومن ثم بمراكز المعلومات الاقليمية والدولية عبـر الشبكات الدولية للمعلومات •

المرحلة الاولى تستهدف ربط دول عربية : تونس وليبيا ومصر وسوريا ، والسعودية ثم الارتباط بالبنك الاسلامي والجامعة العربية واليونيسدو ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ، والاتحاد العربي للاسمنت ومواد البناء . اما البقية في المرحلة الثانية والثالثة .

ب ـ شبكة معلومات التجارة العربية : تهدف الى توفير المعلومات التجارية لجميع المصدرين والمستوردين والجهات المعنية والمتعاملة في التجارة بالدول العربية.لقد بدأ إنشاء الشبكةعلى مراحل متعددة والمرحلة الاولى حددت عناصر الشبكة المختلفة وطبيعة المعلومات التي سيتم تجميعها وتحليلها . والمرحلة الثانية تطوير نظام معالجة معلومات التجارية العربية.

ج ـ الامانة العامة للاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية : تهدف الى تطوير شبكة معلومات للغرف العربية ، وتنسيق جهود الغرف العربية وآلياتها في الاساليب التقنية من اجل تفعيل تبادل المعلومات والإسهام في اقامة شبكة معلومات التجارة العربية ـ التي تضطلع جامعة الدول العربية وصندوق النقد العربي بها .

كما اعدت جامعة الدول العربية دراسة لاقامة عدد من شبكات المعلومات في الدول العربية ، وقد كلفت المنظمة العربية للتنمية الصناعية بانشاء الشبكة كما كلف برنامج تمويل التجارة في صندوق النقد العربي باقامة شبكة معلومات التجارة العربية في حين تأخر الامر بالنسبة لشبكات المعلومات الاخرى لاسباب عدة ولم تتمكن اي من المنظمات العربية الاخرى من بناء الشبكات القطاعية المكلفة بها حتى الان ومنها شبكة معلومات للبحث العلمي لاتحاد مجالس البحث العلمي العربية وشبكة المعلومات لمركز التوثيق التابع للجامعة العربية .

٨ ـ واقع الحال في القطر ومستلزمات بناء شبكات المعلومات :

في ضوء ما ورد سابقاً من مفاهيم اساسية ومستلزمات لبناء شبكات

معلومات وطنية في العراق سنحاول تقييم واقع الحال باتجاه نقاط الضعف والقوة وذلك لكي يتم الوصول الى استنتاجات محددة حول ذلك الواقع .

أ ـ انه من المعروف بأن البنية التحتية لشبكات الاتصالات السلكية واللاسلكية المحلية من القدم لا تتناسب مع السرع الفائقة والتقنيات الحديثة التي وصلت اليها الاتصالات فضلا عن ان منظومة الاتصالات الوطنية قد تعرضت الى هجمة تخريب وتدمير شبه شاملة خلال العدوان الثلاثيني على العراق ، كما ان الحصار الاقتصادي والعلمي هو العامل الثاني الذي يسهم في عدم تمكن العراق ، من تطوير منظومته الوطنية ، وذلك بسبب المخطط الامبريالي الصهيوني على ايقاف عجلة التقدم والتطور في العراق . ولكن التطور السريع الذي حصل في تقانة المعلومات والاتصالات اتاح ذلك فرصة ثمينة لتجديد شبكة الاتصالات الوطنية على اسس جديدة وباستخدام احدث التقنيات وبكلف لربما اقل بكثير من تقنيات سابقة . ولذلك قامت الجهات المختصة باعادة النظر بشبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية وباشرت باتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ عدد من المشاريع الجديدة على مراحل . ولكن لابد لنا من الاشارة الى ان مثل هذه الحلول تأخذ وقتاً ليس قليلا مما يستدعي بنا عدم الانتظار لقيام منظومة اتصالات جديدة حتى يمكننا بناء شبكة او شبكات معلومات في العراق كما اشرنا سابقاً ، ولهذا لابد من التفكير بحلول على نطاق ضيق وهو تنفيذ شبكة اتصالات خاصة بأي شبكة معلومات وتكون هذه الشبكات نواة لتغير مستقبلي جذري . اذن من اولويات تأسيس شبكات معلومات وطنية وفرعية في العراق يتطلب الامر التفكير بايجاد شبكة اتصالات ولو كانت في حدود متطلبات شبكة المعلومات .

ب ـ لابد لنا تقويم واقع الحاله بالنسبة لقواعد البيانات والمعلومات ونظم المعلومات الموجودة في العراق وهو الموضوع الثاني الذي يفتقر الى

القاعدة الاساسية لبناء شبكة معلومات وطنية . حيث ان معظم المؤسسات العامة والخاصة لا تملك مثل هذه القواعد واذا كانت هناك قواعد فهي بسيطة جداً كما انها تفتقر الى التحديث المستمر او التكامل او الاتساق لعدم وجود معايير موحدة لبناء هذه القواعد واعتمادها لكي يتم تحقيق الربط المستقبلي . إن واقع المكتبات العراقية ودور النشر ومراكز البحث العلمي والجامعات والمعاهد العراقية يشير الى افتقارها الى أي قاعدة للمعلومات او البيانات وإن كل ما هو موجود لا يتعدى بعض التطبيقات الادارية او العلمية المحدودة المستخدمة بعيداً عن مفهوم بناء القواعد او نظم المعلومات ، وبالرغم من التأكيدات المستمرة للدولة والجهات المركزية في الدولة على بناء قواعد معلومات ولكن يبدو ان هذه التوجيهات لم تلق طريقاً الى ترجمتها الى خطط عمل يمكن تنفيذها . وان المشكلة في هذا الموضوع تتفرع الى مشاكل عديدة لربما يعود اليها بعض الاسباب في عدم قيام قواعد نظم المعلومات منها :ـ

اولا ـ عدم وجود نظم معلومات يدوية جاهزة لنقلها من المرحلة اليدوية الى مرحلة الاتمتة .

ثانياً ـ ليس هناك عناية كافية بالمعلومات والبيانات وضمان ديمومة تدفقها والتوكد من دقتها .

ثالثاً ـ عدم وجود اساليب ومعايير ومقاييس موحدة لبناء القواعد في مواضيع محددة كما لم يتم اعداد لغة استرجاع عربية حسب كلمات مفاتيح محدودة يتم الاتفاق على اسلوب التوثيق وشكليته والاسترجاع عن طريقه .

ج ـ اما من حيث الملاكات اللازم اعدادها على مستوى العاملين في المؤسسات او التأهيل الجديد فانه لم يتم إعطاء اهمية كافية لاعداد ملاكات عن طريق الدراسات الاولية او العليا في مواضيع التوثيق ونظم المعلومات

ولغات البحث والاسترجاع العربية وانما كان الاعداد عاما وشاملا من خلال اقسام علوم الحاسوب ٠

د ـ بالرغم من إعطاء اهمية خاصة لامن المعلومات والحواسيب ووضع الإجراءات والوسائل التي تكفل ضمان ذلك ولكن هذه الوسائل كانت من المغالاة بمكان ادت الى احجام المعنيين والدوائر من بناء قواعد المعلومات وعدم التعامل مع المعلومات او تحديد تناقلها في الوقت الذي يتطلب الامر اعتماد اساليب علمية ضمن قواعد المعلومات ذاتها تحول دون خرق منظومة او قواعد او شبكات المعلومات ٠

ونشير هنا الى ان العراق كان من الدول السباقة في ميدان تأسيس مراكز حاسبات لغرض النهوض باستخدامات الحواسيب وتطبيقاتها في العراق وقد حظيت هذه المراكز والمركز القومي للحاسبات الالكترونية بدعم كبير في مرحلة السبعينات ولكن تخلفت هذه المراكز من حيث الإمكانات والمستلزمات واصبحت دوائر طاردة بعد ان كانت مراكز جذب وأحد اسباب ذلك يعود الى تخلف قواعد الخدمة لديها وعدم توفر الحوافز الكافية لتشجيع الخريجين للعمل فيها ٠

كما انها تقوقعت على نفسها ولم تتطور باتجاه انتقالها الى مراكز معلوماتية بدلا من بقائها مراكز حاسبات بالمعنى التقليدي وذلك للتطور الهائل الحاصل بالحواسيب وتقانة المعلومات ٠

مما ورد اعلاه نستخلص بان واقع الحال يتطلب الكثير من العمل والجهد وذلك في سبيل النهوض بشبكات المعلومات التي هي اساس اي نهضة علمية قادمة في العراق ٠

٩ ـ الاستنتاجـــات :

أ ـ تعد شبكات المعلومات من المتطلبات الاساسية والضرورية في التقـــدم العلمي والاقتصادي لاي بلد وسمة من سمات العصر الحديث يقـــاس به مدى تقدم الدول وتطورها .

ب ـ يفتقر القطر الى المستلزمات المطلوبة لقيام شبكات معلومات من حيث واقع الاتصالات او واقع قواعد المعلومات ونظمها او الإجراءات المطلوبة لصنع المعلومات وتحديثها وتوثيقها او الملاكات المطلوبة لتنفيذ الشبكات وإدامتهـــا .

ج ـ عدم وجود جهة وطنية متخصصة تأخذ على مسؤوليتها النهوض بمهمـــة وضع الخطط وإتخاذ الإجراءات الكفيلة لبناء شبكات المعلومات الوطنية.

د ـ لم تتطور مراكز الحاسبات في الوزارات المختلفة من حيث المهام وقواعـــد الخدمة بشكل يتماشى مع التطور الهائل الذي حصل في تقانة المعلومات واجهزة الحواسيب .

١٠ ـ التوصيـــات :

أ ـ تأسيس مركز وطني للمعلومات باقتراح السياسات ويضع الخطط اللازمة لبناء قواعد المعلومات وتنسيق الجهود ووضـــع المواصفات والمعايـــير وتوفير المستلزمات اللازمة لبناء شبكات المعلومات الوطنية لغرض توفير وتوثيق المعلومات وتوثيقها في كل الميادين واتخاذ الإجراءات اللازمـــة لضمان ديمومتها والحفاظ على امنها وتأهيل الملاكات العاملة .

ب ـ تطوير مراكز الحاسبات الإلكترونية في الوزارات الى مراكز معلومات .

ج ـ اعادة النظر في قواعد الخدمة والملاك للعاملين في مراكز الحاسبات بشكل يتماشى مع التطور الحاصل في وصف الوظائف لهذه المهن .

د ـ قيام وزارة التعليم العالي والبحث العلمي باعداد الملاكات المختلفة المطلوبة وتأهيلها لحقول تقانة المعلومات وتطوير اقسامها وفتح اقسام جديـــدة متخصصة في تقانة المعلومات والاتصالات .

هـ ـ يقوم المركز الوطني المقترح في المباشرة بمشروع لشـبكة معلومـات علمية كمشروع ريادي نموذجي يربط جميع المكتبات والجامعات والمراكز البحثية في العراق على ان يتضمن تقانة حديثة لشبكة اتصالات محدودة لهذا الغرض وايجاد التمويل اللازم لهذه الشبكة تسهم بها الموازنـة المركزية للدولة والجامعات العراقية .

و ـ التوسع في خدمة الانترنيـت وتوفيرهـا من خـلال الشـبكة الوطنية للمعلومات .

الانتاج الفكري والعلمي للمجمع خلال الدورة المجمعية ١٤١٧ ــ ١٤٢٠ هـ ــ ١٩٩٦ ــ ١٩٩٩ م

إعـداد
صباح ياسين الاعظمي
المجمع العلمي

بحمد الله وتوفيقه مرت الدورة المجمعية ١٤١٧ ــ ١٤٢٠هـ / ١٩٩٦ ــ ١٩٩٩ م ، في ثلاث سنوات سادها التخطيط العلمي المدروس لاظهار معالـم المجمع الفكرية والعلمية والتنظيمية ، لايكدر صفوها غير اثار الحصار الظالم التي فرض على قطرنا ، والتي تعمل الدول الاستعمارية بقسوة لاأنسانية على تعطيل تقدمنا الحضاري ، وشل الحركة وتعطيل الجهود في متابعة العمل على رقي الامة وانماء حضارتها وتقدم الانسانية ، غير ان تدابيره المدمرة واساليبه الماكرة لم تزعزع ثقة المجاهديـن المخلصـين من ابناء الامة وروحهم الوثابة وايمانهم برفعة الاهداف التي نعمل على تحقيقها ، لقد اولت الجهات العليـا والقيادة السياسية وعلى رأسها السيد الرئبس القائد صـدام حسـين حفظه الله ورعاه » عناية خاصة للمجمع فتابع المسؤولون فيه تشخيص احواله والعمل على مايقتضي معالجته وسد بعض حاجاته المادية ، وقد اثمر هذا الاهتمـام بتوفير المستلزمات التي تزيد كفاءة العمل ومضاعفة انتاجه فكريا وعلميـا وقد انجز المجمع من بحوثه ومؤتمراته وندواته في هذه الدورة الكثير :

١ ــ بحوث بلاغية ، احمد مطلوب ، بغداد ، مطبعة المجمع ١٩٩٦ .

٢ ــ ديوان الاثري ، ج٢ ، محمد بهجة الاثري ، بغداد ، مطبعة المجمع ١٩٩٦.

٣ ــ الحضارة (الموسم الثقافي للمجمع العلمي) دائرة العلوم الانسانية للمدة من ٤/١١/١٩٩٦ ــ ٢٣ ــ ١٢/١٩٩٦ بغداد ، مطبعة المجمع ١٩٩٧ .

٤ ـ الهوية العربية عبر حقب التاريـخ (ندوة علميـة) عقدتها دائرة التراث العربي والاسلامي فرع التاريخ والحضارة للمدة ٢٥ـ٢٦/٦/١٩٩٧ ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة جامعة الموصل ١٩٩٧ .

٥ ـ اللغة العربية والنهضة القومية (ندوة علمية) عقدتها دائرة علوم اللغة العربية ٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٦ ، بغداد ، مطبعة المجمع ١٩٩٧ .

٦ ـ المجمعيون في العراق (١٩٤٧ـ١٩٩٧) صباح ياسين الاعظمي ، مطبعة المجمع ، ١٩٩٧ .

٧ ـ المجمع العلمي في خمسين عامـاً (١٩٤٧ ـ ١٩٩٧) سالـم الالوسي ، بغداد ، مطبعة المجمع ، ١٩٩٧ .

٨ ـ القومية العربية والمستقبل ندوة علمية بمناسبة مرور خمسين عامـاً على تأسيس المجمع للمدة من ٢٤ـ٢٨/١١/١٩٩٧ ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد ، ١٩٩٨م .

٩ ـ وقائع ندوة العمارة العربية الاسلامية (سمات الماضي وتطبيقات الحاضر) نظمتها دائرة التراث العربي والاسلامي فرع العمارة والفنون ، للمدة من ١٢ـ١٣ تشرين الثاني ، ١٩٩٧ ، منشورات المجمع العلمي ، طبعت بدار الكتب للطباعة والنشر بغداد ، ١٩٩٩ .
بغداد ، ١٩٩٩ .

١٠ـ التراث والنهضة (محاضرات الموسم الثقافي ـ المجمع العلمي ـ دائرة التراث العربي والاسلامي لفرع التاريخ والحضارة ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨ ؛ بغداد ، مطبعة المجمع ١٩٩٩ .

١١ــ لغة الضاد (وقائع ندوة) دائرة علوم اللغة العربية بيوم الضاد (١٩٩٧) بغداد ، مطبعة المجمع ١٩٩٨ــ١٩٩٩ (جزءان) •

١٢ــ الثقافة السريانية وعلاقتها بالعربية (ندوة هيئة اللغة السريانية) للسنتين ١٩٩٧ــ١٩٩٨ ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد ، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٩٩ •

١٣ــ مواصفات الكتب المترجمة (وقائع ندوة) دائرة المصطلحات والترجمة والنشر ، منشورات المجمع ، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٨ •

١٤ــ الثقافة (الموسم الثقافي للمجمع العلمي) دائرة العلوم الانسانية من ٢٢/٩/١٩٩٧ ــ ٢٧/١٠/١٩٩٧ ، منشورات المجمع ، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٨ •

١٥ــ بناء الانسان بعد الحصار (بحوث مؤتمر المجمع العلمي المنعقد للمدة من ٢٣ــ٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٨ ، مطبعة المجمع العلمي ١٩٩٩ •

١٦ــ الاصل المشترك للغات العراقية القديمة (ندوة دائرة التراث العربي والاسلامي فرع اللغات القديمة) ١٨ شباط ١٩٩٨ ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٩م •

١٧ــ الدولة الديمقراطية ــ في الفلسفة السياسية والقانونية (الكتاب الاول) الفكرة الديمقراطية ، د• منذر الشاوي ، منشورات المجمع العلمي ١٩٩٨ ، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد •

١٨ــ الجملة العربية، تأليفها اقسامها ، د• فاضل صالح السامرائي، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٨ •

١٩ـ الصهيونية، الواقـع والمواجهة (نـدوة فكرية) نظمها المجمع العلمي ١٢ـ-١٣ رجب ١٤١٦هـ ـ ٥ ـ ٦ كانون الاول ١٩٩٥م ، منشورات مكتب الشؤون الفكرية والدراسات ـ حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ١٩٩٨ .

٢٠ـ مصطلحات علمية، ج١١ ، مصطلحات الوراثة ، الهندسة الميكانيكية ، المساحة ، فيزياء الفراغ ، الفلزات والسبائك ؛ التعدين والتآكل ، علم النفس والطب النفسي . انكليزي ـ عربي ، مطبعة المجمع العلمي ١٩٩٨

٢١ ـ مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ ، وموقف الاسلام من الانسان ، د. مسارع حسن الراوي ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٩٨ .

٢٢ ـ الفاظ حضارية ، المجمع العلمي ـ لجنـة اللغـة العربية ، تحرير ، وداد محمد فاضل ، مراجعة الدكتور احمد مطلوب ، مطبعة المجمع ١٩٩٨ .

٢٣ ـ التربية ؛ عما نوئيل كانت ، ترجمة ، د. عبدالرحمن القيسي ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٩٨، .

٢٤ ـ بغداد الجنة العامرة (معرب) من : أولياجلبي (سياحتنامةسي) وقاموس الاعلام ، ترجمة وتعليق ، محمد جميـل الروزبياني ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٩٨ .

٢٥ ـ مصطلحات علمية في الكيمياء العضوية ، انكليزي ـ عربي منشورات المجمع ١٩٩٩ .

٢٦ ـ مصطلحات علمية في الانواء الجوية ، انكليزي ـ عربي ، منشورات المجمع ١٩٩٩ .

٢٧ ـ مصطلحات علمية في الانتاج الحيواني ، انكليزي ـ عربي ، منشورات المجمع ١٩٩٩ .

٢٨ ــ مصطلحات علمية في الدواجن ، انكليزي ــ عربي ، منشورات المجمع ١٩٩٩ .

٢٩ ــ مصطلحات علمية في منتوجات الالبان ، انكليزي ــ عربي ، منشورات المجمع ١٩٩٩ (المصطلحات من وضع دائرة المصطلحات والترجمة والنشر في المجمع العلمي .

٣٠ ــ قوة آشور ، هاري ساكز ، ترجمة ، د. عامر سليمان ، مطبعة المجمع العلمي بغداد ١٩٩٩ .

٣١ ــ فصول في الشعر ، د. احمد مطلوب ، بغداد ، مطبعة المجمع ، ١٩٩٩ .

٣٢ ــ المعجم الاكدي ، معجم اللغة الاكدية البابلية ــ الاشورية باللغة العربية والحرف العربي ج١ (أ ــ د) أ. د. عامر سليمان عضو المجمع ، علي ياسين الجبوري ، وعبدالله فاضل ، وبهجة خليل اسماعيل ، نوالة حميد متولي . مطبعة جامعة الموصل ، منشورات المجمع العلمي ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩ .

٣٣ ــ وقائع ندوة الوحدة العربية ــ ضرورة حضارية . التي عقدتها دائرة العلوم الانسانية . ١٨ جمادى الاولى ١٤١٩هـ ــ ٩/٩/١٩٩٨ . منشورات المجمع العلمي ، مطبعة المجمع ، بغداد ١٩٩٩ .

٣٤ ــ وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي ، التي عقدتها دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية في ٩ من ذي القعدة ١٤١٧هـ ــ ١٧ آذار ١٩٩٧م ، مطبعة المجمع العلمي ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م .

٣٥ ــ مصطلحات علمية في (الفيزياء والفلك) انكليزي ــ عربي منشورات المجمع العلمي ــ مطبعة المجمع العلمي ــ بغداد ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م .

٣٦ ــ وقائع مؤتمر الاتجاهات الحديثة في التقانة المعاصرة ٢٠ــ٢٢/٥/١٩٩٧ المجمع العلمي (دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية، منشورات المجمع العلمي طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٩ .

٣٧ ــ وقائع ندوة النخيل التي عقدتها دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية في ٢٢ شعبان ــ ١٤١٨هـ ١٢ كانون الاول ١٩٩٧ ، مطبعة المجمع العلمي ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م •

٣٨ ــ عالم الاسلام (وقائع الموسمين الثقافيين لدائرة التراث العربي والاسلامي ١٤١٩ــ١٤٢٠هـ / ١٩٩٨ــ١٩٩٩م) منشورات المجمع العلمي ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٩٩٩م •

الدوريـات

١ ــ مجلة المجمع العلمي ــ مجلة فصلية ، تصدر كل ثلاثة اشهر ، المجلد ٤٤ ، العدد ١ ــ ٤ ، مطبعة المجمع ، ١٩٩٧ •

٢ ــ مجلة المجمع العلمي ــ المجلد ٤٥ ، العدد ١ ــ ٤ ، مطبعة المجمع، ١٩٩٨ •

٣ ــ مجلة المجمع العلمي ــ المجلد ٤٦ ، العدد ١ ــ ٤ ، مطبعة المجمع ١٩٩٩ •

٤ ــ مجلة المجمع العلمي (العدد الخاص بالهيئة الكردية ، المجلد ٢٧ ، مطبعة المجمع ١٩٩٨ •

٥ ــ مجلة المجمع العلمي (العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية ، المجلد ١٧ ، مطبعة المجمع ١٩٩٩ •

٦ ــ اوراق مجمعية (نشرة شهريـة) يصدرها المجمع ، صـدر منها للسنة الاولى العدد (١ ــ ٨) ، ١٩٩٨ •

٧ ــ اوراق مجمعية ، يصدرها المجمع العلمي ، صدر منها للسنة الثانية الاعداد (١ ــ ١٢) مطبعة المجمع العلمي ١٩٩٨ ــ ١٩٩٩ •

GRANTS AND AWARDS OF THE ABBASID CALIPHS
132—324 A.H.
A STUDY OF THEIR NATURE AND RELATION WITH THE CONCEPT OF AUTHORITY

Dr. Muwafaq Salim Noori
Teachers College, University of Mosul

ABSTRACT

The work deals with the economic and political patterns of behaviour of the Abbasid caliphs as represented by their grants and gifts to different groups of the society . we have made a survey of this phenomenon and on the basis of this survey , we have studied the nature of grants and gifts and the most benefitted groups from them . The research also deals with those who carried out the distribution of grants and the mechanism of carrying them out . Finally , we are introduced to the nature of the relationship between grants and the concept of authority . Tables and figures are used to demonstrate this relation and provided for better understanding of this phenomenon .

BARBARIAN LANGUAGE-
AN ANCIENT ARABIC LANGUAGE

Mohammed Al-Mukhtar Al-Arbawi

ABSTRACT

It is clearly possible to deduce important conclusions from archaeological information that Al-Barber are a nation emigrated from the east. These facts are categorically supported by the contents of the barbarian language and the names of prominent barbarian scholars .

In these fields of studies there are absolute facts which consider the semantic of the languages to be the best and clear means to prove the cultural ties and family connections between nations. Hence, we are invited to investigate this subject depending on the achievement in the comparative linguistics and linguistic information and facts in the studies of the Barbarian Language and its relation with ancient Arabic languages . In this paper we will refer to the Barbarian language rather than use the term Lubian Language because the latter is not commonly known.

TESTING THE BASIC PRINCIPLES OF ARABIC

Dr. Kadhim K. Radha & Dr. Mahdi S. Al-Shammary

ABSTRACT

This research aims at measuring the proficiency of the students in hundling the four skills of Language, i.e. understing, speaking reading and writing through conductis tets of 174 test items.

The results of the test have been in accordance with what has been concluded in the literature. these results have inspired the following suggestings :

1 - Revising the currently used methods of teaching .

2 - Broading these Scope of the test to include more stages to have a better picture of our studnts ability to hand the four skills.

KEPLER'S SECOND LAW AND THE APPARENT PATH OF THE SUN

Majid S. Walli (Prof. Dr.)
College of Arts, University of Basrah — Iraq

ABSTRACT

The aims of the study are to show the similarities and differences between Kepler's second law which is represented by the graph if the distribution of monthly equal areas drawn by the earth orbit at equal times, and the graph of the universal Analemma, and the graph of the apparent path of the sun inBasrah city .

The study has proved with the use of Auto CAD programme using pedit - pline that the earth orbit sweeps out shapes of different areas at the same time interval.

Ruling Women in the Mongolian Empire

639 / 694 H — 1241 / 1 p 1295

Dr. ALAA M. KH. KADAWI

Assistance Professor — History Department

College of Art — Mosul University

The aim of this study is to follow up the big role of women ruling in the Mongolian Empire . The Mongolian political norm had assured the women from the rueing families the right to share with her hucband the burden of the political responsibilites and also give the right to the widow of a khan to rule and run the affairs of the empire until a new khan is elected . It was through this right that a number of khan women assumed power to rule the country in the transiton period between the death of a khan and the election of a new one . Their rde was not superficial but they conducted themselves as if they were elected rulers in the General Council. " AL - Korilitai " . They used to steer the path of political events in the country and according to their desire to ensure that their nominee wins to become a khan . To achieve this they usually get involved in the political struggle. This happened with the khanes Toraknu khatoon which provoked a political revolution so to make sure that her son keak became a khan . Also the political struggle between the khaness Aokal kemesh and Seurkukriti were the last to succeed to instal her son Manko as a ruler.

Their role in running the affairs of the empire can be described as practical . They took into consideration the vastness of the country and the unhomogenous social structure of the people . They worked to maintain the unity of the country . They refused to be biased to any side and rejected religious discriminations as did seurkokriti and kakagen .

In foreign affairs they proved to be able to co-ordinate these affairs to soit the environments of this country . In this respect it can be mentioned the attempt of Aokal kemash to collaborate with Louis the ninth king of France against the Muslims .

Their political role is not ended even after a new ruler assumes power . They used to give consultation to the new khan . These consultations helped to maintain the unity of the country as an example the consultation given by kakagen to her son, Taymoor khan concerning the problem of the ruler of the county of Tankut,

LAW AND CONTROL IN ISLAM

Sabah Yassin Al-Adami

ABSTRACT

The prophet Mohammad gave special concern and attention to justic and ordering people to do good and distance themselves and others from bad and evil doings. These two issues were specifically mentioned through by - laws in the charter issued in Al - Madina . It is safe to say that these matters were the most prominent objectives which the prophet tried to ensure . The reason for this concern with these objectives was due to the fact that the prophet realized their importance to every healhy and perfect society . The loss of these objects were the main defect in the two societies in Mecca and Al - Mardina and the main reasons of unsettlement and worries before Islam .

The prophet founded a central judicial executive with enforcement powers which stems from holy sources for people to refer to it when needed . The issues mentioned above have special importance for ensuring law and order in the society and to enforce justice .

POLCIES OF PRIVATIZATION AND ITS APPLICATIONS IN IRAQ

Dr. Abd-al-Sahib Saleh

ABSTRACT

This research aims et sheding light upon the convert's phenomenon for Private sector considering the justifications and the motives behind the desire to make the Government give up, completely or partially, some activities which have been taken - over even by which have been tried to provide the customer with a production or a service, As for as this phenomomon being political. social, economic and administrative reverses the researcher has tried to analyse the response of some Iraqi departments to this wave of changes to Iimit the extent of approach of or the distance from some of its drawing (Planning) roles.

In the second approach the scholar had studied features of the Commanders physical, psychological and cultural Characteristics in the war of forts.

In the third approach the scholar had observed some art fighting scense from the war of forts such as ; formation of patrols, fire and mobilization, intended withdrawal, encompassment, distribution of obligations tricks and others.

In the fourth approach, the scholar had surveiled different scenes of loots, foods, Clothings, medical Care, army rest places., Celebration of the conquest.

At the same time the scholar had pointed that the yearing of the Muslims prisoners of war is a mere poetic sighs repeated by prisoners while they are in the hold of the Romans.

MINERALOGY IN THE ARABIC CULTURE

Khaldoun Al-Bassam
State Company of Geological Survey and Mining

ABSTRACT

The Arab scientists have delt with the various aspects of mineral science and related fields by research and study . They have developed the scientific knowledge and found new theories in minerogenesis and mineral classification, as well as in mining and mineral processing . They were remarkable in the use of minerals in medical applications, study of jem stones, glass making, glaze materials and paints. They have contributed to the scientific knowledge of mankind by their new discoveries on minerals and their uses.

THE WAR OF FORTS IN THE CONQUEST OF "SHAM" BY AL-WAQIDI

Ph. D. Hassan M. Rababah
Jarash University — Jordan

ABSTRACT

In the War of Forts which took place during the Conquest of SHAM, there are remarkable war scense, researchers had never dealt with, in the light of what our scholar had come across.

Poetry alone in this kind of war stands incapable of describing the various arts of war. Hence poetry should be reinforced by historical background which could identify those who ignited the fire of the war in time of defense and in time of attack .

In this respect the scholar had observed the war of forts from four different approaches :

1 - The Fort : Its language meaning and definition.

2 - Commanders of the war : Romans and Muslims.

3 - Fighting arts from the war of forts.

4 - Administrative services in the war of forts.

As for as the first approach is concerned, the scholar had pointed that its language meaning Coincides with its definition. He had never gone into internal details that of , armament and guarding which should have been traced according to the development of its meaning and theme through out ages and times.

TOWARDS AN ARAB SOFTWARE INDUSTRY

Prof. Dr. Dakhil H. Jerew
President of University of Technology
Member of the Iraqi Academy of Science

Key Words : Information Technology, Computer Software Engineering, Computer Networks, Artificial Intelligence, Computor Language, Software Industry.

ABSTRACT

Software industry is regarded one of the important pivots of information teahnology which plays an important role in invigorating the economies of many countries whether industrially developed or still developing as it yields a lot of hard currency. Since this industry does not require raw materials, costly energy sources and high investment but mainly ingenious staff well trained in different fields of science , information technology and computer software and its various applications , Arab countries should align more with this trend in industry provided efforts are concentrated to have their own experience in software industry especially when noting the Arab software market is still developing . Its overall turnover is more than three billions dollars when copy rights are maintained .

This study throws light on the present status of software industry both at international level in general and at Arab countries in particular and suggests some means to upgrade Arab software industry for the sake of national interest .

Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal - Established 1369 H - 1950

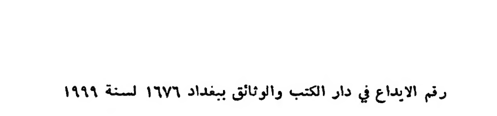
Add : ACADMY OF SCIENCES.

P. O. BOX 4023 WAZYRIA, AADAMEA, BAGHDAD - IRAQ

Tel : 4221723 - 4222066 Fax : (964 - 1) 4254523

— Annual Subscription : In Iraq (4000) I. D.

— Outside Iraq (50 Dollars) air mail not included



رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٩٩



Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

No. 4

Vol. 46

1420 H - 1999